الفكر الصوتي عند علماء العربية

قديماً وحديثاً

دكتور فتحي أنور عبد المجيد الدابولي

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالزقازيق

الطبعة الثالثة

مزيدة ومنقحة

١٤٣١هـ/٢٠١٠م

الفكر الصوتي عند علماء العربية

قديماً وحديثاً

دكتور
فتحي أنور عبد المجيد الدابولي
أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالزقازيق.

الطبعة الثالثة
مزيدة ومنقحة.
١٤٣١هـ/٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ميز الإنسان بالنطق والبيان والصلاة والسلام على أفصح الخلق لسانا وأعذبهم بيانا .

وبعد

فهذه هى مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب "علم الأصوات بين القديم والحديث" .

تقدمت الدراسات الصوتية فى العصر الحديث تقدما كبيرا نتيجة لاستفادتها من التقدم الهائل فى علوم أخرى كالفيزياء من جهة واعتمادها على الأجهزة والمعامل فى دقة نتائجها من جهة أخرى.

هذا ولا ينبغى أن نغفل الجهود المبكرة لعلمائنا القدامى والتى أرسوا بها صرح الدراسات الصوتية وسبقوا بها الغربيين فى هذا المجال باعتراف علماء الغرب أنفسهم حتى يمكن بذلك الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

تناولت فى هذه الدراسة عديدا من الموضوعات منها: الأصوات وطبيعتها والدراسات الصوتية واللغوية ومناهج البحث فى الدراسات الصوتية وأكدت فيها الحقائق السابقة من تقدم هذا العلم واعتماده على جهود علمائنا الأوائل.

كما تحدثت عن أصوات اللغة العربية مبرزا أهم خصائصها ومخارجها وصفاتها وموضحا في الدراسة التنظيمية: الصوت اللغوى والمقطع الصوتى والنبر والتنغيم ، وعقبت على ذلك بالحديث عن طبيعة الأصوات فى اللغة العربية والدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين.

وختمت هذه الدراسة بالحديث عن أهم الأحكام التجويدية التى هى تطبيق عملي للدراسات الصوتية ثم عقبت على ذلك بذكر نصوص من تراثنا الأدائى والصوتى وجعلت عنوان هذه الدراسة "الفكر الصوتى لدى علماء العربية ــ قديما وحديثا ــ .

وأخيرا فإننى أرجو أن أكون قد وضعت بهذه الدراسة لبنة فى صرح الدراسات الصوتية الحديثة.

والله من وراء القصد وهو ولى التوفيق

د/ فتحي أنور عبدالمجيد

مدخل

يتناول:

الأصوات وطبيعتها ـ الصوت الإنسانى ـ كيف نشأ الصوت الإنسانى؟ ـ نشأة الدراسات الصوتية وتطورها ـ الدراسات الصوتية واللغوية ـ مناهج البحث فى الدراسات الصوتية ـ أهمية الدراسات الصوتية.

أولا : الأصوات وطبيعتها

مدلول الأصوات :

الأصوات جمع صوت وهو فى اللغة مصدر صات يصوت إذا أحدث صوتا قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ (الإسراء/٦٤) قيل بأصوات الغناء والمزامير[١].

والصوت بهذا المفهوم "ظاهرة طبيعية تحدث من مصادر مختلفة كالإنسان والحيوان والجماد وغير ذلك.

ويسمع الصوت إذا حدث "تموج سريع عنيف فى الهواء"[٢] وإن كان غير مرئى وعلى هذا فلابد للصوت من ثلاثة عناصر:

١ – مصدر محدث للصوت سواء أكان إنسانا أم غيره.

٢ – الوسط الناقل للصوت سواء أكان هواء أم سائلا أم صلبا.

٣ – مصدر سماع الصوت وهو الأذن.

والصوت ليس على درجة واحدة من الشدة أو الحدة فهناك صوت حاد وآخر ثقيل أو شديد وضعيف وهكذا.

وتتوقف حدة الصوت أو ثقله على التموج السالف الذكر . فحال التموج فى نفسه من جهة اتصال أجزائه وتماسها أو بسطها ونحتها يفعل الحدة والثقل أو الشدة والضعف.

---

(١) اللسان (صوت) .

(٢) وهذا التموج السريع فى الهواء هو ما يعبر عنه بالهزات أو الذبذبات الناقلة للصوت من مصدر الصوت إلى أذن السامع. انظر أسباب حدوث الحروف لابن سينا / ٨ .

أما الحدة فيفعلها الأولان وأما الثقل فيفعله الثانيان"[١].

وهكذا يكون الصوت الساكن أشد من المتحرك والمضعف أشد من المخفف والقريب أوضح من البعيد.

ويختلف الصوت المسموع أيضا باختلاف مصدره فصوت الإنسان غير صوت الحيوان غير صوت الريح إلى غير ذلك وهذا كله يسمى بنوع الصوت.

هذا ويمكن التمييز في خواص الصوت بين الأمور الآتية:

١ - درجة الصوت وهى صفته من ناحية الشدة والضعف أو الحدة والثقل وتتوقف على عدد الاهتزازات فى الثانية الواحدة فكلما زادت الاهتزازات في الثانية ازداد الصوت حدة وعدد الاهتزازات في الثانية يسمى فى الاصطلاح الصوتى "بالتردد".

٢ - وضوح الصوت وهى صفته من ناحية العمق والقرب فالصوت العميق عدد اهتزازته فى الثانية أقل من الصوت القريب.

٣ - نوع الصوت: وهو صفته المميزة لبعضه عن بعض وإن اتحدت الأصوات في الدرجة والشدة وعلى هذا نستطيع أن تميز بين صوت الرجل والمرأة والعود والكمنجة على الرغم من احتمال اتحادهما فى الدرجة والشدة[٢].

---

(١) نفسه / ١٠ بتصرف، وانظر مناهج البحث في اللغة د/تمام حسان / ٦٧ .

(٢) انظر دراسات فى التجويد والأصوات د/ عبدالحميد أبوسكين ٣١، ٣٢، والأصوات اللغوية د/ أنيس/ ٧، وقارن بمقدمة فى أصوات العربية د/البركاوى٥٦ .

طبيعة الصوت الفيزيائية:

الصوت عبارة عن موجات تنتشر فى الهواء بسرعة ٣٤٠ مترا فى الثانية وتنتشر فى الأوساط الأخرى كالسائل والغاز والجسم الصلب بسرعة أقل تبعا لدرجة مرونتها، والموجات تنشأ من ذبذبات أى حركات متكررة يمكن أن تكون بسيطة مثل حركة بندول الساعة أو مركبة وهى المستمرة مثل الآلة الموسيقية (الوتر) ويكون التذبذب فى الجسم كله ٠

وسعة الذبذبة هى المسافة بين نقطة الراحة والنقطة القصوى التى يبلغها الجسم المتذبذب وينتج عن ذلك:

١ – التردد Frequence أى عدد الدورات المقيسة بوحدة الزمن (الثوانى) والتردد الأساسى هو الذى يحدد علو النغمة الموسيقية٠

٢ – السعة Amplitude التى تحدد أساسا توتر الصوت ويقوى الصوت بزيادة السعة٠

الرنين: حركة الجسم الناشئة عن الذبذبة والموجة ويقوى الصوت فى هذه الحالة (وجود الصوت سابقا) بما يعرف بالمِرْنان٠

المرشحات: أى المقويات للصوت مثل الآلية التى تعمل على تقوية الصوت لصوت مركب فالمرشح هنا بمثابة الفراغ الحلقى فى الصوت

الإنسانى والفراغات الأنفية والفموية تشكل معا مرشحا صــوتيا فــى جهاز الصوت الإنسانى ،

الحزم الصوتية: Les Formants تطلق على الترددات المقــواة التي تميز طابع صوت ما[١] ،

(١) انظر علم الأصوات برتيل ــ تعريب ودراسة د/عبدالصبور شاهين ودراسة الصوت اللغوى د/ عمر ١٦ ،

ثانيا: الصوت الإنسانى

ويقصد بالصوت فى هذه الدراسات "الصوت الإنسانى" الذى ينشأ من ذبذبات مصدرها فى الغالب "حنجرة الإنسان" ذلك أن الهواء حين يندفع من الرئتين يمر بالقصبة الهوائية فإذا وصل إلى الحنجرة وفيها الوتران الصوتيان فإما أن يَهْتَزّ الوتران الصوتيان وإما أن لا يهتزا فإن اهتزّا حدثت ذبذبات هى مصدر الصوت وإن لم يهتز الوتران الصوتيان كان مصدر الصوت هو احتكاك الهواء بأعضاء النطق أثناء انسداد عضوى النطق أو ضيقهما فى نقطة مخرج الصوت.

وهذا الصوت الإنسانى له صفات خاصة بحيث لا يتحد صوتان فى كل الصفات بل الصوت الواحد يختلف من وقت لآخر ومن بدائع قدرة الله ــ عزوجل ــ أن جعل الصفة الصوتية للإنسان تميزه عن غيره من بنى جنسه كالبصمة التى لا تتشابه بين إنسان وآخر.

كما أن الإنسان يستطيع التحكم فى صوته من حيث شدته وحدته بالسيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتكييفه وإخضاعه لنظام خاص فى النطق ومن هنا رأينا مثلا: القراء يتحكمون فى أصواتهم بالتعلم والمران ونستطيع أن نحصر العوامل التى تؤثر فى درجات الصوت الإنسانى فيما يلى:

١ - التحكم فى الهواء المندفع من الرئتين وتنظيمه حسب الإرادة.

٢ - كون عضلات الحنجرة مرنة حيث تتوقف عليها درجة الصوت فكلما ازدادتْ مرونة كَثُرَتْ الذبذبات وازدادتْ حِدَّة الصوت.

٣ - طول الوترين الصوتيين (وهما فى الحنجرة) يؤثر فى درجة الصوت أيضا: لأنه كلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات وكان الصوت عميقا ٠

٤ - نسبة شد الوترين الصوتيين فكلما كان الوتران مشدودين كان الصوت حادا وهذا ما نلاحظه عند المغنيات وهكذا. كما أن شدة الصوت الإنسانى تتوقف إلى حد كبير على سعة الرئتين ونسبة اندفاع الهواء منهما وعلى الفراغات الأخرى التى يمر بها الصوت فى أعضاء النطق المختلفة كالقصبة الهوائية والحلق والفم والأنف وهذه الفراغات تقوى الصوت وتكسبه صفاته الخاصة به[١]٠

(١) انظر الأصوات اللغوية / ٩ ـ ١١ ، ودراسات فى التجويد والأصوات / ٣٤ ـ ٣٦ بتصرف٠

ثالثا: كيف نشأ الصوت الإنسانى؟

إذا نظرنا إلى بداية الصوت الإنسانى رأيناه يتمثل فى أمرين:

١ - كيف صدر الصوت من الإنسان الأول (سيدنا آدم عليه السلام)؟

٢ - كيف ينطق الطفل أصوات اللغة ؟

أولا: كيف بدأ الصوت اللغوى عند الإنسان الأول؟

ميز الله ــ عزوجل ــ الإنسان عن سائر المخلوقات بنعمة النطق قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ (الرحمن/ ١ ــ٤) أى النطق الفصيح المعرب عما فى الضمير، ولسنا هنا بصدد التعرض لمذاهب العلماء فى نشأة اللغة[1] ولكنا نريد أن نقرر هنا ما أجمع عليه المحدثون من أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة إذا قيست بضرورات أخرى له كالأكل الشرب، كما نقرر أن قوة السمع عند الإنسان قد نمت قبل قوة النطق وقد سمع الإنسان الأصوات الطبيعية من حوله سواء أكانت هذه الأصوات نتيجة مؤثرات خارجية كأصوات الأحداث حوله أم أصوات ناتجة عن انفعالات الإنسان أم أصوات ناتجة عن محاكاة الإنسان لأصوات الحيوان وغيره من مظاهر الطبيعة كزئير الأسد وحنين الرعد..الخ٠

وقد سمى القدماء الإنسان حيوانا ناطقا يريدون بهذا أنه حيوان ذكى ذو قدرة عقلية خارقة وقد ساعده ذكاؤه على ترجمة الأصوات

---

(١) انظر تفصيل القول فى هذه المذاهب فى كتابنا "فى فقه اللغة وخصائص العربية" صـ١٧ ــ ٦٦ ٠

من حوله وذلك ليستخدمها فى حاجاته الأولية كالجاذبية الجنسية ومحاولة صد الأعداء عنه أو حفظ النوع وحفظ النوع يدعو إلى تكوين حياة اجتماعية يتصل فيها النوع الإنسانى ببعضه.

وذكاء الإنسان كذلك ساعده على تفسير الأصوات التى يسمعها ثم تقليدها وأدى فى النهاية إلى تكوين اللغة ذات القواعد والأصول(١).

وكلما تقدم الإنسان شيئا فشيئا حاول تجويد لغته وتحسينها وساعده على ذلك محاولة استغلال أعضاء نطقه فى تكييف صوته على النحو الذى نألفه.

ويدلنا على ذلك أن "الغناء الإنسانى لمجرد الطرب متأخر الوجود عن الكلام أو النطق وربما كان الغناء أول الأمر لمجرد الجاذبية الجنسية ثم تطور فأصبح لإشباع رغبة فنية فى الإنسان"(٢).

ولعلنا بهذا نكون قد ألقينا الضوء على معرفة كيفية صدور الصوت من الإنسان الأول أما متى كان ذلك ؟ فإلى الآن لم نستطع تحديده على وجه اليقين.

وننتقل إلى كيفية معرفة الطفل لنطق الأصوات اللغوية محاولين وضع أزمنة تقريبية لذلك فنقول:

---

(١) الأصوات اللغوية د/ أنيس ١١، ١٢ .
(٢) نفسه/ ١٢ .

ثانيا: كيف يبدأ الصوت اللغوى عند الطفل؟

أنواع الصوت عند الطفل:

إن المتأمل للصوت الذى يصدر من الطفل ــ منذ بدايته إلى أن يكتمل نطقه ويستطيع أن يتكلم بأصوات لغوية سليمة ــ يرى أن الطفل يتنوع صوته كما يلى:

١ – الأصوات الطبيعية الوجدانية التى تعبر عن انفعالات الطفل المختلفة ولعل أولها أن الطفل حين يولد يبدأ أصواته بالصراخ الوجدانى اللا إرادى، وبعد الولادة تصدر من الطفل أصوات انفعالية متلبسة بحالات "الخوف والألم والجوع والفرح والغضب والسرور والدهشة كالبكاء والضحك ومختلف أنواع الصراخ الوجدانى"(١).

وبمرور الوقت يتخذ الطفل هذا الصراخ وسيلة لتحقيق رغباته ومساعدته لنيل ما يريد فالصراخ يبدأ ــ أولا ــ وجدانيا طبيعيا ثم يتخذه الطفل بعد ذلك سلاحا يسله كلما أراد أن يحقق رغبة ما ثم يستغله الطفل ــ دون رحمة ــ لمن يقضون الليل وهو فوق أذرعتهم يغنون له الأغانى أو يؤرجحونه فوق الأيدى مفضلا كل هذا على النوم فى سريره هادئا مطمئنا.

وخير وسيلة هى أن يترك الطفل يبكى متى تأكد الأبوان أنه قد نال قسطه من الغذاء والنظافة ففى بكاء الطفل تمرين لعضلات

---

(١) نشأة اللغة د/ وافى ١٤٩ (ط نهضة مصر).

صوته[١] وأصوات هذا النوع عند الطفل تصدر بشكل لا إرادى تحت تأثير عوامل نفسية وجسمية "أشبه شىء بساعة الحائط إذ تدق أجراسها بصوت آلى حينما تصل مشيراتها إلى نقط خاصة وتختلف دقاتها نوعا وكمية باختلاف هذه النقط.

ويتألف هذا النوع من أصوات مبهمة تشبه أصوات الحيوان وأصوات مظاهر الطبيعة وأصوات لين (حروف المد) مختلطة بأصوات ساكنة مثل (نا) [٢] أى صوت ساكن + صوت حركة طويل مع ملاحظة عدم نطق الأصوات كما ينطقها الكبار حيث يتسم الطفل حال إصدار هذه الأصوات بخصائص جسمية معينة تتغير بعد ذلك كضيق فتحة الفم وانقباض عضلات الوجه وانبساطها وتفتح الأسارير وانكماشها... الخ.

٢ ـ الأصوات الوجدانية الإرادية:

بعد الأصوات اللا إرادية السابقة يحاول القائمون بأمر الطفل أن يلبوا له رغباته حتى يسكن ويستريح ولكن طبيعة الطفل تأبى ذلك إنه يريد أن يرغم الكبار على تحقيق ما يريد.

ومن ثم تتطور الأصوات عنده من وجدانية لا إرادية إلى أصوات إرادية يقصد بها الطفل "التعبير عن حالة قائمة به أو عن مطلب من مطالبه فنراه مثلا يتعمد البكاء أو الصراخ أو يتمادى فيهما

---

(١) الأصوات اللغوية / ٢١٦ .

(٢) علم اللغة د/ وافى ١١٩، ١٢٠ (ط نهضة مصر).

بشكل إرادى حتى تحمله مربيته أو ترضعه أو تبعد عنه هنة لا يريدها... الخ وتسمى حينئذ هذه الأصوات بالأصوات الوجدانية الإرادية".

وهو فى الحالتين (حالة الصوت اللا إرادى وحالة الحركات الإرادية) يحاكى نفسه فى حالتها الفطرية فيمثل بشكل إرادى ما يصدر عنه عادة بشكل آلى فطرى[١].

٣ـ أصوات الإثارة السمعية (المناغاة):

وفى الشهور المبكرة (الأول والثانى والثالث والرابع) لدى الطفل يظهر نوع آخر من الأصوات يثيرها لديه المحيطون به عندما يناغونه أو يتحدثون حوله بصوت مرتفع خاصة أبوه وأمه وقد تثيرها أصوات أخرى حوله كأصوات الحيوانات، والآلات الموسيقية فيبدأ الطفل بإحداث أصوات فطرية مبهمة غير تقليدية.

وقد تحدث المناغاة من الطفل نفسه لمجرد التسلية واللهو "فمثله فى تحريك لسانه وشفتيه فى هذه المرحلة كمثله فى تحريك عضلاته الأخرى كاليدين والرجلين ثم لا يلبث أن يربط بين تصرفات الكبار حوله وبين تلك الأصوات التى تصدر منه وهو فى مناغاته يندر أن يجمع بين صوتين ساكنين ولكنه عادة ينطق بصوت ساكن + صوت حركة طويل ولهذا يكون مقطعا بسيطا مثل ba – ma ويتلذذ الطفل بتكرار أمثال تلك المقاطع فتسمع منه أحيانا baba - mama[٢].

---

(١) نفسه ١٢٠، ١٢١ بتصرف.
(٢) الأصوات اللغوية/ ٢٢٧ بتصرف.

"ومن هذا النوع من الأصوات ما يسمونه "العدوى الصوتية" التى تبدو عند الأطفال إذا ضمهم مكان واحد والتى تلازمهم فى معظم مراحل طفولتهم: يصوت الوليد منهم فيثير صوته أصوات زملائه ويبكى أحدهم فيبكى لبكائه الآخرون"[١].

وأصوات هذا النوع تشبه أصوات الحيوان ومظاهر الطبيعة وتتألف من أصوات مبهمة وأصوات حركة مختلطة بأصوات ساكنة[٢].

وأساس هذه الأصوات ـ كما قلنا ـ فطرى غير تقليدى وغير إرادى يتوقف على سماع الطفل لبعض الأصوات فتثير أعضاء نطقه فتتحرك بشكل آلى وتلفظ تلك الأصوات الفطرية.

٤ـ أصوات التمرينات النطقية Exercices – vocaux أو اللعب اللفظى أو اللغط:

وتلك بداية الأصوات اللغوية لدى الطفل وتبدأ حوالى الشهر الخامس حيث تكون الأعصاب النطقية محتاجة إلى التمرين حتى تبدأ فى مباشرة عملها.

ولا شك أن ذلك ميل فطرى لدى الطفل فيبدأ "فى اللعب بالأصوات وتمرين أعضاء النطق ويمضى فترات طويلة من وقته فى إخراج أصوات مركبة متنوعة عارية من الدلالة ومن قصد التعبير

(١) نشأة اللغة/ ١٥٣ .
(٢) سيأتى الحديث بالتفصيل عن الأصوات الصامتة وأصوات الحركة صـ٨٣

والمحاكاة وينتظم هذا النوع جميـــع الأصـــوات المديـــة والمقطعيـــة (أصوات الحركة والأصوات الصامتة) التى يمكن أن تلفظها أعضـــاء النطق الإنسانى.

والطفل فى هذه المرحلة يصدر أصواتا عامة أى لا فرق فى ذلك بين أصوات الطفل العربى أو الإنجليزى أو الصينى وإنما تتحد هـــذه الاتجاهات ــ فيما بعد ــ كما يلاحظ أن الطفل فى هذه المرحلة يولـــع بتكرار الصوت الذى يلفظه من هذا النوع عدة مرات مثل: بابابا، تـــا تا تا، ما ما ما ، نا نا نا ، أتيتا .... الخ ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة منها:

أن النشاط الحركى يتجه دائما إلى الأشكال المتماثلة والأوضـــاع المتشابهة ومنها: أن وقف الحركة فجأة يتطلب مجهـــودا أكبـــر مـــن المجهود الذى يتطلبه استمرارها.

ومنها: أن الطفل عندما يلفظ صوتا ما يحدث لديه هذا الصـــوت إحساسا سمعيا يرتاح إليه ويتلذذ بوقعه فيكرر الصوت ليتكرر إحساسه هذا"(١).

ويستمر ذلك الحال حتى نهاية العام الأول وفى هذه المدة يكـــون الطفل "قد مهر فى تكرير مقاطع متماثلة مثل د د د وتكرير المقـــاطع مسلاة للطفل خير عنده من أية لعبة يمكن أن تهدى إليه وقد تتضـــمن تلك المقاطع أصواتا يصعب على الطفل ــ فيما بعد ــ النطق بها فى

---

(١) علم اللغة / ١٢٣ ــ ١٢٥ .

كلمات من لغة أبويه بل قد تتضمن أصواتا لا وجود لها فى لغة الآباء ومنشأ تلك الصعوبة ــ فيما بعد ــ هو الفرق بين النطق بالصوت لمجرد اللعب والتسلية والنطق به قصدا فى موضع خاص من الكلمة مكتنفا بأصوات خاصة"(١).

وعلى الرغم من أن المحدثين من علماء الأصوات قد أجمعوا على أن الطفل يبدأ النطق بما يسهل عليه من الأصوات إلا أنهم قد اختلفوا فى ترتيب الأصوات اللغوية من حيث سهولتها على الطفل واتفقوا على اعتبار الأصوات الشفوية كالميم والباء من أوائل الأصوات التى يستطيع الطفل النطق بها.

ولعل السر فى البدء بهذه الأصوات هو أن عضلات النطق بها هى نفس العضلات التى يستخدمها فى الرضاعة(٢).

وتأخذ الأصوات فى نهاية هذه المرحلة طابع تقليد الطفل لنفسه فيحاكى أصواته وأصوات غيره وقد يلفظها لفظا أولا خاطئا بعيدا عن الأصل أو يحاول بها محاكاة النبرات العامة التى تتألف منها الصورة الموسيقية لبعض ما يسمعه من عبارات.

٥ ـ أصوات المحاكاة:

ويعد هذا النوع من الأصوات امتدادا للنوع السابق غير أن الطفل يستعمل فيه أصواتا أكثر صعوبة من سابقه فهو يحاكى أصوات

---

(١) الأصوات اللغوية / ٢١٨ .
(٢) نفسه / ٢١٧، ٢١٨ بتصرف .

الأشياء والحيوانات كحفيف الشجر وخرير الماء وصرير الباب ودقات الساعة ونفير السيارة وصهيل الفرس ونهيق الحمار وخُوار البقر ونُباح الكلب ومُواء الهر وصِياح الديك وهَدِيل الحمام ونعيق الغراب الخ.

ويبدأ الطفل فى هذا النوع التمرين على أصوات صعبة كمحاكاة صوت الكلب بكلمة "هَوّ" أو صوت الدجاجة بكلمة "كاك" وذلك يتطلب استعدادا فطريا لدى الطفل ويرمى الطفل من ورائه إلى غايات معينة كالتلذذ بالمحاكاة أو إثبات القدرة على التقليد وأحيانا إلى التعبير عن أمور تتصل بالشيء أو الحيوان الذى يحاكى صوته كأن يحاكى صوت الكلب للتعبير عن رغبته في رؤيته أو عن قدومه الخ[1].

٦ - النوع الأخير من أنواع الأصوات عند الطفل هو الأصوات المركبة ذات الدلالات الوضعية التى تتألف منها الكلمات وتتكون منها اللغة[2].

وتلك هى الأصوات الإرادية المقصودة من الطفل والتى يتعلمها من المحيطين به وخاصة أبويه عن طريق التقليد.

وهنا يبدأ الطفل فى بذل المجهود النطقى حتى يستطيع تقليد غيره تقليدا كاملا وليس هذا فحسب بل أن الطفل فى هذا النوع مقلد للأصوات وما تدل عليه أى الكلمات ومعانيها مبتدئا بأكثر الكلمات تداولا حوله: كبابا وماما وتيته ونينه ثم ينتقل بعد ذلك إلى أكثر

---

(١) انظر علم اللغة/ ١٢٥، ١٢٦ .

(٢) نفسه / ١٢٦ .

الأشياء قربا منه كباب وسرير وكنبه وهكذا. وتستمر هذه المرحلة التي تسمى بمرحلة التقليد عند الطفل من أوائل السنة الثانية حتى السادسة أو السابعة أو الثامنة(١) وتشمل النوعين الأخيرين من أنواع الأصوات عند الطفل.

بعض أخطاء الطفل فى النطق:

وتصحب مرحلة التقليد عند الطفل بعض الأخطاء كتقديمه بعض الأصوات على بعض كقوله: "امسو" بدل "اسمو" (اسمه) أو صعوبة نطقه لبعض الأصوات كالراء فيقول "وَبّع" فى "رَبّع" أو إبداله بعض الأصوات من بعض كقوله "تلب" فى "كلب" وذلك نتيجة لعدم اكتمال النمو لأعضاء النطق من ناحية أو لإهمال المقيمين على أمر الطفل من ناحية أخرى.

كيفية علاج خطأ الطفل فى النطق؟

يجب على المقيمين على أمر الطفل سواء فى البيت أو الحضانة أو المدرسة اتباع الحكمة البالغة فى علاج أخطاء الأطفال وذلك بالصبر عليهم حتى تستقر عضلات النطق والسمع عندهم وفى خلال هذه الفترة (من أوائل السنة الثانية حتى السادسة أو السابعة أو الثامنة) ننطق أمام الطفل نطقا صحيحا خاليا من العيوب ونكرر له ذلك النطق فإذا انتهى من مرحلة التقليد وقويت عضلات نطقه وسمعه وجدنا لغته

---

(١) يلاحظ أن التحديد الزمنى لتطور مراحل الأصوات عند الطفل إنما هو للطفل العادى أو لأكثر الأطفال وهناك حالات قليلة تجاوز هذا التحديد الزمنى بالزيادة أو النقص لعوامل مختلفة كالمرض والوراثة.

صحيحة سليمة وإذا لم نتبع الطريق الصحيح فى علاج الأخطاء فــإن الطفل قد ينتهى من هذه المرحلة حاملا بعض الأخطاء الصوتية وقــد تلازمه هذه الأخطاء طوال حياته(١).

رأينا ــ مما سبق ــ أن الصوت اللغوى عند الطفل يبــدأ بعــد مرحلة التقليد ونمو أعضاء النطق واكتمالها واستقرارها.

(١) انظر الأصوات اللغوية/ ٢١٨ وما بعدها.

رابعا : نشأة الدراسات الصوتية وتطورها

١ـ بوادر التفكير الصوتي:

للغة صورتان: صورة منطوقة تتمثل في الكلام المنطوق وصورة مكتوبة تتمثل في كتابة هذا الكلام. وبمعنى آخر صورة للغة في حالتها المسموعة وصورة اللغة في حالتها المكتوبة[١].

ـ ولا ريب ـ في أن الكلام أسبق من الكتابة في تاريخ البشرية وفي تاريخ الأفراد كذلك وأن الإنسان قد تعامل باللغة آلاف السنين قبل أن يكتبها وذلك لأنه لم يستعمل الكتابة إلا عندما اضطر إليها لتدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظاته وآثاره[٢].

وتختلف أقوال العلماء في مَنْ هُمْ أولُ مَنْ عرفوا الكتابة في صورتها الأبجدية؟

فمن قائل بأن أقدم ما أثر من ذلك كان لعلماء مجهولين .

---

(١) وهناك خلاف واقع بين النطق والكتابة ، والكتابة قد لا تمثل النطق تمثيلا مباشرا فنجد حروف تنطق ولا تكتب مثل ألف "الرحمن" وبالعكس حروف تكتب ولا تنطق مثل واو "عمرو" والحرف الواحد قد ينطق بأصوات مختلفة مثل حرف (أ) في الإنجليزية في الكلمات sir – in – I وفي الدراسات الصوتية يكون الاهتمام بالحرف المنطوق لا بالرسم المكتوب .

انظر مدخل إلى علم اللغة د/ حجازي ٣١ ـ ٣٥ (ط١٩٧٨م).

(٢) انظر دور الكلمة في اللغة ـ استيفن أولمان ـ ترجمة د/كمال بشر ٣٤، والفلسفة اللغوية ـ جورجي زيدان / ١٦٠ (ط دار الهلال)، ومدخل إلى علم اللغة د/ حجازي ٣١ .

ومن قائل بأن الأكاديين[١] هم أول مَنْ عرفوا الكتابة بالحروف الصامتة والحركات أو هم قد ورثوها عن السومريين[٢].

ومن قائل بأن اليونانيين القدماء هم أول أمة كتبتْ بالحركات أو عرفت نظام المقاطع وقسموا الأصوات إلى: ساكنة مجهورة وساكنة مهموسة وأصوات علة (لين).

ويرجع ذلك إلى القرن السادس قبل الميلاد.

ومن قائل بأن النظام الكتابى أخذه الإغريق عن الساميين وقد انتقل إلى الرومان عن طريق الإغريق.

والرأى الذى أميل إليه هو الرأى الأخير وذلك لاتفاق العلماء على أن الأبجدية الفينيقية ــ وهى سامية قديمة ــ هى أصل الأبجديات فى العالم كله ويحدد زمن نشأتها بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد[٣].

---

(١) قوم من الساميين عاشوا فى أرض العراق القديم.
(٢) أمة قديمة كانت تقطن العراق قبل أن يفد إليه الأكاديون.
(٣) يرى بعض العلماء أن أصل الأبجديات كلها يرجع إلى الخط الهيروغليفى المصرى وقد أخذت منه الأبجدية الفينيقية . راجع فى توضيح ذلك د/ مراد كامل فى تعليقه على الفلسفة اللغوية ١٦١ ، ١٦٢، ودراسات فى التجويد والأصوات / ١٨، ومقدمة فى أصوات اللغة العربية ٧، ٨، والبحث اللغوى عند العرب ٦٠، ومدخل إلى علم اللغة/ ٣١ .

٢ـ البحث الصوتى عند الهنود:

أُثِر عن الهنود دراسات صوتية قديمة ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد. وقد درس الهنود الأصوات وقسموها إلى علل وأنصاف علل وسواكن (أصوات صامتة وأصوات حركة طويلة وقصيرة) وقسموا الأصوات الصامتة بحسب مخارجها كما تحدثوا عن كثير من صفات الأصوات كالشدة والرخاوة والغنة والجهر والهمس ودرسوا أيضا المقاطع والنبر.

وقد كانت الرغبة الملحة ـ عند الهنود في دراسة أصوات لغتهم ـ ترجع إلى عامل دينى أى الرغبة فى تلاوة كتابهم المقدس "القَيـْدا" تلاوة سليمة وهذا الدافع هو نفسه الذى حث المسلمين على الدراسات الصوتية ـ أولا ـ حفاظا على الأداء السليم للقرآن الكريم.

وتُعد الدراسات الصوتية عند الهنود الأساس الذيَ بَنَى عليه المحدثون بحوثهم يقول العلامة "فِـرْث" الإنجليزى: "إن المدرسة الأصواتية عند الإنجليز لم تنشأ فى القرن التاسع عشر إلا على أكتاف المعلومات التى قدمها "وليم جونز" عن النحاة والأصواتيين الهنود"[١].

---

(١) انظر البحث اللغوى عند العرب/ ٥٦، ٥٧، ومقدمة فى أصوات اللغة العربية/ ٩، ١٠، وقارن بدراسات فى التجويد والأصوات/ ١٩، ودور الكلمة فى اللغة/ ٣٥ .

٣ـ البحث الصوتى عند العرب (نشأته وتطوره):

أولاً : علماء اللغة والنحو:

كانت خدمة القرآن الكريم والخوف عليه من اللحن والتحريف الباعث الأول لعلماء العربية على السبق فى البحوث الصوتية وإن بدت تلك البحوث ــ أولا ــ على يد علماء النحو وأولهم: أبو الأسود الدؤلى (م٦٩هـ) حين وضع رموز صوتية للحركات فى القرآن الكريم [١] ثم تلاه من علماء اللغة: الخليل بن أحمد (م سنة ١٧٥هـ) ويُعد أول المؤسسين لعلم الأصوات من علماء العربية ويكاد يجمع علماء اللغة على أنه صاحب التفكير فى أول معجم لغوى هو كتاب "العين" وقد جمع اللغة فيه بطريقة التقليبات الصوتية[٢] مرتبا الحروف حسب مخارجها الصوتية[٣] كما بدأ كتابه "العين" بمقدمة طويلة تناول فيها دراسات صوتية متعددة كالحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها وقد كانت تلك الدراسات هى الأساس لمنْ جاء بعده مِنَ العلماء الذين اهتموا بدراسة الأصوات كسيبويه وغيره.

أما سيبويه (م سنة ١٧٧هـ) فقد نَمَتْ الدراسات الصوتية وازدهرت على يديه وإن كان الهدف الأول منها خدمة دراسة الإدغام والحديث عن قواعد الإبدال والإعلال.

---

(١) راجع فى توضيح هذه الرموز البحث اللغوى/ ٧٨، والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار لأبى عمرو الدانى/ ١٢٩ .

(٢) راجع فى توضيح هذه الطريقة كتابنا:فصول فى علم المعاجم اللغوية/٢٩ .

(٣) على النحو التالى: ع ــ ح ــ هـ ــ خ ــ غ ــ ق ــ ك ــ ج ــ ش ــ ض ــ ص ــ س ــ ز ــ ط ــ د ــ ت ــ ظ ــ ذ ــ ث ــ ر ــ ل ــ ن ــ ف ــ ب ــ م ــ و ــ ا ــ ى ــ همزة.

والمتأمل فى كتاب سيبويه يجده مليئا بالدراسات الصوتية خاصة فى بحوث الإبدال والإعلال والتضعيف ولكن حديثه عن الإدغام فى آخر كتابه يُعد دراسة صوتية متخصصة اعتمد عليها علماء الأصوات قديما وحديثا .

بدأ سيبويه حديثه عن هذا الباب ببيان عدد الحروف العربية مرتبا إياها على حسب مخارج الحروف قائلا:

"فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة والألف والهاء ... الخ"[١].

وقد أوصل سيبويه الحروف العربية إلى اثنين وأربعين حرفا بجيدها ورديئها وهذه الدراسة هى الأساس الذى أنار لعلماء القراءات الطريق نحو وصفهم للأصوات اللغوية وتوجيههم للقراءات الشاذة كما أن هذه الدراسة لايضاهيها فى العمق والدقة والاستقصاء جميع الدراسات التى يقوم بها اللغويون الآن فيما يسمونه علم الأصوات اللغوية[٢].

ثم تحدث سيبويه عن مخارج الحروف العربية وأوضح أنها ستة عشر مخرجا .

ثم تحدث أيضا عن صفات الحروف وذكر أنها أربع عشرة صفة ولنا عود فى الحديث عن الأصوات عند سيبويه فى موضع آخر من هذا الكتاب[٣].

---

(١) سيبويه ٤/ ٤٣١ (ط الأستاذ/ عبدالسلام هارون) .
(٢) انظر دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح/ ٢٧٥ .
(٣) انظر ص ٢١٣ .

ثم جاء ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) أول علماء اللغة الذين أفردوا الدراسات الصوتية بمؤلف مستقل هو كتاب "سر صناعة الإعراب"٠

وقد طالعنا ابن جنى فى مقدمة كتابه ببيان الغرض منه حيث قال إنه يضع "كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها وكيف مواقعه في كلام العرب"(١)٠

ثم قال "وأذكر أحوال هذه الحروف فى مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومطبقها ومنفتحها وساكنها ومتحركها ومضغوطها ومهتوتها ومنحرفها ومشربها ومستويها ومكررها ومستعليها ومنخفضها إلى غير ذلك من أجناس وأذكر فرق ما بين الحركة والحرف وأين محل الحركة من الحرف هل هى قبله أو معه أو بعده؟ واذكر أيضا الحروف التى هى فروع مستجسنة والحروف التى هى فروع مستقبحة والحركات التى هى فروع متولدة عن الحركات كتفرع الحروف من الحروف ..." (٢)٠

وواضح من هذه المقدمة أن موضوع الكتاب هو "أحكام الأصوات اللغوية" ويمكن إيضاح الدراسات الصوتية فى الكتاب فى الأمور الآتية:

---

(١) مقدمة سر الصناعة/ ١ (ط الحلبى سنة ١٩٥٤م)٠
(٢) نفسه/ ٣ ٠

١ – وصف الأصوات اللغوية وصفا طبيعيا تشريحيا دقيقا مراعيا الناحية الموسيقية وذوق أصوات الحروف والفرق بين الصوت والحرف.

٢ – الحديث عن الحركات وأنها أبعاض حروف المد.

٣ – الحديث عن حروف المعجم من حيث عددها وترتيبها ومخارجها وصفاتها وانسجامها وحسن تأليفها.

٤ – الحديث بالتفصيل عن كل حرف على حدة مبينا ما يعرض له من تغيير كالنقل والحذف والإعلال والإبدال والإدغام والإخفاء والإقلاب.

ومما سبق يتضح لنا ـ أن ابن جنى قد أخذ البحوث الصوتية المتناثرة عند الخليل وسيبويه وطورها ووسعها وجعلها مستقلة على هذا النحو الذى رأيناه فى "سر صناعة الإعراب".

كما يتضح لنا أنه أول من استخدم مصطلح "علم الأصوات"، فهو الرائد والمقدم فى هذا المجال وقد اعترف فى كتابه "سر الصناعة" بهذه الحقيقة حيث قال : "وما علمت أحدا من أصحابنا خاض فى هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع"(١).

هذا ولا تزال الدراسات الصوتية إلى الآن فى تقدم مستمر مواكبة بذلك العصر الحديث فى تقدمه واعتماده على التجارب والمعامل ومن المؤلفات الصوتية فى العصر الحديث:

---

(١) سر الصناعة ١/ ٦٣، والبحث اللغوى/ ٩٩، وقارن بمقدمة فى أصوات اللغة العربية/ ١٢، ١٣ .

أ - الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية أكثر من مرة وقد تحدث فيه عن ظاهرة الصوت وأعضاء النطق والأصوات الساكنة وأصوات اللين ومقاييس أصوات اللين وأخيرا تحدث عن ظواهر لغوية مختلفة كالمقطع والمماثلة وتطور الأصوات، تناول فيه دراسة الأصوات دراسة مقارنة وازن فيها بين علمائنا القدامى من جهة والدراسات الصوتية الحديثة من جهة أخرى.

ب - علم اللغة العام ــ الأصوات ــ د/ كمال بشر ، وقد طُبع أكثر من مرة أيضا بدار المعارف واحتوى على بابين وملحق، الباب الأول تحدث فيه بعد التمهيد عن علم الأصوات وجوانبه ، وبين الفوناتيك والفنولوجيا ، والباب الثاني تحدث فيه عن الأصوات العربية الصامتة والحركات ثم الملحق عن علم الأصوات وأهميته .

جـ - المختصر فى أصوات اللغة العربية ــ دراسة نظرية وتطبيقية لفضيلة أ.د/ محمد حسن جبل ويُعد هذا الكتاب فى طبعته الخامسة (١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م) خلاصة وافية لفكر صاحبه فى مجال أصوات اللغة حيث أودع فيه مؤلفه ثمرة خبرته الطويلة المتعمقة التى جاءتنا بما هو حق وواقع ومؤصل وثابت ولا فرق عند فضيلته ــ فى اتباع الحق وإقراره ــ بين رأى القدماء ورأى المحدثين فى قضية ما لأن ما قرره فضيلته فى هذا الكتاب هو الحق المدعوم بالدليل سواء عند القدماء أو المحدثين أو مخالفا لهما أو لأحدهما .

ومادة الكتاب العلمية تشهد بما ذكرناه حيث تناول فضيلته بالدراسة والمقارنة كثيرا من ظواهر الأصوات وقضاياها مثل: منهج البحث فى الأصوات ومخارج الحروف وصفاتها فى العربية وغيرها، وتقسيم الأصوات إلى صوامت وحركات وكانت الناحية التطبيقية هى الأساس فى كل هذه الدراسات خاصة فيما يتعلق بقسم التجويد وحكمه وأنواع القراءة. جزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء.

ثانيا: الدراسات الصوتية عند غيرهم:

لم يقتصر البحث الصوتى عند العرب على علماء اللغة والنحو فقط بل تناوله وساعد على تقدمه علماء آخرون وأهمهم:

١ـ البلاغيون:

أسهم البلاغيون بجهد وافر فى دراسة الأصوات اللغوية ويتجلى ذلك فى موضوعين أساسيين:

أولا: أن الكلمة القرآنية فى تركيبها الصوتى تمثل وجها من وجوه الإعجاز القرآنى ويمثل هذا الاتجاه مَنْ كتبوا فى إعجاز القرآن ونذكر منهم: القاضى أبوبكر الباقلانى (القرن الرابع الهجرى فى كتابه "إعجاز القرآن") حيث ذكر فى الفصل الخاص بـ"وجوه إعجاز القرآن" كثير من المباحث الصوتية المتعلقة بتأليف الكلمة القرآنية كما ذكر كثيرا من مخارج الحروف وصفاتها مبينا سر اختيار حروف معينة لفواتح السور وذكر أن الحروف التى بُنى عليها كلامُ العرب ثمانية وعشرون حرفا وعدد السور التى افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف فى أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ليدل بالمذكور على غيره.." (١).

كما عرض لدراسة الحروف المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة وطبق ذلك على الحروف المبدوء بها السور وكان من نتائج

---

(١) الباقلانى ــ إعجاز القرآن / ٨١ (ط الحلبى الرابعة).

ذلك أن الحروف التى بدأ بها أوائل السور تشتمل على نصف كل من: المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة وذلك يدل دلالة واضحة على أن حروف القرآن الكريم وألفاظه موضوعة بحكمة بالغة ودقة عجيبة الأمر الذى من أجله لا يستطيع البشر أن يأتوا بأقصر سورة منه، وأكد لنا الباقلانى بهذه الدراسة: الصلة الوثيقة بين دراسة الأصوات والدراسات البلاغية.

ثانيا: المظهر الثانى من المظاهر التى اعتمد عليها البلاغيون فى دراستهم للأصوات أنهم حين تحدثوا عن فصاحة الكلمة ذكروا أن من وجوه فصاحة الكلمة خلوها من تنافر الحروف "والتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللسان وعسر النطق بها كما روى أن أعرابيا سُئِل عن ناقته فقال تركتها ترعى "الهُعْخُعْ"[1] ، ومنه ما هو دون ذلك كلفظ "مُستَشزِرَات" فى قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا ∴ تضل المدارى فى مثنى ومرسل[2]

٢ـ علماء القراءات والتجويد:

أما علماء القراءات والتجويد فلهم فضل عظيم وأثر بالغ فى الدراسات الصوتية ذلك أن القراءات والتجويد تطبيق عملى لثبات الأصوات والحفاظ عليها ـ لاسيما ـ وأن ابن مسعود (ت٣٢هـ)

---

(١) اسم شجر.

(٢) الغدائر: ذوائب الشعر ـ المستشزرات: المرتفعات، المدارى جمع مدرى وهى الأمشاط، المثنى: المفتول، المرسل: غير المفتول.
والشاهد نقل كلمة "مستشزرات" حيث توسطت الشين بين التاء والزاى إلى جانب قرب مخارج الحروف. انظر بغية الإيضاح ١/ ١٢، ١٣.

الصحابى الجليل أول من حث المسلمين علـــى تحســين الأصـــوات وتزيينها بقراءة القرآن الكريم فى الحديث المشهور المتواتر عن علماء القراءات "جَوِّدوا القرآن وزَيِّنوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربى والله يحب أن يُعرب به"[١].

ولقد أسس علم القراءات مبكرا وتفانى علماؤه فى خدمتـــه منـذ نزول الحديث المشهور فى البخارى ومسلم "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه"[٢].

ولقد كان أبوعبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـــ) أول مـــن جمـــع القراءات فى كتاب.

ومنذ أن ألفت الكتب فى هذا الفن ــ كالنشر فى القراءات العشر ــ نرى أن كل كتاب منها لا يخلو من حديث مستقل متعلق بالدراسات الصوتية كالحديث عن مخارج الحروف وصفاتها وأحكامهـــا وطـــرق القراءة وغير ذلك من المباحث الصوتية.

وعلى سبيل المثال نذكر "ابن الجزرى" (ت/٨٣٣هـــ) فى كتابـــه "النشر فى القراءات العشر".

وقد اعتبر "ابن الجزرى" المباحث الصوتية فى كتابه بأنها فوائد لابد منها لمريد هذا العلم[٣].

---

(١) النشر فى القراءات العشر ــ ابن الجوزى ١/ ٢١٠.
(٢) نفسه ١/ ١٩ وما بعدها.
(٣) النشر فى القراءات العشر ــ ابن الجزرى ــ ١/ ١٩٨.

وقد بدأ ـ ابن الجزرى ـ هذه المباحث بالحديث عن مخارج الحروف وذكر اختلاف العلماء فى عدها مرجحا رأى الخليل وغيره فى أنها سبعة عشر مخرجا.

وقد وَسّع ـ ابن الجزرى ـ وزَاد في توضيح هذه المخارج عما قاله الخليل وسيبويه وابن جنى وغيرهم.

وبعد أن ينتهى ـ ابن الجزرى ـ من الحديث عن مخارج الحروف يذكر الحروف الفرعية على أنها من أنواع القراءات فيقول:

"ولبعض هذه الحروف فروع صحت القراءة بها فمن ذلك: الهمزة المسهلة بين بين فهى فرع عن الهمزة المحققة ومذهب سيبويه أنهما حرف واحد نظرا إلى مطلق التسهيل وذهب غيره إلى أنها ثلاثة أحرف نظرا إلى التفسير بالألف والياء والواو ومنه ألفا الإمالة والتفخيم وهما فرعان عن الألف المنتصبة وإمالة بين بين لم يعتدها سيبويه وإنما اعتد الإمالة المحضة وقال "التى تمال إمالة شديدة كأنها حرف آخر قَرُب من الياء.

ومنه الصاد المُشَمَّة وهى التى بين الصاد والزاى فرع عن الصاد الخالصة وعن الزاى.

ومنه اللام المخففة فرع عن المرققة وذلك فى اسم الله تعالى بعد فتحة وضمة وفيما صحت الرواية فيه عن ورش حسبما نقله أهل الأداء من مشيخة المصريين"(١).

---

(١) نفسه ١/ ١٩٨ ـ ٢٠٢ .

وحين يتحدث ــ ابن الجزرى ــ عن صفات الحروف نجده يخلط مصطلحات "علم التجويد" بمصطلحات "علم الأصوات" فيقول بعد ذكر الحروف المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة والمتوسطة "ومنها الحروف المستفلة وضدها المستعلية والاستعلاء من صفات القوة وهى سبعة يجمعها قوله "قظ خص ضغط" وهى حروف التفخيم على الصواب وأعلاها الطاء كما أن أسفل المستفلة "الياء" وقيل حروف التفخيم هى حروف الإطباق ولا شك أنها أقواها تفخيما وزاد مكى عليها الألف وهو وهم فإن الألف تتبع ما قبلها فلا توصف بترقيق ولا تفخيم والله أعلم"(١).

وابن الجزرى يأتى بمصطلحات صوتية لم يذكرها علماء الأصوات مثل إطلاق مصطلح "الخفية" على الأحرف الجوفية الهوائية مع خلط غيرها بها فيقول: "وحروف المد هى الأحرف الجوفية وهى الهوائية وتقدمت أولا وأمكنهن عند الجمهور الألف وأبعد "ابن الفحام" فقال "أمكنهن فى المد الواو ثم الياء ثم الألف والجمهور على أن الفتحة من الألف والضمة من الواو والكسرة من الياء.

فالحروف على هذا عندهم قبل الحركات وقيل عكس ذلك وقيل ليست الحركات مأخوذة من الحروف ولا الحروف مأخوذة من الحركات وصححه بعضهم.

---

(١) النشر ١/ ٢٠٢، ٢٠٣.

والحروف الخفية أربعة: الهاء وحروف المد سميت خفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها ولخفاء الهاء قويت بالصلة وقويت حروف المد بالمد عند الهمزة(١).

ثم ذكر ابن الجزرى بعد ذلك بقية صفات الحروف واختلاف العلماء فيها فذكر الانحراف والتفشى وختمها بالحديث عن الضاد فقال: "والحرف المستطيل هو الضاد لأنه استطال عن الفهم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء"(٢).

وبذلك يكون علماء القراءات والتجويد قد أسهموا بدور فعال فى ميدان الدراسة الصوتية والذى يتسم به منهج علماء القراءات فى الحديث عن الأصوات هو الناحية التطبيقية ـ لاسيما ـ أن فن "القراءات" من الفنون التى تبقى على مر الأزمان وتوالى الأجيال ـ خدمة للقرآن الكريم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣).

٣ـ علماء التشريح والطب:

إن علوم التشريح والطب تتعرض لدراسة أعضاء النطق من الناحية الفسيولوجية فتتعرف على مواطن الضعف التى تصيب العضو

---

(١) نفسه ١/ ٢٠٤ .
(٢) النشر ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
(٣) الحجر آية / ٩ .

وتعمل على علاجها مما يساعد على تحسين الأصوات وإعادتها لوضعها الطبيعى.

ومن علماء الطب والتشريح الذين تعرضوا لدراسة الأصوات من الناحية الفسيولوجية العالم الشهير ـ الحسين بن عبدالله بن سينا (ت٤٢٨هـ)، ومن مؤلفاته فى الأصوات رسالته المعروفة فى هذا الميدان وهى "أسباب حدوث الحروف[١] وهى مكونة من ستة فصول:

الأول: فى سبب حدوث الصوت.

الثانى: فى سبب حدوث الحرف .

الثالث: فى تشريح الحنجرة واللسان.

الرابع: فى الأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب.

الخامس: فى الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست فى لغة العرب أى أصوات سمعها فى غير العربية شبيهة بالحروف العربية ومن ذلك:السين الصادية والزاى السينية والراء الغينية والزاى الظائية.

أما السادس: فقد بين فيه أثر عوامل الطبيعة فى إحداث هذه الأصوات من غير النطق فمثلا: تسمع العين من كل إخراج هواء بعنف من مخرج رطب والحاء عن حك كل جسم لين حكا بالقشر بجسم صلب..." [٢].

---

(١) مقدمة أسباب حدوث الحروف ـ طه عبدالرءوف سعد ٥، ٦ .

(٢) أسباب حدوث الحروف/ ٢٦ وما بعدها.

من هذه الدراسة القيمة التى قدمها ــ ابن سينا ــ للأصوات العربية يتضح لنا هذا الجهد الكبير الذى أضافه علماء التشريح والطب خاصة فى الفصل الأخير الذى جعل فيه الأصوات جزءا لا يتجزأ من الطبيعة نفسها حيث إن هناك حركات فى الطبيعة تشبه تماما تلك الحروف(١) .

فمثلا الطاء تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هناك هواء له دوى ويسمع عن القلع أيضا مثله والتاء عن قرع الكف بأصبع قرعا بقوة ..."(٢).

---

(١) تحدث عن هذه الرسالة بإسهاب د/ أنيس فى الأصوات اللغوية/ ١٣٧ ــ ١٥٤ كما تحدث عنها بإيجاز د/ أحمد مختار عمر فى البحث اللغوى عند العرب ٩٩، ١٠٠ .

(٢) انظر أسباب حدوث الحروف / ٢٦ .

المستشرقون وجهودهم فى خدمة الأصوات العربية:

بعد أن تحدثنا عن علماء العربيـة وجهـودهم فـى الدراسـات الصوتية ينبغى أن لا نغفل دور المستشرقين فـى تطـور الدراسـات الصوتية عند العرب فنقول:

كان للمستشرقين جهود بارزة في هذا المجـال حيـث تناولـت بحوثهم: دراسة تطور الأصوات فى اللهجات العربية القديمة والعامية الحديثة ودراسة أصوات الطفل الساذجة إلى أن تصبح أصواتا لغويـة كاملة ودراسة جهاز الصوت الإنسانى من حيث ما يعرض فيـه مـن نقص يؤدى إلى عجز بعض الأشخاص عن نطق بعض الحروف وما يحدث من اللثغة في الراء وغيرها وعوامل تطور الأصوات اللغويـة فى البيئات والأزمان المختلفة ونقد مادة اللغة بمقاييس صوتية لتنقيـة المعجمات من الكلمات المتنافرة الأحـرف أو التـى لا تحسـن فـى السمع(١)..الخ .

وقامت نهضة الدراسة الصوتية للعربية فى العصر الحديث على جهود علمائنا القدامى وجهود الدراسات الصوتية عنـد المستشـرقين حتى ضارعت الدراسات الصوتية الحديثة عند الغربيين(٢).

---

(١) انظر مقدمة المحققين لسر الصناعة/ ١٩ .
(٢) انظر ما يأتى صـ ٢١٢ .

٤- البحث الصوتى عند الغربيين:

عرفنا ــ فيما سبق ــ الجهود البارزة فى الدراسات الصوتية لكل من الهنود والعرب خاصة فى العصور القديمة ولم يؤثر عن الأوربيين ــ آنذاك ــ جهود تذكر فى هذا المجال اللهم إلا جهود بسيطة عند اليونانيين (أى الإغريق وتلامذتهم الرومان) تختلط فيها الفلسفة بالدراسات الصوتية كتقسيم الأصوات إلى أصوات ساكنة مجهورة ومهموسة وأصوات علة (لين) (١).

ومن هنا يقول المستشرق برجشتراسر "لم يسبق الغربيين فى هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند يعنى البراهمة والعرب"(٢).

ويقول "فيرث" الإنجليزى: "إن علم الأصوات قد نما وشب فى خدمة لغتين مقدستين هما: السنسكريتية والعربية"(٣).

وفى العصور الوسطى "كان البحث فى الأصوات يشكل جزءا من أجزاء النحو بمعناه العام الذى كان يعنى حينذاك علم الكتابة والقراءة الصحيحين وكانت غايتها الكشف عن كيفية تكون المقاطع الصوتية من الحروف وتكون الكلمات من المقاطع وتكون الجمل من الكلمات ونطق ذلك كله بطريقة صحيحة"(٤).

---

(١) انظر البحث اللغوى/ ٦٠، وعلم اللغة العام / ٨٤، ٨٥ .

(٢) التطور النحوى للغة العربية ــ برجشتراسر / ٥ (ط/ المركز العربى للبحث والنشر) .

(٣) البحث اللغوى / ١٠١ .

(٤) مقدمة فى أصوات اللغة العربية/ ١٧ .

وفى ذلك الوقت انقسمت مباحث علم النحو إلى: كيفية الإملاء، الاشتقاق، تركيب الجملة، الأداء الصوتى وظهرت جهود صوتية تهدف إلى تقسيم الأصوات إلى قسمين: أحدهما ما يترتب على اختلافه اختلاف المعنى وهو ما يعرف بالوحدات الصوتية phonemo والثانى ما لا يترتب على اختلافه اختلاف المعنى وهو ما يعرف بالصور الصوتية phones كما عرف فى ذلك الوقت أيضا الحركات فى اللغة الأيسلندية واختلاف الزمن الذى يستغرقه نطق الحروف الصامتة .

وفى القرن السابع عشر تقدمت الدراسات الصوتية بعد أن كانت فى القديم مبنية فى أساسها على الجانب النطقى بوصفه الوسيلة المتاحة التى يمكن الاعتماد عليها ثم استعان العلماء بعد ذلك بعلم التشريح وعلم الأحياء والفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) لتوثيق نتائج بحوثهم(١) وأطلق على تلك الدراسات حديثا "علم الأصوات الفسيولوجى".

أما علم الأصوات الأكوستيكى أو الفيزيائى فهو حديث العهد بالوجود نسبيا ويمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقى والسمعى كما أن وظيفته تقتصر على المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع.

---

(١) الأصوات د/ بشر ١٦، وقارن بدراسات فى التجويد والأصوات/ ٢٠، ومقدمة فى أصوات اللغة العربية/ ١٨، ٢٠ .

ولقد أحدث علم الأصوات الفيزيائى ثورة فى الدرس الصوتى من جوانب ثلاثة:

١ - الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة من قبل.

٢ - تعديل مناهج الدرس وطرقه وتغيير ملحوظ في آرائهم وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات.

٣ - تأييد بعض الحقائق التى توصلوا إليها بالطرف التقليدية وتأكيد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق.

وفى القرن الثامن عشر ظهر علم الأصوات التجريبى أو الآلى الذى يعتمد التجارب والآلات في قياس الأصوات وتحويل الكلام المنطوق إلى كلام مكتوب آليا، وفى القرن التاسع عشر زاد الاهتمام بمسائل هذا العلم وكان من أهم الدوافع إلى استخدام الآلات، والأجهزة اعتقاد البعض بأن الأذن الانسانية ليست وسيلة كافية للكشف عن حقائق الصوت.

وفى هذا القرن ظهرت البحوث الصوتية التاريخية والمقارنة والبحوث التى تهتم بالصوت الإنسانى كظاهرة طبيعية وفسيولوجية يمكن إخضاعها للتجربة العملية كما أنشىء أول معمل صوتى فى جامعة باريس ١٨٩٧م[١].

---

(١) نفسه.

وفى القرن العشرين زاد اهتمام اللغويين فى الغرب بالدراسات الصوتية فاختلفت مناهجها وزادت استفادتها بغيرها من العلوم الأخرى مثل الطب وهندسة الاتصالات وزادت استفادة هذه العلوم بجهود الصوتيين فاستفاد الأطباء بهذه الجهود فى علاج حالات الصم والبكم واستفاد المهندسون من حقائق علم الأصوات فى كثير من المخترعات الحديثة الخاصة بالاتصالات السلكية واللا سلكية.

كما ظهرت المدارس الصوتية فى هذا القرن كالمدرسة الفونولوجية التى اهتمت بالتفريق بين الفونيم phonem أى الوحدة الصوتية وبين الفون phon أى الصورة الصوتية فالأول من عناصر اللغة langue والثانى من عناصر الكلام parole ومن رواد هذه المدرسة "تربتسكوى، ياكبسون، شاليكه".

ومن المدارس الصوتية أيضا: المدرسة الفرنسية وأهم أهدافها: الربط بين وظائف الأصوات (الفونولوجى) والأصوات ذاتها (الفوناتيك) ومن روادها "مارانتينيه"، "بواتيه"[١].

---

(١) مقدمة فى أصوات العربية ٢٠، ٢١، وعلم اللغة العام ١٠٨ ــ ١١٣ .

خامسا : الدراسات الصوتية واللغوية

الكلمة تتكون من أصوات تُنْطَق، فكلمة "فَهِم" تتكون من أصوات: الفاء والهاء والميم وكل صوت من هذه الأصوات يمكن النطق به وحده فيقال أَفْ ، أَهْـ ، أَمّ وعلى هذا فالصوت اللغوى "هو أصغر وحدة كلامية يمكن النطق بها"(١) ومن هنا فالصوت اللغوى هو الأساس الذى تُبْنى عليه كل الدراسات اللغوية والدراسات الصوتية تعتبر أهم فروع الدراسات اللغوية على اختلاف أنواعها(٢).

ويمكن تقسيم الدراسات الصوتية إلى مرحلتين:

١- المرحلة الأولى:

وتعنى بدراسة المادة الصوتية ذاتها وتسجيلها والعملية العضوية الفسيولوجية فى إصدارها وبيان أقسامها وفصائلها وما تعتمد عليه من أعضاء النطق وطريقة إحساس السامع بها ومثل ذلك يسمى بالفوناتيك(٣) phonetics ، وما يدخل فى هذا الإطار من دراسات متعلقة بنطق اللغة وإصدار الأصوات من فم المتكلم يسمى بعلم أصوات الكلام.

---

(١) سيأتى توضيح الفرق بين الصوت والحرف والفونيم والفون ص١٦٧ .

(٢) هناك فروع متعددة للدراسات اللغوية تبدأ بالدراسات الصوتية ثم الصرفية ثم النحوية وأخيرا الدلالية وقد فصلت القول فى ذلك تحت عنوان "مستويات التحليل اللغوى" فى كتابنا علم اللغة بين القديم والحديث ص٢٠ ـ ٢٨ ط/الثانية.

(٣) انظر علم اللغة (وافى) / ٦ وما بعدها وعلم اللغة العام الأصوات د/ بشر ٢٣ وما بعدها.

٢ـ المرحلة الثانية:

وتعنى بدراسة المادة الصوتية للوصول بذلك إلى قواعد وقوانين عامة وظواهر تحكم المادة الصوتية وتنظمها وتوضح قيمتها ووظيفتها ومثل تلك الدراسات تسمى الفنولوجى[١] phonology ، وما يدخل فى هذا الإطار من بحوث متعلقة بحسن تأليف الأصوات وتناسقها يسمى بعلم أصوات اللغة .

وعلم الأصوات يطلق على الدراسات الصوتية فى المرحلتين معا وإن كان البعض يجعل المرحلة الأولى خاصة بعلم "الأصوات" والمرحلة الثانية خاصة بعلم "الصوتيات" وعلم "الأصوات" عنده هو: دراسة عملية لموضوع مدرك بالحواس أو: دراسة أصوات اللغة أو دراسة التغيرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها ويشمل تسجيل الأصوات وملاحظتها بعد إصدارها من المتكلم ، أما علم "الصوتيات" فيهتم بتنظيم المادة المسجلة والعلاقات بينها والوظيفة التى يؤديها كل حرف فيها وما ينتج عن ذلك من التجانس والتآلف أو التباعد والتنافر أو المماثلة والمخالفة والقوانين التى تحكم الظواهر الصوتية إلى غير ذلك[٢].

وقد يطلق على المرحلة الأولى "علم الأصوات العام" وعلى الثانية "علم الأصوات التشكيلى"[٣].

---

(١) الأصوات د/ بشر ٢٣، وأسس علم اللغة ــ ماريوباى ٤٦ .
(٢) انظر اللغة العربية ــ مبناها ومعناها د/ حسان ٤٦ وما بعدها ، وأسس علم اللغة ــ ماريوباى ٤٦ .
(٣) فى علم اللغة العام د/ عبدالصبور شاهين ١٠٥، ١٠٦ .

هذا وقد تنوعت البحوث والدراسات الصوتية فى العصر الحديث حيث التقدم العلمى الكبير واستخدم الأجهـزة والآلات فـى البحـث والاستعانة بالعلوم المختلفة كالتشريح وعلم الأحياء والفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء).... الخ ٠

سادسا : مناهج البحث فى الدراسات الصوتية[١]

كانت أذن الإنسان ــ هى أداة عالم الأصوات فى القديم وما زالت إلى الآن ــ وقد شاركها فى عصرنا الحديث الأجهزة والمعامل الصوتية وتنوعت مناهج البحث فى الأصوات ــ قديما وحديثا ــ على النحو التالى:

١ - المنهج الوصفى أو الملاحظة الذاتية (علم الأصوات الوصفى) ويهتم بوصف الأصوات وصفا ذاتيا مع تسجيلها ووصف الظواهر العامة التى تحكمها وهذا المنهج قديم فى الدراسات الصوتية وقد اتبعه علماء اللغة القدامى كالخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) وسيبويه (ت١٧٧هـ)، وابن جنى (ت٣٩٢هـ) فى دراساتهم الصوتية ، ويعبر عنه العلماء بالذوق أى ذوق الحروف بتجربة نطقها والتأمل الذاتى فى موضع تكون كل حرف وصفاته وهيئات أعضاء الجهاز الصوتى معه ومن ذلك قولهم فى كيفية نطق الحرف ومعرفة موضعه: أن نسكنه وندخل عليه همزة الوصل بأى حركة ونتسمعه مثل: أب وأت فى معرفة مخرج الباء والتاء ..الخ[٢].

وهذا المنهج ليس خاصا بدراسة الأصوات فقط بل قد يستخدم فى العلوم الأخرى وخاصة العلوم الطبيعية.

---

(١) المنهج: الطريقة أى طريقة علماء الأصوات فى دراستهم لأصوات اللغة . راجع كتابنا دراسات فى علم اللغة ص١، ومناهج البحث فى اللغة د/تمام حسان ٧٧ .

(٢) انظر المختصر فى أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل/ ١٧ .

ولا يزال المنهج الوصفى إلى يومنا هذا يستخدم فى الدراسات الصوتية وإن كانت الاستفادة به أصبحت قليلة مع التقدم العلمى فى العصر الحديث.

وقد أخذت على هذا المنهج بعض العيوب كعدم الدقة التامة لاعتماده على الأذن فى التسجيل وذلك بخلاف الأجهزة الدقيقة المستخدمة فى الدراسات الصوتية الحديثة(١).

٢ـ المنهج التاريخى (علم الأصوات التاريخى) :

ويعنى بدراسة أصوات اللغة المعينة فى فترات متعددة ملاحظا التغييرات التى تطرأ عليها فى تاريخها والتطورات التى تصيبها فى مسارها التاريخى لوضع القوانين التى تحكمها خلال عصورها المختلفة(٢).

فهو لا يقتصر على دراسة الأصوات فى فترة معينة وفى مكان معين مثل المنهج الوصفى بل لابد من دراسة الأصوات فى فترات معينة لكى تتم معرفة التغيرات التى تطرأ عليها .

٣ـ المنهج المقارن (علم الأصوات المقارن) :

يقوم هذا المنهج بمقارنة أصوات اللغة والظواهر الصوتية بعضها ببعض وذلك فى لغة واحدة أو لغات متعددة إما فى الماضى أو

---

(١) انظر دراسات فى التجويد والأصوات / ٢٦، ٢٧، وقارن بعلم اللغة العام (الأصوات) د/ بشر ٢٦ .

(٢) اللغة العربية عبر القرون/ ٨ وما بعدها.

في الحاضر وذلك لمعرفة أوجه الشبه والخلاف بين الأصوات المقارنة٠

٤ـ المنهج التجريبى أو الآلى أو المعملى: (علم الأصوات التجريبى) La phonetique experimentale:

ويعتمد هذا المنهج على إجراء التجارب المختلفة بوساطة الوسائل والأدوات الفنية وذلك للوصول إلى الدقة التامة فى النتائج لتلك الدراسات٠

وهذا المنهج حديث ظهر فى القرن التاسع عشر وقد ساعد على تقدمه أن الأذن الإنسانية ليست من الدقة التامة التى تعدل الآلات والأجهزة فى الكشف عن تسجيل الصوت ووصف حقائقه٠

كما ساعد على تقدم هذا المنهج وبروزه التقدم العلمى الهائل فى استخدام الأجهزة والآلات ولاسيما التقدم فى علم الأصوات الفيزيائى الذى كان له أكبر الأثر فى تقدم الدراسات الصوتية حيث:

١ - كشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة٠

٢ - وعَدّل بعض مناهج الدرس الصوتى٠

٣ - وأيّد بعض الحقائق التى توصل إليها العلماء بالطرق التقليدية(١)٠

هذا وقد انقسمت الطرق المستخدمة فى المنهج التجريبى قسمين:

---

(١) انظر: الأصوات د/ بشر ١٨، وقارن بدراسات فى التجويد والأصوات ٢٢

طريقة التدوين المباشر والعلامات:

١ـ **التدوين المباشر:** أى تسجيل الأصوات بدقة تامة أثناء نطقها عن طريق أجهزة بها نقف على مخارج الحروف، ومن هذه الأجهزة:

السقف (الحنك) الصناعى: وتسمى هذه الطريقة "البلاتوجرافيا" palatography:

وهو آلة على شكل سقف الحنك يغطى ظاهرها بطبقة من الحكك (الجير) أو ما شاكله وتركب فى الفم بحيث يكون باطنها ملصقا بسقف الحنك وعندما ينطق الشخص بحرف من الحروف التى يشترك فيها اللسان مع سقف الحنك يتصل اللسان بسقف الحنك تاركا فى المادة الجيرية أثرا وموضحا بالتحديد مكان مخرج الحرف.

غير أنه يلاحظ على هذا النوع من الأجهزة أنه قاصر على الأصوات التى تشترك فى نطقها اللسان والحنك الأعلى ولا يتأتى مع الأصوات الحلقية والشفوية ولذلك استخدم العلماء أجهزة أخرى أعم فائدة(١).

أشعة إكس:

استعان العلماء بالتصوير بهذه الأشعة فى رؤية شكل الفراغ الحلقى عند نطق أصوات الحلق وأصوات اللين بوضع شريط معدنى رقيق على ظاهر اللسان(٢).

---

(١) انظر علم اللغة/ ٤٣، ومناهج البحث فى اللغة ٨٣، ٨٤ .
(٢) انظر دراسات فى التجويد والأصوات / ٢٩ .

٢ـ العلامات :

وتهدف هذه الطريقة إلى الوقوف على خواص الصوت من حيث نبرته وقوته وشدته ومدته وما إلى ذلك عن طريق أجهزة تسجل هـذه الخواص بعلامات وخطوط دقيقة مميزة لخواص الصوت ويتكون كل جهاز من أجهزة هذا النوع من الأجزاء الآتية:

أ ـ **الكاشف**: ويوضع على العضو المراد دراسة حركته فى أثناء النطق فيسجل كل خواص الصوت المميزة له.

ب ـ **المُدَوِّن**: وهو قلم متصل بالكاشف يتحرك بحركات تمثل فـى اتجاهاتها وأشكالها وأطوالها حركات العضو.

جـ ـ **المُسَجِّل**: وهو أسطوانة تدور حول محورها يخط عليها المدون الخطوط السابق ذكرها والهدف من دورانها فصل الخطوط بعضها عن بعض.

ولكل جهاز من الأجهزة فى هذا النوع نظام خاص ومن الممكن تعددها فى أثناء النطق فيوضع جهاز للرئة وآخر للقصبـة الهوائيـة وثالث للحنجرة وهكذا وعلى ضوء الخطوط التى تظهر فى سـجلات هذه الأجهزة نستطيع أن نقف على خواص الصوت المطلوبة.

وبالإضافة إلى أجهزة إنتاج الأصوات الصناعية السابقة ظهرت فى أواخر القرن العشرين معامل صوتية فى مصر كان لها دور كبير فى النهوض بعلم الأصوات التجريبى مثل معمل الأصوات فى جامعة الإسكندرية (كلية الآداب) ومعمل الأصوات فى جامعة القاهرة (كليـة دار العلوم) وتنوعت الآلات والأجهـزة الأكوسـتيكية والفسـيولوجية لقياس الأصوات وتسجيلها ومعرفة نوعها ومنها:

١ - راسم الذبذبات oscillograph جهاز شبيه بالتلفزيون غير أنه يتلقى الإشارات من ميكروفون أمام فم المتكلم.

٢ - جهاز رسم الأطياف spectrograph يعطى تسجيلات بصرية ثابتة لتتابع أصوات الحدث الكلامى فى شكل خطوط متعرجة مختلفة التركيز تبعا لقوة الذبذبات الصوتية الموجهة وعن طريقها يمكن تحديد نوع الصوت وقوته والنغمة التى نطق بها.

٣ - الكيموجراف Kymograph من الآلات الفسيولوجية المستعملة لتسجيل الأشكال المتنوعة للعملية النطقية وله أشكال مختلفة.

٤ - المِجْهَر الحَنْجَرِى Laryngos cope ووظيفته رصد حركة الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت ونعرف به جهر الصوت من همسه[١].

تعقيب:

وعلى الرغم من دقة النتائج التى يصل إليها الباحث عن طريق المنهج التجريبى إلا أنه من الصعب استخدامه فى الحالات الطبيعية "فالناس لا يتكلمون وفى أفواههم أحناك صناعية ولا يتفاهمون وهم يضعون فى أفواههم آلات"[٢].

وينبغى علينا أن نفيد من كل جديد عن طريق هذا المنهج يؤكد حقيقة صوتية قررها القدماء أو يضيف إضافة مناسبة للتطور العلمى فى ضوء الحقائق الصوتية الثابتة.

---

(١) انظر دراسة الصوت اللغوى ٣٤ ـــ ٣٨ وقارن بالمختصر ١٧ ـــ ٢٠ .

(٢) انظر دراسات فى التجويد والأصوات/ ٣، وعلم اللغة د/ وافى/ ٤٣، ٤٤، ومناهج البحث فى اللغة/ ١٠٤ وما بعدها.

سابعا : أهمية الدراسات الصوتية

١ـ دراسة الأصوات أساس الدراسات اللغوية:

تمثل الأصوات اللبنات الأولى للغة وذلك أن الكلمة تتكون من أصوات مختلفة والجملة تتكون من كلمات والعبارات تتكون من جمل وهكذا.

ومن ثم فدراسة الأصوات ومعرفة خصائصها وطريقة أدائها هو حفظ للغة كلها وأساس للدراسات اللغوية بفروعها المختلفة(١).

والدراسات اللغوية متنوعة وكل نوع منها يؤدى وظيفة هامة فى اللغة وفى المحافظة عليها.

فنجد الدراسات الصرفية التى تهتم ببنية الكلمة والنحوية التى تهتم بموقع الكلمة فى الجملة والبيانية التى تعول على ذوق الكلمات وهل هى حقيقة فى استعمالها أو مجازية؟ أما الدراسات الأدبية فتهتم بنوع الأساليب شعرية أم نثرية وخصائص كل أسلوب وهكذا.

ولا تقل أهمية الدراسات الصوتية شأنا عن فروع الدراسات اللغوية الأخرى إن لم تكن أهمها جميعا وذلك أن الخطأ النحوى أو الصرفى من الممكن علاجه أما الخطأ النطقى فيصعب علاجه وهذا ما نلاحظه من أن الطفل إذا ثبتت أعضاء نطقه على خطأ فى النطق فيظل هذا الخطأ يلازمه بقية حياته، ومن هنا تبرز أهمية الدراسات الصوتية(٢).

---

(١) انظر فى علم اللغة العام د/ عبدالصبور شاهين ١٠٣ .

(٢) انظر علم اللغة (الأصوات) د/ بشر ١٦٨، ودراسات فى التجويد/ ٩ .

٢ ـ المحافظة على صحة الأداء القرآنى:

ومن الدوافع الهامة التى تحثنا على دراسة الأصوات أنها تحافظ على خدمة القرآن الكريم بالحفاظ على أحكام قراءته وإخراج حروفه من مخارجها وإعطاء كل حرف حقه فى النطق إلى غير ذلك من الأحكام التجويدية الخاصة بالأصوات كالتفخيم والترقيق... الخ.

٣ ـ ضرورة الدراسة الصوتية للدراسات النحوية والصرفية والبلاغية:

قلنا آنفا ـ إن الصوت أساس الكلمة وعلم الصرف يبحث فى بنية الكلمة ومعرفة أحوال الحروف من حيث الأصالة والزيادة والصحة والعلة معتمدا فى ذلك على ما يقدمه له علم الأصوات من حقائق صوتية وكذلك علم النحو يعتمد على الدراسات الصوتية فى معرفة مقاييس الكلام فى انسجامه وحسن تأليفه إلى غير ذلك[١].

أما علم البلاغة فيعتمد على الأصوات فى وضع المقاييس الخاصة بتنافر الحروف أو تآلفها إلى غير ذلك.

٤ ـ الدراسات الصوتية وسيلة من وسائل تعليم اللغة الفصحى ويتجلى ذلك فى ثلاث مظاهر:

أ ـ يتلقى الطفل اللغة من المحيطين به وعند فترة التقليد اللغوى عند الطفل من بداية السنة الثانية إلى نهاية السادسة تقريبا وفى تعلم الطفل للغة يصعب عليه فى البداية النطق ببعض الأصوات كالراء مثلا ويظل يصحح لنفسه حتى يصل إلى النطق الصحيح فينبغى على

---

(١) انظر أصوات اللغة العربية د/ عبدالغفار هلال / ٩ .

القائمين بأمره أو المعلمين له أن يصححوا له الخطأ فى النطــق وإلا لزم هذا الخطأ الطفل طوال حياته[١].

ب ـ تعلم اللغة الفصحى للعرب وغيرهم:

هناك طائفة من الناس ينبغى عليهم إتقان قواعــد الأداء الســليم والنطق الصحيح للأصوات وذلك لقوة تأثيرهم فــى غيــرهم وكثــرة تعرضهم لمواجهة الجماهير كالخطبــاء والمحاضــرين والمحــامين والقضاة والمذيعين والممثلين والمعلمين وغيرهم فيجب تدريب هؤلاء على النطق الصحيح محافظة على الفصــحى كمــا ينبغــى العنايــة بالمتعلمين خاصة فى مراحلهم الأولى وتعليمهم اللغة المشتركة الخالية من الصفات الصوتية للهجات المحلية[٢].

جـ ـ تعلم اللغات الأجنبية:

كذلك من أهمية الدراسات الصوتية معرفة صحة الأداء الصوتى للغة المراد تعلمها ومعرفة الفرق بــين أصــوات اللهجــة الفصــحى واللهجات المحلية حتى يكون تعلم اللغة على أساس ســليم ولا يخلــط المتعلم بين أصوات لغته وأصوات اللغة الأجنبية التى يتعلمها بســبب تأثره بعاداته النطقية.

ومن أمثلة ذلك بعض الأخطاء الشائعة فى نطق تلاميذ المراحل الأولى من التعليم لأصوات اللغة الإنجليزية ومنها:

---

(١) راجع الأصوات اللغوية د/ أنيس ٢٢٤ وما بعدها.

(٢) علم اللغة (الأصوات) ١٧٣ وما بعدها، وقارن بأصوات اللغة العربيــة ١١ ــ ١٣.

١ - يميل بعض المتعلمين إلى نطق الصوت الإنجليـزى (P) كما لو كان مجهورا وإلى نطق الصوت (V) كما لو كـان مهموما وذلك بسبب تأثر هؤلاء المتعلمين بنطق نظيرهما فى اللغـة العربيـة وهما الباء (B) وهو صوت مجهور والفاء (F) وهو صوت مهموس.

٢ - يخطئ العرب بعامة فى نطق الـراء الإنجليزيـة إذ هـم يظهورنها فى النطق فى كل المواقع تقريبا والصحيح فى الإنجليزيـة النموذجية أن الراء لا تنطق إذا وقعت طرفا كما فى (singer) أو فى وسط الكلمة غير متبوعة بحركة مثل (Garden) وإنما تنطق الـراء فى الإنجليزية إذا أتبعت بحركة مثل (Right Present) (١) .

ومما سبق يتضح لنا بجلاء أهمية الدراسات الصوتية التى ينبغى أن نوليها كل اهتمامنا وعنايتنا.

---

(١) الأصوات د/ بشر ١٧٦، ١٧٧، وقارن بالأصوات اللغوية د/ أنيس ٢٦٣ ـ ٢٦٥ .

الفصل الأول

علم الأصوات وجوانبه

الفصل الأول

علم الأصوات وجوانبه

لعلم الأصوات تعريفات عدة لاعتبارات مختلفة .

فالبعض يعرفه من الناحية العامة بأنه : "العلم الذى يدرس ويحلل ويصنف الأصوات الكلامية من غير إشارة إلى تطورها التاريخى وإنما فقط بالإشارة إلى كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها" وهذا التعريف أشرنا إليه فيما سبق وقلنا إنه يطلق على الدراسات الصوتية فى مرحلتى الفوناتيك والفونولجى وأن المرحلة الأولى تطلق على "علم الأصوات" والثانية تطلق على "علم الصوتيات" وعلم الأصوات عنده "دراسة عملية لموضوع مدرك بالحواس"(١).

والبعض يعرفه من الناحية التاريخية بأنه "دراسة التغيرات والتحولات التى تحدث فى أصوات اللغة نتيجة تطورها فى عصورها المختلفة".

التعريف الأول لعلم الأصوات العام فرع من فروع علم اللغة الوصفى ويشمل علم الأصوات النطقى والفيزيائى أو الاكوستيكى أو السمعى والتجريبى وما بعد الإنتاجى والإنتاجى والوظائفى.

والتعريف الثانى لعلم الأصوات التاريخى والبعض يجعل التعريفين مترادفين فيستعمل أحدهما مكان الآخر(٢).

---

(١) انظر صـ١٥ .

(٢) انظر أسس علم اللغة ٤٦، ٤٧، وقارن بالأصوات ١٥، وما بعدها.

وإذا نظرنا إلى عملية الكلام أى أحداثه بين المتكلم والسامع وجدناها تنتظم خمسة أحداث متتالية مترابطة هى:

١ - الأحداث النفسية التى تجرى فى ذهن المتكلم قبل الكلام أو أثناءه.

٢ - عملية إصدار الكلام.

٣ - انتقال الكلام عن طريق الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع.

٤ - عملية استقبال هذه الموجات والذبذبات الصوتية عن طريق الجهاز السمعى.

٥ - العملية الذهنية التى تحدث عند استقبال المخ لتلك الموجات الصوتية حيث يقوم الذهن بترجمة الأصوات وتفسيرها[١].

إن الأحداث السابقة ليست مجردة بل إن المرحلة الأولى (الأحداث النفسية التى تسبق النطق) هى نتيجة إحساس المتكلم وشعوره ووجدانه وما يحيط به من أحداث تؤثر على نطقه وبالتالى على لغته.

والتفاهم بين المتلقى والسامع فيه أمور خفية أخرى لا ندركها فهو إعجاز إلهى من تكريم الله للإنسان: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء/ ٧٠) كما نبه القرآن الكريم على التركيز الذى ينبغى عليه

---

(١) انظر الأصوات د/ بشر ٩ .

المتلقى (السامع) من حضور الذهن والقلب وجودة الإصغاء قال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ (الحاقة/ ١٢) وقال: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق/ ٣٧) لأن هذه المرحلة الرابعة هى التى تسلمنا إلى المرحلة الخامسة حيث الدلالة اللغوية عن طريق العقل والمخ ومن هنا يقول ابن خلدون "السمع أبو الملكات" و"اللسان ابن الأُذُن"(١).

ولكن غالبية اللغويين حينما نظر إلى الكلام اللغوى بمستوياته المختلفة ـ (الأصوات، الصرف، النحو، المفردات) وأراد أن يدرس الأصوات المنطوقة بالفعل التى يمكن أن يجرى عليها البحث ـ رأى أنه ينبغى أن يستبعد من جوانب الأصوات السابقة الأول والخامس لأنها جوانب عقلية نفسية غامضة لا يمكن الحكم عليها ولا تخضع للبحث اللغوى(٢).

وأن يقتصر البحث فى جوانب الصوت اللغوى منذ صدوره من فم المتكلم إلى أن يصل إلى أذن السامع على الجوانب التالية:

١ - جانب إصدار الصوت ويمثله "جهاز النطق" ويدرسه علم الأصوات النطقى.

٢ - جانب الانتقال أو الانتشار فى الهواء أو الوسط الناقل للصوت ويدرسه "علم الأصوات الفيزيائى".

---

(١) انظر الجوانب الدلالية والفكرية فى الدائرة اللغوية الكلامية صـ٥٠٣ د/عبدالعزيز سالم الصاعدى بحث فى مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق العدد الأخير ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩.

(٢) نفسه / ٩، ١٠.

٣ - جانب استقبال الصوت أو الجانب السمعى ويدرسه "علم الأصوات السمعى" وسنتحدث ـ فيما يلى ـ بشيء من التفصيل عن هذه الجوانب.

أولا: إنتاج الصوت:

يصدر الصوت اللغوى من أعضاء فى الجسم نسميها "جهاز النطق" تبدأ هذه الأعضاء بالرئتين حيث يتكون عندها الصوت من مصاحبته للهواء الذى يندفع من الرئتين ثم يمر بالقصبة الهوائية التى تكيف الصوت وترسله إلى الحنجرة ثم باقى أعضاء النطق التى سنعرفها ـ بعد قليل ـ.

وقبل أن نتناول أعضاء النطق بالتوضيح ينبغى أن ننبه إلى شيئين:

الأول: أن أعضاء النطق الإنسانى بعضها ثابت وبعضها متحرك فالثابت: الأسنان واللثة والغار والجدار الخلفى للحلق.

والمتحرك: الشفتان واللسان من طرفه إلى لسان المزمار ثم الفك الأسفل والطبق ومعه اللهاة والحنجرة والأوتار الصوتية والرئتان[١].

الثانى: أن وظيفة هذه الأعضاء ليست قاصرة على النطق فقط ولكن لها وظائف أساسية أخرى فهى تقوم بدور هام فى عمليتى التنفس ومضغ الطعام واللسان مثلا وظيفته ذوق الطعام والأسنان من

---

(١) انظر دراسات فى فقه اللغ د/ صبحى الصالح ٢٧٦، والأصوات ٦٥ .

وظائفها قضم الطعام وطحنه ولذلك فإطلاق أعضاء النطق على هذه الأعضاء من باب التوسع والمجاز .

وفيما يأتى الحديث عن أعضاء النطق فى الإنسان.

١ـ الرئتان Lungs [١] :

وفيهما يبدأ النفس فى اندفاعه إلى القصبة الهوائية . ولكل إنسان رئتان يمنى ويسرى تشتمل كل رئة على كثير من الحويصلات الهوائية وهما موجودتان فى التجويف الصدرى ويفصلهما القلب وتتحد الرئتان من أعلى لتكون القصبة الهوائية .

هذا وللرئتين دور هام في نطق الأصوات حيث تستقبلان الهواء فى حركة الشهيق وتخرجانه فى حركة الزفير ــ ويتم ذلك فى عملية التنفس المعروفة والتى تؤدى دورا حيويا للجسم بأخذه الأكسجين لتنقية الدم وطرد حامض الكربونيك (ثانى أكسيد الكربون + ماء)، والأصوات الإنسانية تنشأ مع حركة الزفير فالهواء الخارج من الرئتين يصطدم بالأوتار الصوتية فى الحنجرة أو بأعضاء النطق الأخرى فينشأ الصوت[٢].

٢ـ القصبة الهوائية Wind pipe :

وفيها يمر هواء النفس الآتى من الرئتين ثم توصله القصبة الهوائية إلى الحنجرة،وقد كان يظن قديما أن لا أثر لها فى الصوت

---

(١) اقتبسنا المصطلح الأجنبى لأعضاء النطق من كتاب أسس علم اللغة لماريوباى وعلم اللغة العام ــ الأصوات د/ بشر ٦٧ .

(٢) أصوات اللغة العربية د/ هلال/ ٣١، ودراسات فى أصوات اللغة العربية د/يحيى الجندى ٣٧، ٣٨ .

اللغوى بل هى مجرد طريق للتنفس ولكن البحوث اللغوية برهنت على أنها تستغل فى بعض الأحيان كفراغ رنان ذى أثر بين فى درجة الصوت ولاسيما إذا كان الصوت عميقا[١] .

٣ـ الحنجرة Larynx :

وهى عبارة عن حجرة متسعة نوعا وهى تقع أسفل الفراغ الحلقى وتكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائية وتتكون من عدة غضاريف:

أحدها: الدرقى وهو الجزء العلوى منها ناقص الاستدارة من الخلف وعريض بارز من الأمام ويعرف الجزء الأمامى منه بتفاحة آدم ويظهر بصورة بارزة عند الرجال البالغين ويكاد يختفى عند النساء والأطفال .

الثانى: الحلقى وهو غضروف كامل الاستدارة عريض من الخلف ضيق من الأمام ويتصل بأول حلقة من حلقات القصبة الهوائية[٢] .

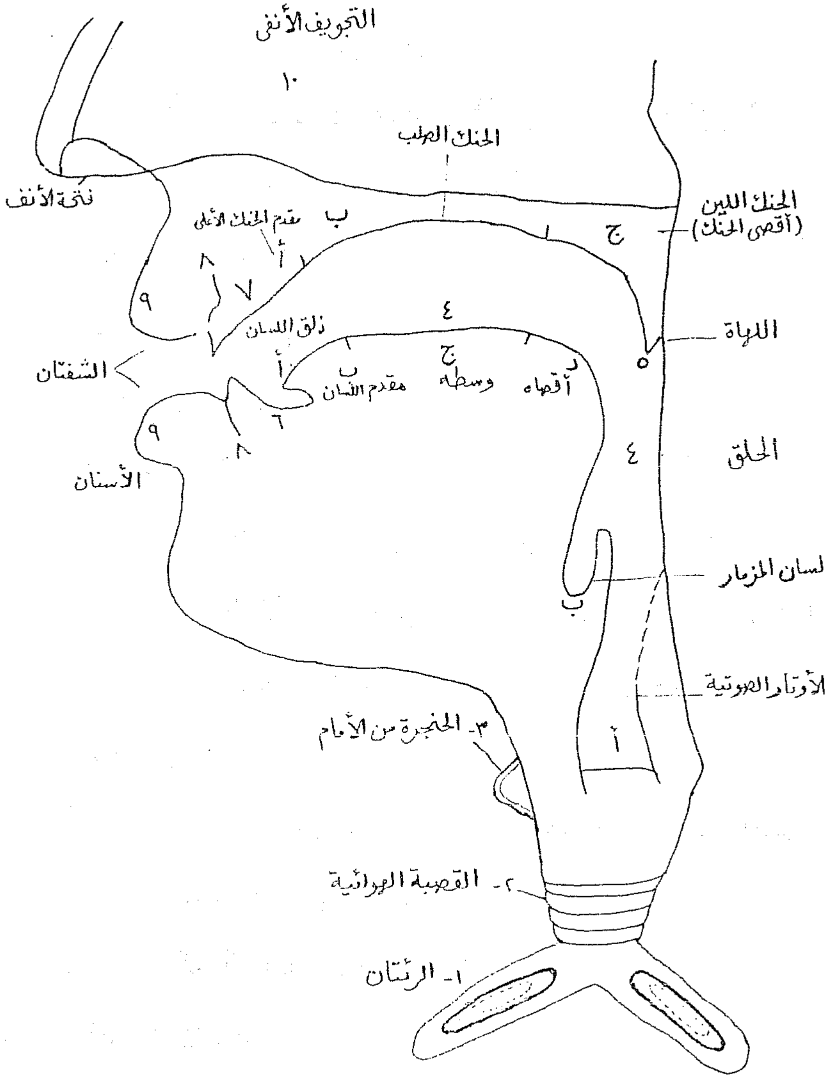
---

(١) الأصوات اللغوية د/ أنيس ١٧ .

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية / ٣٦ .

جهـــاز النطـــق

يوضح الشكل (١) أهم أعضاء النطق لدى الإنسان(١).



شكل (١)

---

(١) مقدمة في أصوات اللغة العربية ٣٦ .

يمثل الشكل السابق أهم أعضاء النطق[١] وهى:

١ - الرئتان Lungs .

٢ - القصبة الهوائية Windpipe .

٣ - الحنجرة Largnx وتشمل :

أ - الأوتار الصوتية Position of vocal caras .

ب - لسان المزمار Epiglottis .

٤ - الحلق Phargnx .

٥ - اللهاة vula .

٦ - اللسان وينقسم إلى:

أ - ذلق اللسان أو طرفه Tipe of Tongue.

ب - مقدم اللسان Blade of tongue .

جـ - وسط اللسان (ظهر اللسان) Front of tongue .

د - مؤخر اللسان (أقصاه) Bacr of tongue .

٧ - الحنك وينقسم إلى:

أ - أصول الأسنان (اللثة ومقدم الحنك) Teeth nudge .

ب - الحنك الصلب Hard palate .

جـ - الحنك اللين Soft Palate .

٨ - الأسنان Teeth .

---

(١) تعتبر وظيفة النطق وإصدار الأصوات وظيفة ثانوية لهذه الأعضاء أما وظيفتها الأساسية فهى ما تقوم بها من وظائف التنفس أو الهضم بوجه عام (انظر كمال بشر علم اللغة ـ الأصوات ص٦٥) وقارن عبدالله ربيع ـ علم الصوتيات ص٨٥ .

٩ - الشفتان Lips •

١٠ - التجويف الأنفى Nasal cavty •

الثالث: الغضروفان الهرميان: يشبه كل واحد منهما الهرم ويوجد كل واحد منهما فى ناحية[1]، ويتصل بالحنجرة :

أ- لسان المزمار :

ويقع فوق الحنجرة شيء يشبه اللسان ويسمى "لسان المزمار" وظيفته حماية الحنجرة وطريق التنفس كله أثناء عملية البلع •

ب- الوتران الصوتيان Vocal chords :

وهما رباطان مرنان يشبهان الشفتين يمتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذى نسميه بتفاحة آدم أما الفراغ الذى بين الوترين الصوتيين فيسمى بالمزمار وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات ويترتب على هذا اختلاف نسبة شد الوترين الصوتيين واستعدادهما للاهتزاز، فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما فى الثانية فتختلف تبعا لهذا درجة الصوت •

والوتران الصوتيان لهما قدرة على الحركة واتخاذ أوضاع مختلفة تؤثر فى الأصوات الكلامية وأهم هذه الأوضاع:

١ - الوضع الخاص بالتنفس •

٢ - وضعهما فى حالة تكوين نغمة موسيقية •

---

(١) انظر مقدمة فى أصوات اللغة العربية ٣٦، ٣٧ ، ودراسات فى أصوات اللغة العربية د/ يحيى الجندى/ ٤٠ •

٣ - وضعهما فى حالة الوشوشة.

٤ - وضعهما فى حالة تكوين همزة القطع.

١- وضع الوترين فى حالة التنفس:

إذا انفرج الوتران الصوتيان انفراجا ملحوظا بحيث يسمحان للنفس بالمرور دون اعتراض وفى هذه الحالة تحدث الأصوات المهموسة التى لا يهتز معها الوتران الصوتيان ويكون الوتران فى حالة الهمس (مقابل الجهر).

٢- وضع الوترين عند إصدار نغمة موسيقية:

إذا انطبق الوتران الصوتيان انطباقا جزئيا بحيث ينفتحان وينطبقان أثناء مرور الهواء بهما وفى هذه الحالة تحدث ذبذبة الأوتار الصوتية وتحدث الذبذبة نغمة موسيقية تختلف فى الدرجة والشدة كما تسمى الأصوات التى تحدث فى هذه الحالة بالأصوات المجهورة وتعرف تلك الحالة عند علماء الأصوات "بالجهر".

٣- وضع الوترين فى حالة الوشوشة:

يكاد الوتران فى هذه الحالة ينطبقان لكن مع تجمدهما بحيث يمنعان حدوث الذبذبة وليس من شأن علماء الأصوات أن يعرضوا للكلام فى هذه الحالة.

٤- وضع الوترين عند تكوين همزة القطع:

إذا انطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما بحيث لا يسمح للهواء بالمرور من أو إلى الرئتين ولو لفترة قصيرة يؤدى ذلك إلى انفراج مفاجئ يصحبه صوت نسميه فى العربية همزة القطع(١).

---

(١) انظر الأصوات / ٦٨ ، ٦٩ .

الأهمية الصوتية للحنجرة:

مما سبق يتضح لنا الأهمية القصوى للحنجرة من الناحية الصوتية فهى مخرج لبعض الأصوات اللغوية كالهمزة والهاء (عند المحدثين) وبها لسان المزمار والأوتار الصوتية التى تؤثر على جهر الأصوات أو همسها.

٤- الحلق Pharynx :

يطلق على الجزء الذى يعلو الحنجرة ويتصل بالفم ويستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة.

ويختلف القدماء والمحدثون في الأصوات التى تصدر من الحلق فالقدماء يقسمون الحلق إلى:

أ - أقصى الحلق: وهو ما يلى الحنجرة ويخرج منه أصوات الهمزة والهاء.

ب - وسط الحلق: ويخرج منه أصوات الحاء والعين.

جـ - أدنى الحلق: وهو ما يلى الفم ويخرج منه أصوات الغين والخاء.

والمحدثون يجعلون الحروف الحلقية: العين والحاء فقط ويقسمون الحلق إلى :

أ - الحلق الحنجرى وهو مخرج الهمزة والهاء.

ب - الحلق الفموى ويخرج منه الحاء والعين.

جـ - الحلق الأنفى[١] ويخرج منه الغين والخاء.

ومن هنا تصبح وظيفة الحلق الصوتية أنه يستعمل كفراغ رنان يضخم ويخرج بعض الأصوات اللغوية.

٥ـ اللهاة Uvula [٢]:

توجد فى نهاية الحنك اللين وتتحرك إلى أعلى وإلى أسفل لتفصل الفم عن الأنف فى عمليات الأكل والتنفس وتساهم فى تحويل مجرى الهواء من الفم إلى التجويف الأنفى عند نطق الميم والنون وقد جعل القدماء من علماء الأصوات "اللهاة" داخله مع أقصى اللسان وأقصى الحنك وجعلوا ذلك مخرج القاف والكاف.

أما المحدثون فجعلوا اللهاة عضوا مستقلا يخرج منه صوت "القاف" وبعضهم أضاف "الغين والخاء" ـ اللذين هما من أدنى الحلق عند القدماء ـ وقد ساعدهم على ذلك دقة الأجهزة التى لم تتوفر للقدماء[٣].

٦ـ اللسان Tongue :

من أهم أعضاء النطق ولذلك تنسب إليه اللغة على أنه أداتها التى بها تفهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ

---

(١) مقدمة فى أصوات العربية / ٤٨

(٢) هى زائدة لحمية صغيرة تتدلى فى طرف جلدة فى أقصى الفم وهى التى تغلق الخياشيم أو تفتحها (أصوات اللغة العربية د/ هلال) والقاموس (لها).

(٣) انظر سيبويه ٤/ ٤٣٣، الأصوات ٧١ .

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم من الآية/ ٤) أى بلغة قومه، واللسان عضو ــ مرن تحركه ثمان عضلات وتحقق بذلك مرونته وسرعة حركته فيكيف الصوت اللغوى حسب أوضاعه المختلفة ويشترك مع أكثر من عضو فى إخراج الأصوات ولذلك قسمه علماء الأصوات إلى أقسام هى :

١ – أقصى اللسان أو مؤخره وهو ما يقابل أقصى الحنك الأعلى ويطلق عليه عند المحدثين "اللهاة" وقد سبق ــ قريبا ــ الاختلاف فى أصوات هذا العضو.

٢ – وسط اللسان وهو ما يقابل وسط الحنك أو الصلب منه.

٣ – وطرف اللسان وهو ما يقابل اللثة وقد يسمى أول اللسان أو ذلق اللسان.

٤ – جانب اللسان(١).

ولكل قسم من هذه الأقسام أصواته التى تخرج منه كما سنعرف(٢) .

٧ـ الحنك Palate :

هو العضو الذى يتصل به اللسان فى أوضاعه المختلفة ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى تتكون مخارج كثير من الأصوات ويضم هذا العضو أقساما عدة:

---

(١) انظر دراسات فى التجويد والأصوات ٤٢، والأصوات اللغوية/ ١٨، وأصوات اللغة العربية / ٣٨ .

(٢) ص ١١٣ــ ١١٤ .

١ - أقصى الحنك وهو الجزء القريب من الحلق أو الحنك اللين وبعض المحدثين يسمى هذه المنطقة بالطبق أى عندما يقترب منه مؤخر اللسان ويخرج منها أصوات : الكاف والغين والخاء والواو وبعضهم يضيف إلى هذه المجموعة الجيم القاهرية الخالية من التعطيش كما يرى البعض أن مخرج الغين والخاء هو من "اللهاة" لا من "الطبق".

٢ - وسط الحنك أو الحنك الصلب وقد يسمى "بالغار".

٣ - مقدم الحنك وهو الذى يلى الحنك الصلب ويشمل اللثة وأصول الأسنان العليا.

يضاف إلى ما سبق من أهمية الحنك الأعلى أنه يستغل بطبيعته كفراغ رنان يضخم الأصوات ويقويها(١).

٨ - الأسنان Teeth :

للأسنان دور هام فى إخراج بعض الأصوات اللغوية ويتضح ذلك جليا إذا أصيب الشخص المتكلم بسقوط بعض أسنانه فذلك يؤدى إلى خلل فى نطق بعض الأصوات وعدم أدائها كاملا.

والأسنان تشترك مع اللسان فى إخراج بعض الأصوات فإذا اتصل اللسان بأصول الأسنان أو بأطرافها أو اتصل أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى ظهر لنا أصوات معينة سنعرضها فى حينها(٢).

---

(١) انظر كتابنا أصوات اللغة العربية/ ٢٧، ٢٨ .

(٢) راجع هذه الأصوات فيما يأتى ص ١١٠ وما بعدها.

٩ـ الشفتان Lips :

من أهم أعضاء النطق التى تتخذ أوضاعا مختلفة حال النطق فهما تنطبقان أو تنفرجان أو تستديران وفى كل حالة تنتج أصواتا معينة ففى حالة الانطباق التام يحدث صوت الباء والميم وفى حالة الانفراج يحدث كثير من الأصوات كالكسرة وفى حالة الاستدارة يحدث صوت الواو وتشترك باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا فى إحداث صوت "الفاء"(١).

١٠ـ التجويف الأنفى Nasal Cavity :

وهو تجويف يندفع الهواء من خلاله عندما ينخفض الحنك اللين (اللهاة) فيفتح الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين ليمر عن طريق الأنف وهو يساعد فى نطق أصوات الميم والنون ويستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات(٢).

تلك هى أهم أعضاء النطق التى تنتج لنا الأصوات اللغوية وإذا كنا قد استعرضنا هذه الأعضاء من حيث إنتاجها للأصوات العربية فإن جهاز النطق عند الإنسان قادر ــ بما وهبه الله ــ على إخراج ما لا يحصى من الأصوات كما فى لغات أخرى ــ غير العربية ــ فإذا كانت حروف الهجاء التى ينتجها جهاز النطق فى اللغة العربية ثمانية وعشرين حرفا فإن حروف الهجاء فى اللغة الروسية خمسة وثلاثون حرفا وهكذا.

---

(١) انظر الأصوات د/ بشر ٧١ .

(٢) الأصوات/ ٧١، والأصوات اللغوية/ ١٨ .

ثانيا : انتقال الصوت وطبيعته

تحدثنا ـ فيما سبق ـ عن مرحلة إنتاج الصوت ثم ينتقل الصوت بعد حدوثه من اهتزاز مصدره ـ فى الوسط الناقل له من فم المتكلم حتى أذن السامع.

وتلك هى المرحلة ـ الفيزيائية للصوت التى يُحمل فيها الصوت على شكل موجات أو ذبذبات صوتية خلال الوسط الناقل له وهو إما أن يكون الهواء وقد قدرت سرعة الصوت فى هذه الحالة بحوالى ٣٣٢ مترا فى الثانية وإما أن يكون الوسط الناقل أجسام سائلة أو صلبة إلا أن الغالب فى الوسط الناقل هو الهواء الخارجى.

ومن خواص تلك المرحلة الفيزيائية للصوت التعرف على الأمور الآتية :

١ - درجة الصوت وهى صفته من ناحية الشدة والضعف أو الحدة والثقل وتتوقف على عدد الاهتزازات فى الثانية الواحدة فكلما زادت الاهتزازات فى الثانية ازداد الصوت حدة.

وعدد الاهتزازات فى الثانية يسمى فى الاصطلاح الصوتى بالتردد كما تتوقف قوة الصوت على درجة القرب من مصدر الصوت واتجاه الريح.

والموجة الصوتية هى مجموعة من الذبذبات الصوتية المتعاقبة التى تنتج إحداها عن الأخرى .

وسعة الذبذبة تساوى البعد بين الجسم فى حالة سكونه وأبعد نقطة تصل إليها عند الاهتزاز والطرْق على شوكة رنانة يوضح مثل هذه المصطلحات .

٢ - وضوح الصوت وهى صفته من ناحية العمق والقرب فالصوت العميق عدد اهتزازاته فى الثانية أقل من الصوت القريب وتسمى تلك الخاصية بشدة الصوت أى الخاصية التى تميز بين قوة الأصوات وضعفها .

٣ - نوع الصوت: وهى صفته المميزة لبعضه عن بعض وإن اتحدت الأصوات فى الدرجة والشدة وعلى هذا نستطيع أن نميز بين صوت الرجل والمرأة وصوت العود والبيانو على الرغم من احتمال اتحادهما فى الدرجة والشدة .

ويستطيع الإنسان التحكم فى صوته من حيث شدته وحدته بالسيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتكييفه وإخضاعه لنظام خاص فى النطق ومن هنا رأينا ــ مثلا ــ القراء يتحكمون فى أصواتهم بالتعلم والمران[١] .

---

(١) انظر مقدمة فى أصوات العربية/ ٥٣ ــ ٥٦، والأصوات اللغوية/ ٧، ودراسات فى التجويد والأصوات/ ٣٢، ودراسة الصوت اللغوى ص١٠، ١١ .

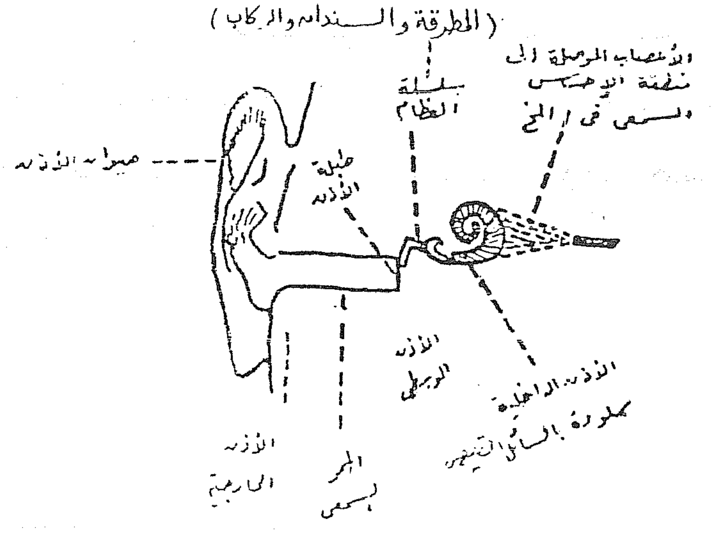
ثالثا : استقبال الصوت

الجانب الثالث من جوانب الصوت الرئيسية جانب سماع الصوت فبعد صدور الصوت من جهاز النطق ومروره فى الوسط الناقل له تستقبله الأذن الإنسانية وهى الحاسة الطبيعية للسمع وتتكون من ثلاثة أقسام:

١ـ الأذن الخارجية:

وهى عبارة عن: صيوان الأذن والصماخ والطبلة فالصيوان هو الجزء الظاهر من الأذن على جانبى الوجه ووظيفته: تجميع الصوت وتركيزه لتوصيله إلى الأذن الوسطى.

والصماخ قناة طولية توصل الصيوان بأهم أجزاء الأذن الخارجية وهى الطبلة ، والشكل رقم (٢) يبين أجزاء الأذن الثلاثة .



شكل (٢)

٢ـ الأذن الوسطى:

وهى التى تلى الطبلة وفيها العظيمات الثلاث: المطرقة والسندان والركاب التى تنقل الذبذبات إلى الأذن الداخلية.

٣ ـ الأذن الداخلية:

وفيها أعضاء السمع الحقيقية وأهمها القوقعة وأليـاف العصـب السمعى والسائل التبهى والأعصاب السمعية[١].

كيف نسمع الأصوات ونفسرها؟

إذا حدث الصوت من اهتزاز مصدره[٢] تنتقل هذه الاهتـزازات فى وسط ناقل كالهواء ثم تلتقطها الأذن حيث يستقبلها الصيوان ثم تمر فى القناة السمعية الخارجية إلى أن تصل إلى الغشاء الطبلـى فيهتـز اهتزازات مناسبة وتصل هذه الاهتزازات إلى الأذن الداخلية بواسـطة العظيمات الثلاث (المطرقة، السندان، الركاب) ثم تسرى الاهتـزازات فى السائل التيهى وتحدث به تموجات مناسبة لهـا فتتنبـه أطـراف الأعصاب المغموسة فيه وتنقل هذه الأعصاب ما تشعر بـه أطرافهـا إلى المراكز السمعية فى المخ ويقوم المخ بعـد ذلـك بترجمـة هـذه الاهتزازات إلى معان ومدركات[٣].

---

(١) انظر أصوات اللغة العربية/ ٤٤، ٤٥، وقارن بمقدمة فى أصوات العربية/ ٥٨، ٥٩ .

(٢) وهو فى الغالب حنجرة الإنسان .

(٣) الأصوات اللغوية/ ١٥، وقارن بمقدمة فى أصـوات اللغـة العربيـة/ ٦٠ وأسس علم اللغة/ ٤١ .

وينبغى أن نعلم أنه كلما كانت أعضاء النطق وأجهزة السمع سليمة خالية من العيوب كلما صدر الصوت صحيحا نقيا وفسر تفسيرا صحيحا، أما إذا كان فى أحد الأعضاء السابقة عيب خلقى كالألثغ مثلا أو أصاب الإنسان مرض مؤثر على تلك الأعضاء كالصداع والزكام فإن ذلك ينعكس أثره على صحة نطق الأصوات اللغوية ووضوح سماعها.

عرفنا ــ فيما سبق ــ الجوانب الرئيسية للصوت وهى ثلاثة (إنتاج الصوت وانتقاله واستقباله) وهناك جانبان غير رئيسيين وهما: العملية الذهنية التى تسبق إنتاج الصوت والعملية الذهنية التى تعقب استقباله وهى إدراك الأصوات وتفسيرها وهذان الجانبان يصعب وضعهما تحت الدراسة لغموضهما ولذلك تحدثنا عن الجوانب الثلاثة الأولى بالتفصيل ويجدر أن نعرف أيضا أن أصوات اللغة تحدث أثناء عملية الزفير أى إخراج الهواء من الرئتين إلى باقى أعضاء النطق وهى العملية المقابلة لعملية الشهيق أى دخول الهواء من الفم إلى الرئتين مارا بأعضاء النطق المختلفة.

وسنوضح فى الفصل التالى ــ بعون الله تعالى ــ الأصوات العربية وأقسامها وخصائصها.

الفصل الثاني

الأصوات العربية

تمهيد:

عددها وخصائصها:

أجمع علماء العربية على أن حروفها تسعة وعشرون حرفا وترتب أبجديا[١] وهجائيا كالآتى:

الألف، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاى، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو، اللام مع الألف (لا)[٢] ، الياء.

وعدها أبو العباس المبرد ثمانية وعشرين حرفا[٣] .

وترتب الحروف السابقة صوتيا على حسب مخارج الأصوات على النحو الآتى :

---

(١) أى وفق ترتيب حروف "أبجد هوز" التى هى حروف الهجاء فى اللغة الفينيقية وتعد أصل الأبجديات فى كل اللغات.

(٢) أصل هذا الحرف: الألف التى هى الصلة الساكنة فى مثل "قال" لكن لما لم يمكن النطق بها وحدها لأن الساكن لا يمكن الابتداء به دُعِمتْ باللام قبلها متحركة ليمكن الابتداء بها فقيل (لا) وقد اختصت اللام لتدعم الألف من بين حروف الهجاء لأن الألف هى التى دعمت لام التعريف فى مثل الكتاب فالأصل في أداة التعريف هى اللام ثم أتينا بهمزة الوصل للتوصل لنطق اللام الساكنة، فجيء باللام هنا تعويضا عن مجئ الهمزة مع لام التعريف ، هذا واللغات البشرية تختلف فى عدد حروف الهجاء لكل لغة فالأبجدية الفينيقية اثنتان وعشرون حرفا ، والروسية خمسة وثلاثون حرفا، وأقل ما تصل إليه لغة فى حروفها إحدى عشر، وأكثر ما تصل إليه ثنتان وسبعون . ينظر سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨، ٤٩ ، ومعانى الحروف للرمانى تعليق د/ عبدالفتاح شلبى ص٦٩ (ط/ دار الشروق).

(٣) وذلك بترك الألف لأنها لا تثبت على صورة واحدة فمرة تنطق محققة وأخرى مخففة كما فى: سأل، سال، يؤمنون، مومنون.

الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين،الخاء، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الياء، الضاد، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاى، السين، الظاء، الذال، الثاء،الفاء، الباء، الميم، الواو[١].

والحروف السابقة هى الحروف الأصول للغة العربية وقد أضاف إليها سيبويه ثلاثة عشر حرفا هن فروع للتسعة والعشرين السابقة وبعض الحروف الفروع جيدة يؤخذ بها وتستحسن فى قراءة القرآن والأشعار وبعض الحروف الفروع أيضا رديئة غير مستحسنة فى قراءة القرآن ولا فى الشعر[٢].

والحروف الأصول السابقة بترتيبها الصوتى ـ تمتاز بها اللغة العربية على غيرها من لغات العالم حيث تشمل حروفا لا توجد فى غيرها من اللغات وهى الظاء[٣].

وعلى الرغم من أن حروف العربية الأصول ـ كما ذكرت ـ تسعة وعشرون حرفا إلا أن هناك كثيرا من اللغات يبلغ عدد حروفها أكثر من ذلك ولكن هذه اللغات على الرغم من كثرة عدد حروفها إلا أن حروفها لا تستوفى مخارج الأصوات كاللغة العربية[٤].

---

(١) انظر سيبويه٤/٤٣١، ٤٣٢،وسر الصناعة ٤٦/١،والجمهرة لابن دريد١/٤

(٢) انظر الحروف الفروع الجيدة والرديئة فى سيبويه ٤/ ٤٣١ .

(٣) قال ابن دريد فى ذلك "اعلم أن الحروف التى تستعملها العرب فى كلامها فى الأسماء والأفعال والحروف والأصوات تسعة وعشرون حرفا منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق وهما الظاء والحاء"ـ مقدمة الجمهرة ٤/١ وحاشية القاموس (ضدد) ط الحلبى الثانية وفى نص ابن دريد نظر حيث إنه قد ثبت وجود الحاء فى لغات أخرى كالعبرية ففيها الحاء (حيت).

(٤) أى أن أصوات العربية اشتملت جميع مخارج الأصوات دون أن يلتبس حرف بآخر . راجع مخارج الأصوات الآتية صـ١١٠ وما بعدها.

يقول الأستاذ العقاد فى ذلك:

"ليست الأبجدية العربية أوفر عددا من الأبجديات فى اللغات الهندية أو اللغات الطورانية أو اللغات السامية فإن اللغة الروسية ــ مثلا ــ تبلغ عدد حروفها خمسة وثلاثين حرفا ... ولكنها على هذه الزيادة فى حروفها لا تبلغ مبلغ اللغة العربية فى الوفاء بالمخارج الصوتية على تقسيماتها الموسيقية لأن كثيرا من هذه الحروف الزائدة إنما هو حركات مختلفة لحرف واحد أو هو حرف واحد من مخرج صوتي واحد تتغير قوة الضغط عليه كما تتغير قوة الضغط فى الآلات دون أن يستدعى ذلك افتنانا فى تخريج الصوت الناطق من الأجهزة الصوتية فى الإنسان فهناك حرف ينطق (يا) وحرف ينطق (بو) وحرف ينطق (تى) وآخر ينطق (تش) وحروف أخرى هى فى حقيقتها تثقيل لحروف: الباء والفاء والجيم ... ويمثل هذا الاختلاف فى الضغط أو الاختلاف فى الحركة يمكن أن تبلغ حروف الأبجدية خمسة وستين ولا تدل على تنويع مفيد لمخارج النطق الإنسانى على حسب الملكة الموسيقية الكامنة فى استعداده، وتظل اللغة العربية بعد ذلك أوفر عددا فى أصوات المخارج التى لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها فليس هناك مخرج صوتى ناقص فى الحروف العربية[1].

---

(١) اللغة الشاعرة ــ العقاد ١٢، ١٣ .

تقسيم الأصوات العربية:

الأصوات العربية هى الحروف العربيــة[١] باعتبارهــا أحــداثا منطوقة بالفعل وإذا أردنا نطق حرف الباء ــ مثلا ــ فإننــا نســكنه وندخل عليه همزة الوصل بأى حركة ونَتنَمَّعه فنقول (أبْ) أو نشــدده فى مثل "كَبّرَ" وتشمل الأصوات باعتبارها أحــداثا منطوقــة بالفعــل أمرين: الصوت نفسه مجردا من الحركة + حركة هذا الصوت ولذلك تنقسم الأصوات اللغوية أو العربية إلى قسمين رئيسيين:

١ - أصوات الحركة أو ما يسمى بالأصوات الصائتة (اللين).

٢ - أصوات صامتة أو ما يسمى بالأصوات الساكنة[٢].

وأساس هذا التقسيم يرجع إلى الأمور الصوتية الآتية:

أ - أن هواء الزفير حين يخرج من الرئتين ــ أثنــاء عمليــة النطق بالصوت يمر بالقصبة الهوائية والحنجــرة والحلــق واللســان والحنك والأسنان والشفتين ــ فإذا مر الصوت بهذه الأعضاء دون أن تعترضه حواجز أثناء مروره مع اهتزاز الوترين الصــوتيين ســمى

---

(١) انظر أصوات اللغة العربية ص٣٣ ــ ٣٦ .

(٢) بعض العلماء يقسمها إلى أصوات حركــة وصــامتة ــ كمــا ذكــرت ــ والبعض يقسمها إلى: ساكنة ولين أو إلى حبيسة وطليقة أو صحاح وعلــل ، وقد فضلت من هذه التقسيمات ما ذكرته وهو التقسيم إلى أصوات الحركــة والأصوات الصامتة حيث إن استعمال مصطلح (ساكن) يقصد بــه الحــرف مجردا من الحركة ولكنه قد يلتبس باستعمال الحرف الساكن أى الذى عليــه سكون المقابل للمتحرك الذى عليه حركة ، والتسمية بالصــحيحة والمعتلــة تسمية صرفية، والتسمية بالصائتة أى المصوتة والصائتة يعترض عليها بأن هناك بعض الصوامت واضحة فى الصوت مثــل النــون والــلام . انظــر المختصر/ ١٥٣ .

الصوت بأنه صوت حركة أى صوت سهل واضح لا يتخلله فى نطقه أى حواجز والذى يحدد الصوت فى هذه الحالة هـو وضـع اللسـان والشفتين ٠

أما إذا اعترض الهواء ـ أثناء خروج الصوت من الرئتين إلـى باقى أعضاء النطق حواجز تمنعه من الخروج ـ منعا كاملا كما فـى نطق الدال مثلا أو منعا غير كامل بأن تسمح للهـواء بـالمرور مـع سماع صوت ضعيف هو الحفيف كما فى نطق السين مثـل ـ سـمى الصوت ساكنا أى أن الصوت قد سكن وصمت وتوقف خلال مـروره بأعضاء النطق ٠

ب – طبيعة أصوات الحركة تكون واضحة فى السمع نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيين وعدم اعتراضها بأى عائق أثناء مرورهـا بأعضـاء النطق أما الأصوات الساكنة فيقل وضوحها فى السمع نظـرا لاعتـراض الهواء أو حجزه أثناء مروره بأحد أعضاء النطق أو ببعضها(١) ٠

ج – ويترتب على ما سبق أن أصوات الحركة تكون مجهـورة أى قوية واضحة أما الأصوات الصامتة فبعضها: مجهـور وبعضـها مهموس(٢) ولذا فهى أقل وضوحا من أصوات الحركة ٠

وسنتناول ـ فيما يلى ـ الحديث عن هذين القسمين بالتفصـيل موضحين جهود علمائنا فى هذين القسمين وما يتفرع منهما فنقـول ـ وبالله التوفيق ـ ٠

---

(١) انظر أصوات اللغة العربية / ٧٤ ـ ٧٦، وقارن بمقدمـة فـى أصـوات العربية ٦٣ ـ ٦٥ ٠

(٢) سيأتى توضيح للمجهور والمهموس ص ١٠٧ ـ ١٠٩ ٠

أولا : أصوات الحركة فى العربية

عرفنا ـ فيما سبق ـ أن صوت الحركة هو: الصوت المجهور الذى يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق والفم دون أن يقف فى طريقه أى عائق أو حائل ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا[١] .

وإذا طبقنا هذا التعريف على نطق الأصوات العربية نجد أن الهواء يسير دون اعتراض من الرئتين إلى خارج الفم مع الأصوات الآتية:

١ - الفتحة .

٢ - الضمة .

٣ - الكسرة .

٤ - ألف المد المُشْبَعة عن الفتحة فى مثل: قال.

٥ - واو المد المشبعة عن الضمة فى مثل: يقوم.

٦ - ياء المد المشبعة عن الكسرة فى مثل: نَسْتَعِين.

وتسمى الأصوات الثلاثة الأولى بأصوات الحركة أى اللين القصيرة ، كما تسمى الأصوات الثلاثة الأخيرة بأصوات الحركة الطويلة وبحروف المد كذلك.

والفرق بين أصوات الحركة القصيرة والطويلة هو فرق فى زمن النطق فقط ، فأصوات الحركة القصيرة إذا أشبعت وزاد زمن نطقها أصبحت أصوات حركة طويلة.

---

(١) انظر الأصوات/ ٧٤ .

والمقياس فى تحديد أصوات الحركة ــ كما قلنا سابقا ــ هو وضع الشفتين مع اللسان ففى حالة النطق بالضمة تتخذ الشفتان شكل الاستدارة وفى حالة النطق بالفتحة والكسرة تتخذ الشفتان شكل الانبساط مع اختلاف وضع اللسان فى حالة النطق بالفتحة عن الكسرة والضمة كما سيأتى قريبا .

وقد تنبه ــ ابن جنى (ت٣٩٢هـ) ــ فى القرن الرابع الهجرى إلى أصوات الحركة الطويلة والقصيرة أى حروف المد الثلاثة وحركاتها وقد جعل الحركات أبعاضا لهذه الحروف فقال:

"اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهى الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة وهى الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف القصيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا فى ذلك على طريقة مستقيمة ألا ترى أن الألف والواو والياء اللواتى هن حروف تَوامّ كَوامل قد تجدهن فى بعض الأحوال أطول وأتم منهن فى بعض وذلك قولك: يخاف وينام فتجد امتداد واستطالة فإذا أوقعْتَ بعدَهُنَّ الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا وذلك نحو يشاء، شابة... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه وذلك نحو فتحة عين "عَمَر" فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت "عَامَرَ"

وكذلك كسرة عين "عِنَب" إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة وذلك قولك "عِينب" وكذلك ضمة عين "عُمر" لو أشبعتها لأنشأت بعدها واو ساكنة وذلك قولك "عومَر" فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأتْ عنها ولا كانت تابعة لها"(١)٠

هذه هى أصوات الحركة فى العربية بنوعيها القصيرة والطويلة وسنتحدث عن أقسام الحركة فى العربية بعد الحديث عن الحركات المعيارية وأقسامها فنقول:

(١) سر الصناعة ١/ ١٩، ٢٠ بتصرف ٠

الحركات المعيارية(١) ومقاييسها

عُنى علماء الأصوات المحدثون بالحركات عناية خاصة ووضعوا لها مقاييس عامة تحددها وترشد المتكلم إلى النطق الصحيح لها ولم ينظروا فى وضعهم لهذه المقاييس إلى لغة معينة وإنما جعلوا هذه المقاييس لأصوات اللين فى كل اللغات.

ويرجع اهتمام العلماء بأصوات الحركة إلى الأمور الآتية:

١ - أصوات الحركة واضحة فى السمع لأنها تؤثر فى الوترين الصوتيين بالاهتزاز وتنطلق مع أعضاء النطق إلى خارج الفم دون أن يعترضها فى طريقها حائل ومن هنا فإن أى انحراف فى نطقها يبعد المتكلم عن النطق الصحيح لها.

٢ - إن أصوات الحركة شائعة وكثيرة الاستعمال فى اللغات بخلاف الأصوات الصامتة فصوت الحركة يتنوع كثيرا فى استعماله ولا يثبت على حالة واحدة انظر مثلا إلى الفتحة فى اللغة العربية تجد فيها الفتحة المرققة والمفخمة والممالة. ولذلك فإن أى تغيير فى نطق صوت الحركة يجسم الخطأ ويبرزه.

٣ - أصوات الحركة تختلف كثيرا فى لغة عن أخرى فأصوات الحركة فى الإنجليزية غير أصوات الحركة فى العربية والفرنسية والألمانية الأمر الذى يجعل تعلم أصوات الحركة فى لغة أجنبية عسيرا جدا.

---

(١) حركات معيارية أى اتخذت مقاييس عامة للحركات فى كل اللغات.

ومن هنا اهتم علماء الأصوات المحدثون بأصوات الحركة وأول من اهتم بهذه المقاييس الأستاذ/ دانيال جونز D. Jones (جامعة لندن) فى نهاية القرن التاسع عشر وقد استطاع بعد بحوث دقيقة وتجارب عملية أن يخرج لنا هذه المقاييس العامة لأصوات الحركة ثم سجلها على أسطوانات لكى تكون فى متناول كل إنسان يريد تعلمها ٠

الأساس الذى اعتمد عليه "دانيال جونز" فى وضعه لهذه المقاييس:

نظر "دانيال جونز" إلى عضوين مهمين من أعضاء النطق وجعلهما الأساس فى وضعه لهذه المقاييس وذلك لتأثيرهما الواضح فى الهواء الخارج من الرئتين إلى خارج الفم لهذه الأصوات وهذان العضوان هما: اللسان والشفتان ٠

أما اللسان فقد نظر إليه "جونز" باعتبارين:

١ – وضعه بالنسبة للحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض ٠

٢ – الجزء المعين من اللسان الذى يرتفع وينخفض ٠

والشفتان نظر إليهما من حيث:

١ – ضمهما ٠

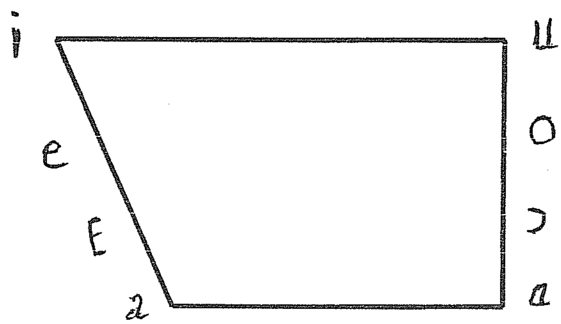
٢ – انفراجهما ٠

٣ – وضعهما فى وضع محايد(١) ٠

---

(١) انظر فيما سبق فى أصوات الحركة:الأصوات اللغوية ٢٩ ــ ٣١، ودراسات فى التجويد والأصوات/ ٦٥، ودراسات فى أصوات اللغة العربية/ ٥٨ ، ٥٩، ومقدمة فى أصوات العربية/ ٦٩، ٧٠ ٠

هذا كله مع النظر إلى الشفتين واللسان على أنهما كل لا ينفصل أحدهما عن الآخر حال النطق وبذلك استطاع "جونز" أن يضع ثماني مقاييس لأصوات الحركة وهذا رسم توضيحي لهذه الحركات المعيارية كما وضعها "جونز" ٠



شكل (٣)

وفيما يلي وصف مبسط لهذه الحركات المعيارية:

الحركة الأولى: ويرمز لها بالرمز (i) :

نظر "جونز" إلى صعود مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء دون أن يحدث فى مروره أى نوع من الحفيف والشفتان منفرجتان وهنا يبرز صوت الحركة المعيارية الأولى ويرمز لها بالرمز i ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى السين فى الكلمة الفرنسية Si (بمعنى إذن) وهذا الصوت هو أول أصوات الحركة لتحدد موضعه إذ لو صعد مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى أكثر من ذلك سمع الحفيف الذى يخرج به

صوت الحركة إلى محيط الصوت الصامت وهو الياء الساكنة في كلمة "بيت" ويكون الفرق بين الصوت (i) والياء الساكنة أن صوت الحركة لا يحدث معه حفيف بخلاف الصوت الصامت فيوجد معه حفيف حيث يضيق الفراغ بين مقدم اللسان والحنك الأعلى أكثر من صوت الحركة.

ويشبه صوت هذه الحركة في لغتنا العربية الكسرة المرققة حين يكون المد قصيرا وياء المد حين يكون طويلا في مثل: رحيم وعليم.

الحركة الثانية: ويرمز لها بالرمز (é) :

نظر "جونز" إلى مقدم اللسان عندما يهبط قليلا عن الحالة الأولى ويصل إلى ثلث المسافة تقريبا والشفتان في حالة انفراج أيضا أقل من الأولى فظهر له المقياس الثاني ويرمز له بالرمز (é) ويمثل لهذه الحركة المعيارية بتلك الحركة التي تلي th في الكلمة الفرنسية thè (بمعنى شاي) ويشبه صوت هذه الحركة في لغتنا العربية الفتحة الممالة إمالة شديدة نحو الكسرة حين يكون المد قصيرا مثل ﴿مَجْرِيٰهَا﴾[١] وكذلك الألف الممالة نحو الياء حين يكون المد طويلا.

الحركة الثالثة ويرمز لها بالرمز (E) :

إذا هبط مقدم اللسان عن الحالة الأولى بحيث يصل إلى ثلثي المسافة تقريبا بينه وبين الحنك الأعلى والشفتان في حالة انفراج أيضا أقل من السابقة برز لنا المقياس الثالث ويرمز له بالرمز (E) ويمثل

---

(١) من الآية ٤١ سورة هود.

لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى الميم الأولى فى الكلمة الفرنسية mènu بمعنى قائمة طعام٠

ويشبه صوت هذه الحركة فى لغتنا العربية الإمالة الخفيفة فى مثل "مجراها"٠

الحركة الرابعة ويرمز لها بالرمز (a):

إذا هبط مقدم اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه فى الفم بحيث يستوى فى قاع الفم مع انحراف قليل فى أقصى اللسان نحو أقصى الحنك والشفتان فى حالة انفراج تام ظهر لنا المقياس الرابع ويرمز له بالرمز (a) ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى اللام فى الكلمة الفرنسية (La) أداة تعريف بمعنى (أل)٠

ويشبه صوت هذه الحركة فى لغتنا العربية الفتحة المرققة حين يكون قصيرا وألف المد حين يكون طويلا فى مثل "قام"٠

الحركة الخامسة: ويرمز لها بالرمز (a):

فى هذه الحركة ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى أقصى حد ممكن مع استقراره فى قاع الفم وتكون الشفتان فى وضع محايد بين الانفراج والاستدارة ولكنها أقرب إلى الاستدارة فيظهر لنا المقياس الخامس ويرمز له بالرمز (a) ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى الباء فى الكلمة الفرنسية (Pas) بمعنى خطوة٠

ويشبه صوت هذه الحركة فى لغتنا العربية الفتحة المفخمة حين يكون قصيرا والألف المفخمة حين يكون طويلا كالألف فى كلمة "الصلاة"٠

الحركة السادسة: ويرمز لها بالرمز (د):

إذا ارتفع مؤخر اللسان قليلا عن المقياس السابق بحيث يصل إلى ثلث المسافة تقريبا بينه وبين أقصى الحنك الأعلى مع بداية الاستدارة للشفتين ظهر لنا المقياس السادس ويرمز له بالرمز (د) ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى السين فى الكلمة الألمانية (so nne) بمعنى الشمس، ويشبه صوت هذه الحركة فى لغتنا العربية الألف العامية حينما نقول فى "قام" "آم"٠

الحركة السابعة: ويرمز لها بالرمز (o):

إذا ارتفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى فوق المقياس السابق بحيث يصل إلى ثلثى المسافة تقريبا مع بداية الاستدارة الكاملة للشفتين ظهر لنا المقياس السابع ويرمز له بالرمز (o) ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى "الراء" فى الكلمة الفرنسية (Rose) بمعنى وردة، ويشبه صوت هذه الحركة فى لغتنا العربية الفتحة المشوبة بالضمة إذا كان صوت الحركة قصيرا أو الألف المشوبة بالواو إذا كان صوت الحركة طويلا مثل: الفتحة والألف فى الصلاة٠

الحركة الثامنة: ويرمز لها بالرمز (U):

إذا ارتفع مؤخر اللسان (أقصاه) نحو أقصى الحنك إلى أقصى حد ممكن بحيث يكون الفراغ بينهما يسمح بمرور الهواء دون حفيف مع الاستدارة الكاملة للشفتين حدث المقياس الثامن ويرمز له بالرمز (u) ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى الجيم فى الكلمة الألمانية (Gut) بمعنى طيب.

ويشبه صوت هذه الحركة فى لغتنا العربية الضمة حين تكون قصيرة وواو المد حين يكون طويلا مثل "روم".

فإذا زاد ارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك عن الحركة السابقة أحدث نوعا من الحفيف وبعد عن مقاييس أصوات الحركة وظهر لنا الصوت الساكن وهو "الواو" فى مثل "قول".

وفيما يلى بيان بالحركات المعيارية السابقة ورموزها والكلمات المشتملة على كل منها:

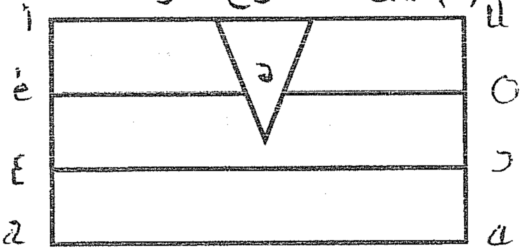
الحركة الأولى	i	مثالها الكلمة الفرنسية	Si
الحركة الثانية	ė	مثالها الكلمة الفرنسية	thė
الحركة الثالثة	E	مثالها الكلمة الفرنسية	mėnu
الحركة الرابعة	a	مثالها الكلمة الفرنسية	La
الحركة الخامسة	a	مثالها الكلمة الفرنسية	Pas
الحركة السادسة	ɔ	مثالها الكلمة الألمانية	Sonne
الحركة السابعة	o	مثالها الكلمة الفرنسية	Rose

الحركة الثامنة U مثالها الكلمة الألمانية gut

وهناك حركة تاسعة عدها العلماء من الحركات المعيارية وتنسب إلى وسط اللسان لأنه هو الذى يرتفع عند النطق بها ولا تنسب إلى مقدم اللسان أو مؤخره ولذا وصفت بأنها مركزية أو محايدة Central ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى السين فى الكلمة الألمانية Hose ويرمز لهذه الحركة بالرمز (ə)٠

ويشبه صوت هذه الحركة فى لغتنا العربية حركة همزة الوصل وهى الضمة فى مثل "اُنطُلِق، اُستُخرِج" ٠

والشكل رقم (٤) يبين لنا مخرج الحركة التاسعة:



الحركة التاسعة

شكل (٤)

تقسيم الحركات المعيارية(١)

للحركات المعيارية السابقة تقسيمات مختلفة وذلك باعتبارات متعددة: فإذا نظرنا إلى جزء اللسان الذى يرتفع تجاه الحنك الأعلى أو ينخفض وجدنا أصوات الحركة المعيارية تنقسم إلى:

١ - حركات أمامية وهى (a, E, ė, i) لأن مقدم اللسان هو الذى يرتفع وينخفض معها.

٢ - حركات خلفية وهى (U, o, ɔ, a) لأن مؤخر اللسان هو الذى يرتفع وينخفض معها.

٣ - حركات وسطى أو مركزية وهو صوت الحركة التاسعة الذى ينسب إلى وسط اللسان وهو (ə).

وإذا نظرنا إلى درجة العلو التى يصل إليها اللسان وجدنا أربعة أقسام من أصوات الحركة هى:

١ - حركات ضيقة وهى التى يصل اللسان فيها إلى أقصى درجة فى الارتفاع وهى : U - i.

٢ - حركات متسعة وهى التى يكون الفراغ فيها بين اللسان والحنك الأعلى فى غاية الاتساع وهى: a - ɑ.

---

(١) انظر فى الحركات المعيارية السابقة وتقسيماتها مقدمة فى أصوات اللغة العربية/ ٧٢ ــ ٧٧، والأصوات د/ بشر ١٣٩ ــ ١٤٣، وأصوات اللغة العربية ٩٦ ــ ٩٨، ودراسات فى التجويد والأصوات ٦٦ ــ ٧٠، والأصوات اللغوية/ ٣٣.

٣ - حركات نصف ضيقة لأن اللسان معها يكون في ثلث المسافة بين الضيقة والمتسعة وهي: o - e ·

٤ - حركات نصف متسعة: لأن اللسان معها يكون في ثلثي المسافة بين الضيقة والمتسعة وهي : ɔ - ɛ

وإذا نظرنا إلى وضع الشفتين فإن أصوات الحركة تنقسم إلى:

١ - حركات منفرجة وهي التي تكون معها الشفتان منفرجتين وهي الحركات : i – é – E ·

٢ - حركات مستديرة: وهي التي تنضم معها الشفتان وتستدير وهي الحركات ɔ.o. u. مع الاختلاف في شكل الاستدارة فهي أشد ما تكون في الحركة الثامنة ثم تقل في السابعة ثم في السادسة·

٣ - حركات محايدة وهي التي تكون الشفتان معها في وضعها العادي وهي الحركات التاسعة والرابعة والخامسة (a, ɑ, ə) مع الاختلاف في حياد الحركتين الرابعة والخامسة فالحياد في الخامسة أقرب إلى الاستدارة وفي الرابعة أقرب إلى الانفراج·

وإذا نظرنا إلى الحركات باعتبار زمن النطق وجدنا تنقسم إلى:

١ - حركات قصيرة وتشمل الحركات المعيارية وهي غير مشبعة ومثالها في الحركات العربية: الفتحة والكسرة والضمة في مثل: كتَب وفرِح وكرُم·

٢ - حركات طويلة: وتشمل الحركات القصيرة إذا أشبعت في النطق.

وقد يختلف طول الحركة تبعا للحرف الذي يقع بعدها ولتقريب ذلك: نقول إن الفتحة على الكاف في "كتب" حركة قصيرة فإذا أشبعت تولد منها ألف وأصبحت حركة طويلة مثل: كاتب فإذا وقع بعد الحركة الطويلة همزة أو حرف مدغم ازداد طولها مثل يَشَاء ودابّة.

تقسيم الحركات في العربية الفصحى

تنقسم أصوات الحركة في العربية إلى أقسام مختلفة باعتبارات متعددة: فإذا نظرنا إلى جزء اللسان الذي يرتفع وينخفض وجدناها تنقسم إلى:

١ - حركات أمامية: وهي الكسرة (تقابل المعيارية الأولى i) والفتحة المرققة (تقابل المعيارية الرابعة a).

٢ - حركات خلفية: وهي الضمة (تقابل المعيارية الثامنة u) والفتحة المفخمة (تقابل المعيارية الخامسة ɑ) .

٣ - حركات محايدة تنسب إلى وسط اللسان وهي حركة همزة الوصل (الضمة) .

وإذا نظرنا إلى درجة العلو التي يصل إليها اللسان وجدناها تنقسم إلى:

١ - حركات ضيقة وهى الكسرة والضمة (تقابلان المعيارية الأولى والثامنة).

٢ - حركات متسعة وهى الفتحة بنوعيها المفخمة والمرققة (تقابلان المعيارية الرابعة والخامسة).

وإذا نظرنا إلى وضع الشفتين مع الحركات العربية وجدناها تنقسم إلى:

١ - حركات مضمومة وهى الضمة.

٢ - حركات منفرجة وهى الكسرة.

٣ - حركات محايدة وهى الفتحة المفخمة والفتحة المرققة وحركة همزة الوصل التى تقابل (الحركة المعيارية التاسعة) (١).

أما تقسيم الحركات العربية باعتبار زمن النطق فقد سبق ذكره مع تقسيم الحركات المعيارية باعتبار زمن النطق(٢) وسيأتى توضيح أكثر لأصوات الحركة فى العربية عند الحديث عن نتائج الدراسات الصوتية عند علمائنا القدامى(٣) . هذا وقد أطلق علماء العربية على الحركات العربية والحروف المشبعة عنها بالأحرف الجوفية الهوائية نظرا لانطلاقها مع الهواء دون عائق ـ فليس لها حيز تنسب إليه،

---

(١) انظر مقدمة فى أصوات العربية/ ٨٩ وقارن بمشكلة تعليم اللغة العربية د/على الحديدى / ١٤٩، ١٥٠ .

(٢) قد تحدثنا عن الصلة بين الحركات المعيارية والعربية فى كتابنا: أصوات اللغة العربية ص٥٤ ــ ٥٧ .

(٣) راجع ما يأتى صـ ٢١٢ .

وفسر القدماء الجوفية الهوائية بأنها تخرج وتجرى فى جوف جهاز النطق وهوائه ويقولون إنه ليس لها مخرج خاص يعتمد لها فيه أى يضيق لها أو يغلق كسائر الحروف[١] ، ويوضح ذلك أكثر فضيلة الدكتور جبل قائلا: إن زفير أصوات الحركة يخرج من الحنجرة كما وصفوا الألف بالتصعد والياء بالتسفل والواو بالاعتراض بينهما وأشاروا إلى استعلاء الضمة والفتحة المفخمة وهما جزءان من الواو والألف ــ كما مر ــ وإلى استدارة الشفتين مع الواو الصامتة وواو المد[٢].

الصلة بين أصوات الحركة فى العربية وأصوات الحركة المعيارية

لا ريب ــ فى أن هناك صلة قوية بين أصوات الحركة فى اللغة العربية وأصوات الحركة كما ــ حددها ــ الأستاذ/ دانيال جونز: والدليل على ذلك أننا فى كل مقياس من مقاييس الحركة التسعة السابقة نذكر ما يقابله فى العربية.

بيد أننا نلاحظ أن صوت الحركة المعيارى لا ينطبق تماما على صوت الحركة العربى[٣] .

---

(١) انظر المختصر / ١٤٣ .

(٢) نفسه نقلا عن نهاية القول المفيد / ٢٣، ٥١، ٥٢، ١٠٢ .

(٣) المعتد به فى نطق أصوات الحركة ــ الآن ــ هو نطق مجيدى القراءات القرآنية لأن رواة اللغة القدامى قد انقرضوا ولم يعد أمامنا سوى هذه القراءات المتواترة عن أصحابها الأصليين . أصوات اللغة العربية/ ٩٩ .

فالكسرة ـــ فى العربية كما قلنا ـــ تقابل صوت الحركـــة (i) إلا أنه يلاحظ أن ارتفاع اللسان مع الكسرة أقل من ارتفاعه مع الحـــرف (i) فوضع اللسان ليس متحدا فى موضعه مع الكسرة وصوت الحركة (i) ولكن الكسرة تحت صوت الحركة كما سبق.

وإذا تأثرت الكسرة بأصوات التفخيم (الصاد، الطـــاء، الظـــاء، الخاء، الغين، القاف) نلحظ ميل هذا الصوت قليلا نحو المقياس الـــذى يرمز إليه بالرمز (e) ويتضح هذا أكثر مع حروف الإطبـــاق لأنهـــا تتطلب صعود اللسان نحو الحنك الأعلى متخذا شكلا مُقَعَّراً[١].

والفتحة: فى العربية كذلك لا تنطبق تمام الانطباق على مقابلهـــا المعيارى (a) ولكنها حـــين تتـــأثر بأصـــوات التفخـــيم تميـــل إلـــى الصوت(ɑ)[٢].

أما الضمة العربية : فيرى الدكتور/ أنيس: أنها منطبقـــة تمامـــا على المقياس الذى يرمز إليه بالرمز (U) غير متـــأثرة بالأصـــوات المستعلية[٣].

ويرى آخرون ومنهم الدكتور/ عبدالغفار هلال أن ارتفاع مؤخر اللسان مع الضمة العربية أقل من ارتفاعه مع النظير المعيـــارى وأن أصوات الحركة فى العربية لها اتجاه خاص شأنها فـــى ذلـــك شـــأن

---

(١) الأصوات اللغوية ٤٠، ٤١ .
(٢) نفسه وقارن بأصوات اللغة العربية / ١٠٠ .
(٣) الأصوات اللغوية / ٤١ .

أصوات الحركة فى اللغات الأخرى لا تتفق معها وإنما تتقارب فقط[١].

والواقع العملى يؤيد ذلك لأن ارتفاع أقصى اللسان مع صوت الحركة العربى أقل من ارتفاعه مع صوت الحركة المعيارى[٢].

تعرضنا ــ فيما سبق ــ للصلة بين صوت الحركة المعيارى وما يشبهه من الحركات الأساسية (الكسرة، الفتحة، الضمة) فى لغتنا العربية.

أما الحركات الفرعية فهى كثيرة نكتفى هنا منها بما شاع فى اللهجات العربية القديمة واهتم به القراء وهو الفتحة الممالة نحو الكسرة وصلتها بصوت الحركة المعيارى.

وقد سبق أن قلنا فى الحديث عن مقاييس أصوات الحركة :

إن المقياس الثانى (é) يشبهه إلى حد كبير الفتحة الممالة إمالة شديدة والمقياس الثالث (E) يشبهه إلى حد كبير الفتحة الممالة إمالة خفيفة فى مثل "مجراها" ، و"مرساها" وموسى وعيسى .. الخ .

والفتحة بأنواعها تعد من أصوات الحركة المتسعة إلا إذا كانت ممالة إمالة شديدة أما الضمة والكسرة فهما من أصوات الحركة الضيقة[٣].

---

(١) أصوات اللغة العربية / ١٠٠ .
(٢) انظر دراسات فى أصوات اللغة العربية/ ٧٦ .
(٣) راجع ما سبق ص ٩٦ .

أنصاف الحركة فى العربية

عرفنا ـ فيما سبق ـ أن أساس تقسيم الأصوات العربية إلى: حركات وأصوات صامتة يرجع إلى الطبيعة الصوتية لكل من القسمين فأساس الحركات هو الوضوح الصوتى وحين تحدثنا عن الحركة المعيارية الأولى قلنا إن صوت هذه الحركة يشبه فى لغتنا الكسرة بحيث يكون الفراغ بين مقدم اللسان والحنك الأعلى لا يحدث حفيفا أما إذا زاد ارتفاع مقدم اللسان أكثر من ذلك سمع الحفيف الذى يخرج به صوت الحركة إلى محيط الصوت الصامت وينتج لنا فى هذه الحالة صوت يجمع بين خاصية صوت الحركة من الوضوح السمعى وخاصية الأصوات الساكنة من سماع الحفيف وانتقال المخرج إلى وسط اللسان وهذا الصوت هو: صوت الياء المتحركة أو المسبوقة بحركة غير مجانسة مثل (يَوْم وبَيْت)٠

وحين تحدثنا عن الحركة المعيارية الثامنة قلنا إن صوت هذه الحركة يشبه فى لغتنا العربية الضمة[1] بحيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى لا يحدث حفيفا فإذا زاد ارتفاع أقصى اللسان أكثر من ذلك أحدث نوعا من الحفيف يخرج به صوت الحركة إلى محيط الصوت الصامت وينتج لنا فى هذه الحالة صوت صامت يجمع بين خاصية أصوات الحركة فى الوضوح الصوتى وبين خاصية الصوت الصامت فى سماع هذا الحفيف أثناء نطقه وهذا الصوت هو صوت الواو العربية إذا تحركت أو سبقت بحركة غير مجانسة مثل (وَعْد، نَوْم)٠

---

(١) انظر ص ٩٤ ٠

وهذان الصوتان أى الياء والواو فى الحالتين السابقتين أطلق عليهما العلماء "أنصاف الحركات" لما سبق من جمعهما بين خاصية أصوات الحركة والأصوات الصامتة ولذا يمكن أيضا وصفهما بأنهما "أنصاف صوامت" ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته فى الدراسات اللغوية(١).

أشباه الحركات

وإذا تأملنا الأصوات الصامتة وجدنا أن فيها أصوات: اللام والنون والراء والميم تشبه أصوات الحركة فى أهم خاصية لها وهى قوة الوضوح السمعى وهى أصوات صامتة لأن الهواء فيها ينحرف عن خروجه من وسط الفم إلى جانبى الفم مع اللام وإلى الأنف مع الميم والنون أما الراء فإن الاتصال والانفصال المتكررين مع عضوى النطق يعطيها نوعا من الوضوح السمعى يضاف إلى ذلك أن هذه الأصوات الأربعة مجهورة ولذا أطلق عليها العلماء "أشباه الحركات"(٢).

ومن الممكن وضع الأصوات العربية من حيث قوة الوضوح السمعى كما يلى:

الأصوات العربية

أصوات الحركة — أنصاف الحركة — أشباه الحركة — بقية الصوامت

(١) الأصوات د/ بشر ٨٦ .

(٢) نفسه / ١٣١، والأصوات اللغوية / ٢٧، ١٦١ .

ثانيا : الأصوات الصامتة وأهميتها فى العربية

الصوت الصامت هو ذلك الصوت الذى يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق فى مجرى الهواء سواء أكان الاعتراض كاملا كما في نطق صوت الدال مثلا أو كان الاعتراض جزئيا من شأنه أن يسمح بمرور الهواء مع احتكاك مسموع وسواء كان مرور الهواء من الفم أو الأنف ومن وسط اللسان أو من جانبيه[١].

والأصوات الصامتة هى ما أطلق عليه علماء العربية بالحروف وسموها بحروف الهجاء فى العربية وعدوها ثمانية وعشرين أو تسعة وعشرين حرفا[٢].

والأصوات الصامتة مع أصوات الحركة تتكون منهما الأصوات العربية ولكل منهما وظيفة لا تقل أهمية عن الأخرى فى تشكيل النظام اللغوى وهناك فروق واضحة بين وظيفة كل منهما فى اللغة أهمها:

أن أصول الكلمات تتكون من الأصوات الصامتة أما التفريعات من المادة الأصلية والمشتقات والمعانى المختلفة للأصل فتكونها أصوات الحركة بنوعيها القصيرة والطويلة.

فمثلا: يكتب، كاتب، مكتب، مكتوب، مكاتب، مشتقات ومعانى مختلفة للأصل الثلاثى ك، ت، ب .

---

(١) انظر الأصوات د/ بشر ٧٤ .
(٢) انظر كتابنا : أصوات اللغة العربية ٣٣ وما بعدها.

والأصل: أصوات صامتة ثم جاءت بعد ذلك المعانى المختلفة من أصوات الحركة (الحركات وحروف المد المُشْبعة عنها).

والكاف والتاء والباء الأصل جاء منها: كتب (فعل ماض)، يكتب (فعل مضارع)، كاتب (اسم فاعل) وهكذا كما نلاحظ أن الأصوات الصامتة فى هذه الحالة لا يمكن النطق بها وحدها فتحتاج إلى الحركات المختلفة وبهذا يتكون النسق البنائى للغة وتؤدى وظيفتها كاملة[١].

والأصوات الصامتة كذلك هى جميع حروف العربية ما عدا أصوات الحركة (الفتحة والكسرة والضمة والألف والياء والواو التى هى حروف مشبعة عن الحركات السابقة).

---

(١) انظر مقارنة بين أصوات الحركة والأصوات الصامتة ووظيفة كل منهما فى اللغة فى كتابنا أصوات اللغة العربية ١٠١ ــ ١٠٣ .

تصنيف الأصوات الصامتة

قسم العلماء الأصوات الصامتة تقسيمات ثلاثة أساسية باعتبارات مختلفة وذلك تسهيلا للدارسين للتعرف على طبيعة هـذه الأصـوات وخصائصها[١].

التقسيم الأول: باعتبار وضع الأوتار الصوتية.

التقسيم الثاني: باعتبار مواضع النطق ومخارجه.

التقسيم الثالث: باعتبار حالة الهـواء أثنـاء مـروره بمخـرج الصوت من حيث ما يعترضه من عوائق.

وفيما يلي: الحديث عن هذه التقسيمات بالتفصيل:

أولا: باعتبار وضع الأوتار الصوتية:

تحدثنا ــ فيما سبق ــ عن الأوتار الصوتية كعضو من أعضـاء النطق[٢] وقلنا إن الفراغ بين الوتر بين الصوتيين يسـمى بالمزمـار وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط أثناء النطق بالأصوات بنسب مختلفة.

وحين النطق بالصوت يمر هـواء الزفيـر بـالرئتين فالقصـبة الهوائية فإذا وصل إلى الحنجرة واهتز الـوتران الصـوتيان (نتيجـة اقترابهما) اهتزازا منتظما وأحدثا صوتا موسيقيا تختلف درجته حسب

---

(١) انظر الأصوات د/ بشر ٨٧ .

(٢) انظر ص ٦٧ .

عدد الهزات أو الذبذبات فى الثانية كما تختلف شدته أو علوه حسب سعة الاهتزازة الواحدة"[١] سمى الصوت مجهورا.

فالصوت المجهور هو الذى يهتز معه الوتران الصوتيان[٢] والجهر هو اهتزاز الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت وحين تهتز الأوتار الصوتية يؤدى ذلك الاهتزاز إلى تقوية الصوت أثناء نطقه ومن هنا عرف فضيلة الدكتور جبل الجهر بأنه زمير يصحب الحرف حين نطقه وعكسه الهمس[٣] ، ونعرف اهتزاز الوترين الصوتيين من عدمه بالأمور الآتية:

١ - إذا وضعنا الأصبع فوق البروز المسمى بتفاحة آدم ونطقنا بصوت من الأصوات فإذا شعرنا باهتزاز الوترين الصوتيين كان ذلك الصوت مجهورا.

٢ - إذا وضعنا أصبعنا فى أذننا فإننا نشعر برنين الصوت فى رءوسنا حين النطق بالصوت.

٣ - إذا وضعنا الكف فوق الجبهة فإننا نشعر برنين الصوت فى رءوسنا حين النطق بالصوت[٤].

وإذا نظرنا إلى الأصوات العربية الصامتة نجد أن اصطلاح الجهر فيها ينطبق على الأصوات الآتية ـ كما ننطقها اليوم ـ :

---

(١) الأصوات اللغوية ص٢٠ .
(٢) راجع توضيح سيبويه للصوت المجهور فيما يأتى ص ٢١٦ .
(٣) انظر المختصر / ٥٦ .
(٤) نفسه .

ب ــ ج ــ د ــ ذ ــ ر ــ ز ــ ض ــ ظ ــ ع ــ غ ــ ل ــ م ــ ن ، والواو فى نحو (وَلد ، وحَوْض) والياء فى نحــو (يتْــرك، بَيْت) أى خمسة عشر حرفا ٠

وقد ذكر علماء العربية القدامي ضــمن الحــروف المجهــورة: الهمزة والألف والقاف والطاء ٠

وقد وضحنا هذا الأمر عنــد الحــديث بالتفصــيل عــن هــذه الحروف[(١)] ٠

أما الهمس فهو عكس الجهر فحين يمر هواء الزفيــر بــالرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة والأوتار الصوتية مع عدم اهتزازها يكون الهمس والصوت المهموس هو الذى لا يهتز معه الوتران الصــوتيان ومن هنا كان الصوت المهموس ضعيفا خفيا ٠

والأصوات العربية الصامتة التى ينطبق عليها اصطلاح الهمس ــ كما ننطقها الآن ــ عند أكثر المحدثين هى:

ت ــ ث ــ ح ــ خ ــ س ــ ش ــ ص ــ ط ــ ف ــ ق ــ ك ــ هـ ، أى اثنا عشر حرفا مع الاختلاف بــين القــدماء وبعــض المحدثين فى بعض الأصوات كما سبق فى الجهر ٠

ثانيا: باعتبار المخارج:

المخارج جمع مخرج ويقصد بمخرج الصــوت مكــان خــروج الصوت أو المكان الذى يغلق فيه مجرى هواء الصوت أو يعاق[(٢)] ٠

---

(١) انظر سر الصناعة ١/ ٦٩ ٠
(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية / ٩٣ ٠

وتقسم الأصوات الصامتة بهذا الاعتبار إلى مجموعات صوتية وكل مجموعة تُنسب إلى موضع معين مع ملاحظة أن الموضع الواحد قد يخرج أكثر من صوت وأن أكثر من عضو قد تشترك فى إصدار الصوت الواحد وقد قسم العلماء المحدثون الأصوات الصامتة ـ حسب المخارج ـ إلى الأنواع الآتية:

١ـ **أصوات شفوية** : نسبة لانحباس الهواء ـ أثناء النطق بها فى الشفتين وهى: أصوات الياء والميم والواو غير المدية لانضمام الشفتين أثناء النطق بها[١].

٢ـ **أصوات شفوية أسنانية:** نسبة لخروجها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وينطبق ذلك على صوت الفاء فقط.

٣ـ **أصوات أسنانية أو بين أسنانية:** لأنها تخرج من بين أطراف الأسنان (العليا والسفلى) مع طرف اللسان والأصوات التى تخرج من هذا المكان هى: الذال والظاء والثاء.

٤ـ **أصوات أسنانية لثوية:** وهى تلك الأصوات التى يضيق مجرى الهواء فيها أو يعاق فى منطقة أصول الأسنان أو اللثة العليا لاتصال طرف اللسان بها وهذه الأصوات هى:

---

(١) هذا هو رأى القدماء أما المحدثون فقد اختلفوا فى اعتبار تلك الواو من الأحرف الشفوية واعتبرها بعضهم من أصوات أقصى الحنك وبعضهم من الموضعين معا أى أقصى الحنك والشفتان (كتابنا أصوات اللغة العربية/٦٣).

التاء ــ الدال ــ الطاء ــ الضاد (الحديثة تبعا لنطقها الآن في الفصحى عند البعض) ــ اللام ــ النون .

٥- **أصوات لثوية** : وهي التي يعاق مجرى الهواء عند النطق بها في منطقة اللثة العليا مع اتصال طرف اللسان بها وهي أصوات: الزاي ــ الصاد ــ السين-الراء[١] .

٦- **أصوات لثوية حنكية**: وهي التي يضيق مجرى الهواء ــ أثناء النطق بها ــ في منطقة مقدم اللسان وما يحاذيه من مقدم الحنك واللثة العليا . ويخرج من هذا الموضع أصوات الجيم الفصيحة والشين وبعضهم يطلق على أصوات هذه المجموعة "الأصوات الغارية" لأنه يسمى هذا الموضع "بالغار"[٢] .

٧- **أصوات حنكية** وهي التي يضيق مجرى الهواء فيها في منطقة وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى وهو مخرج الياء (غير المدية) ــ ولا ريب ــ في أن مخرج المجموعتين ٦، ٧ قريب جدا حتى إن بعض العلماء يجعلهما مخرجا واحدا تحت لقب "أصوات وسط الحنك" وجعل منه مخرج الأصوات الثلاثة (الجيم الفصيحة ــ الشين ــ الياء غير المدية) [٣] .

---

(١) بعض علماء الأصوات جعل مخرج الأصوات اللثوية والأسنانية اللثوية موضعا واحدا ولكن الأصح كما رأى الدكتور/ بشر أن الأصوات اللثوية أدخل قليلا في النطق والموضع من الأصوات الأسنانية اللثوية ــ انظر الأصوات د/ بشر ٨٩ .

(٢) انظر مقدمة في أصوات العربية/ ١٠٢ .

(٣) نفسه / ١٠٣ .

٨ـ **أصوات طبقية** (أقصى الحنك) وهى التـــى يضـــيق مجــرى الهواء فيها فى منطقة الحنك اللين (ويطلق عليهــا "الطبــق") عنــدما يقترب منه أقصى اللسان وأصوات هذه المجموعة: الكاف ــ الغين ــ الخاء ــ الواو (غير المدية) وقد سبق ذكر الاختلاف فى الــواو فــى المجموعة الأولى من هذه المجموعات وبعضهم يضيف إلى الأصوات الطبقية الجيم القاهرية الخالية من التعطيش[١].

٩ـ **أصوات لهويــة** : نسبة إلى اللهاة (زائدة لحمية بين الحلق والفم) وهى تقوم بدور هام أثناء النطق بصوت "القاف" حيث تعمــل علــى تضييق مجرى الهواء فى هذه المنطقة أثناء النطــق بالقــاف ونظــرا للقرب الشديد بين موضع المخرجين ٨، ٩ فقد ألحق بعض المحــدثين بالأصوات اللهوية: الغين، والخاء[٢].

١٠ـ **أصوات حلقية**: وهى الأصوات التى يضــيق فيهــا مجــرى الهواء من اقتراب أصل اللسان مع الجدار الخلفى للحلق وهى: العــين والحاء.

١١ـ **أصوات حنجرية**: وهى التى تنسب إلى الحنجــرة أى تتكــون فيها وهى الهمزة والهاء.

---

(١) نفسه/ ١٠٤ .

(٢) انظر دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح / ٢٧٨، وكتابنــا أصــوات اللغة العربية/ ٢٦ .

ما سبق هو تقسيم المحدثين للأصوات الصامتة كما ننطقها اليوم أما تقسيم القدماء من علماء العربية لهذه الأصوات فيختلف عن المحدثين تبعا لوجهة كل منهما.

وإذا كان المحدثون قد اتفقوا فى جعل أنواع المخارج إحدى عشر مخرجا ـ كما سبق ـ فإن القدماء اختلفوا فى عدد مخارج الحروف فالبعض وعلى رأسهم ـ سيبويه وابن جنى ـ يقول إنها ستة عشر مخرجا[١] والبعض على أنها سبعة عشر مخرجا وذلك بإضافة الضاد إلى الستة عشر[٢] وقيل إنها أربعة عشر بجعل النون والراء واللام من مخرج واحد[٣].

ومخارج الحروف ـ عند القدماء ـ يجمعها عشرة ألقاب وسنذكرها ـ فيما يلى ـ ليقف القارئ على ما أضافه المحدثون على الدراسات الصوتية القديمة:

١ - الأحرف الحلقية: وهى موزعة على ثلاثة مخارج متقاربة:

أ - أقصى الحلق من ناحية الصدر مخرج: الهمزة والألف والهاء.

ب - وسط الحلق ويخرج منه العين والحاء.

ج - أدنى الحلق من ناحية الفم ويخرج منه: الغين والخاء.

---

(١) سيبويه ٤/ ٤٣٣، وابن جنى ـ سر الصناعة ١/ ٥٢.
(٢) دراسات فى فقه اللغة ٢٨٠.
(٣) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/ ١٩٨، ١٩٩.

٢ - الأحرف اللهوية ويخرج منها: القاف ويليها الكاف، فالقاف من أقصى اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى والكاف من أسفل مخرج القاف وما يقابله من الحنك الأعلى.

٣ - الأحرف الشجرية نسبة إلى شجر الفم وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى ويخرج منه: الجيم، الشين، الياء (غير المدية).

٤ - الأحرف الذلقية: نسبة إلى ذلق اللسان أى طرفه ويخرج منه اللام والنون المظهرة والراء.

فاللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام، والنون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا وإن كان فيها بعض الغنة من الأنف.

والراء من مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام.

٥ - الأحرف النِّطعية: نسبة إلى النطع وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا: ويخرج منه حروف : الطاء ــ التاء ــ الدال، الضاد الحديثة عند البعض[١].

---

(١) أما الضاد القديمة فمخرجها كما يقول سيبويه (٤/ ٤٣٣) "من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس".

٦ - الأحرف الأسلية: نِسْبة إلى أسل اللسان (طرفه) وهو ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا ويخرج منه: الصاد والسين والزاى.

٧ - الأحرف اللثوية نسبة إلى قربها من اللثة وهو خروجها من طرف اللسان وأطراف الثنايا (العليا والسفلى) وهى حروف: الظاء، الذال، الثاء.

٨ - الشفوية الأسنانية وهى الفاء لخروجها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

٩ - الشفوية لخروجها من الشفة وهى أحرف: الباء والميم والواو (غير المدية).

١٠ - ذكر ابن جنى مخرجا أخيرا هو "الخياشيم" قال "ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة"[١] والحق أن مخرج النون الأصلى سبق فى الأحرف الذلقية أما الصوت الذى يخرج مع النون الساكنة فلا يعبر عن صوت النون والحقيقة أن: الخيشوم يكون مخرجا للغنة وهى تكون فى النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء أو ما فى حكمه من الإدغام بالغنة[٢].

وألقاب المخارج العشرة السابقة تجمع ستة عشر مخرجا لأصوات العربية الصامتة على رأى ـ ابن جنى وسيبويه[٣] اللذين لهما أبرز الجهود الصوتية عند القدماء.

---

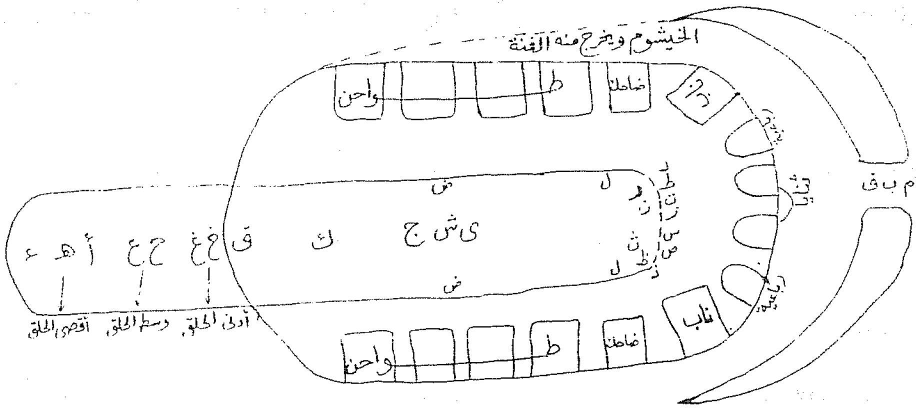
(١) سر الصناعة ١/ ٥٣، وسيبويه ٤/ ٤٣٤ .

(٢) النشر ١/ ٢٠١ ، وراجع فى مخارج الأصوات عند القدماء كتابنا أصوات اللغة العربية / ٦٠ ـ ٦٣ .

(٣) انظر سر الصناعة ١/ ٥٢، ٥٣، وسيبويه ٤/ ٤٣٣، ٤٣٤ .

وألقاب المخارج السابقة عند القدماء بعضها يتفق مـع الألقـاب الحديثة كقولهم "الشفوية" فهو لقب يتفق مع القدماء والمحدثين سـوى إضافة المحدثين للواو غير المدية بأنها من أصوات أقصى الحنك وقد وضحنا ذلك سابقا[١] وبعض الألقاب يختلف بين القـدماء والمحـدثين كالحلقية[٢] وسنوضح هذه المسألة أكثر عنـد الحـديث عـن نتـائج الدراسات الصوتية عند علمائنا القدامى[٣].

ويوضح الشكل الآتى (٤) مخارج الحروف على ترتيب سيبويه.



شـكل (٤)

---

(١) ص ١١٠ .
(٢) انظر الأصوات د/ بشر ٩٠ ــ ٩٣ .
(٣) ص ٢١٤ وما بعدها.

ثالثا : تقسيم الأصوات الصامتة باعتبار: حالة الهواء عند مخرج الصوت إذا مر هواء الزفير حين النطق بالصوت ــ أثناء خروجه من الرئتين ــ فإما أن ينحبس الصوت عند مخرجه ويمنع منعا تاما ثم ينطلق فجأة أو يمنع منعا جزئيا وإما أن ينطلق الصوت مع حدوث تغيير له أو انحراف فيخرج الهواء من جانبي الفم أو الأنف الخ .

وينتج عن ذلك أنواع الأصوات الآتية:

١ ـ الأصوات الانفجارية أو الصوامت الوقفية:

وذلك إذا حبس الصوت تماما عند المخرج نتج عن ذلك الحبس أن يضغط الهواء ثم يحدث انفراج فيندفع الهواء محدثا صوتا شديدا أو انفجاريا .

فعند النطق بصوت الباء يحبس الصوت تماما عند انطباق مخرجها وهو الشفتين ثم يحدث انفجار الهواء بعد ذلك .

وتنطبق صفة (الانفجارية) حال النطق بالصوامت الآتية: الهمزة ــ القاف ــ الكاف ــ الطاء ــ الضاد (المصرية) الدال ــ الباء ــ التاء ــ الجيم (القاهرية) = تسعة حروف(١) .

---

(١) هذه الأصوات تسمى عند القدماء بالحروف الشديدة وهى عندهم ثمانية فقط مجموعة فى قولهم "أجدت طبقك" أو "أجدك قطبت" وهى تختلف عن الانفجارية عند المحدثين فى أمرين: الأول: ذكرهم الجيم الفصيحة مع الأصوات الشديدة فى حين أنها صوت انفجارى احتكاكى كما سنعرف قريبا. الثانى عدم ذكرهم للضاد (المصرية) ولهم عذرهم فى ذلك فالنطق المصرى للضاد حديث لم يوجد عند القدماء (الأصوات د/ بشر ٩٨، سيبويه ٤/٤٣٤).

٢ـ الأصوات الاحتكاكية:

أما إذا لم يحبس الصوت عند المخرج وانطلق ــ دون عائق ــ مع ضيق مجرى الهواء عند مخرج الحرف فيحدث نوعا من الحفيف يختلف نسبته تبعا لضيق المجرى وهذا النوع من الحفيف هو الذى يجعل هذه الأصوات احتكاكية.

والأصوات الاحتكاكية الصامتة: كما ننطقها ــ اليوم ــ هى: الفاء، الثاء، الذال، الظاء، الزاى، السين، الصاد، الشين، الخاء، الغين، الحاء، العين، الهاء = ثلاثة عشر حرفا(١).

٣ـ الأصوات المائعة ويقصد بها تلك الأصوات التى تكون بين الانفجارية والاحتكاكية وتشمل الأصوات الآتية:

اللام ، الراء، الواو، والياء (اللتان ليستا حروف مد) والجيم العربية الفصيحة والنون والميم.

أما الراء فهى صوت مكرر أى يتكرر طرف اللسان عند الوقف عليه ولا يثبت ومن هنا كان مائعا بين (الانفجار والاحتكاك).

واللام صوت جانبى لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت فيخرج

---

(١) هذه الأصوات تسمى عند القدماء بالأصوات الرخوة ما عدا "العين" التى اعتبرها القدماء من الحروف المتوسطة كما أضاف القدماء إلى تلك الأصوات "الجيم" الشامية المعطشة والضاد العربية الفصيحة . انظر كتابنا أصوات اللغة العربية / ٦٩ .

الصوت من تلك الناحيتين ومما فويقهما ومن ثم كان هـذا الصـوت مائعا[١].

وكذلك الياء والواو (غير المديتين) ذلـك أن اتصـال عضـوى النطق مع هذين الحرفين يسمح للهواء بمرور حفيف ولـذلك يكـون الحرف بين الانفجارية والاحتكاكية.

أما الجيم الفصيحة فيطلق عليها العلماء بأنها صوت مركـب أى انفجارى احتكاكى وقالوا: إذا كان انفصال عضوى النطق بطيئا بحيث لا يحدث انفجار واضح بل يسمع عند إطلاق الوقف صامت احتكاكى ـ سمى الصوت الذى يتكون بهذه الكيفية انفجاريا احتكاكيا والصوت الوحيد الذى يتكون بهذه الطريقة فى العربية هو الجيم الفصيحة ويـتم نطق هذا الصوت بأن يرتفع مقدم اللسان تجاه مـؤخر اللثـة ومقـدم الحنك حتى يتصل بهما محتجزا وراءه الهواء الخارج من الرئتين ثـم بدلاً من أن يفصل عنهما فجأة كما فى نطق الأصوات الانفجارية يـتم الانفصال ببطء فيعطى الفرصـة للهـواء بعـد الانفجـار أن يحتـك بالأعضاء المتباعدة احتكاكا شبيها بما يسـمع مـن صـوت الجـيم الشامية[٢] (الصوت الاحتكاكى).

وأما النون والميم فعند اتصال طرفى النطق بهما (طرف اللسان بما فويق الثنايا فى النون والشفتين فى الميم) ينطبق العضوان ويخرج

---

(١) سر الصناعة ١/ ٧٢، والنشر ١/ ٢٠٤ .
(٢) د/ بشر ــ الأصوات ١٢٥ .

الهواء من التجويف الأنفى محدثا حفيفا خفيفا هو صوتى النون والميم[١] مع التمييز بينهما[٢].

وهناك تقسيمات ثانوية للأصوات الصامتة تعتمد على الشكل الذى يتخذه اللسان أثناء النطق بالصوت وعلى سهولة الصوت على اللسان وإذا لاحظنا ذلك نجد هذه الصفات تقسم قسمين:

أ- صفات عامة وهى:

١- أصوات مطبقة:

وهى تلك الأصوات التى يرتفع فيها ظهر اللسان نحو الحنك الأعلى ويتقعر وسطه بحيث يكون الحنك الأعلى كالطبق بالنسبة للسان وفى هذه الحالة يسمى الحرف مطبق "والأصوات المطبقة: الصاد، الضاد، الطاء، والظاء"[٣].

٢- أصوات منفتحة:

وهى تلك الأصوات التى يجرى الصوت فيها دون ارتفاع اللسان نحو الحنك الأعلى وإطباقه له وهى ما عدا الأصوات الأربعة السابقة.

---

(١) الأصوات المائعة عند المحدثين هى ما يطلق عليه القدماء بحروف المتوسط بين الشدة والرخاوة وهى خمسة حروف مجموعة فى قولهم "لن عمر" وبذلك عد القدماء "العين" من حروف التوسط وهذه الصفة قديمة عندهم أما نطق "العين" الآن فقد ثبت أن فى نطقها تضييقا كبيرا للحلق ولذلك عدت من الأصوات الرخوة. انظر مناهج البحث فى اللغة د/ تمام حسان ١٣٠، والأصوات اللغوية ٧، ٦٨ .

(٢) وبذلك نرى أن القدماء لم يذكروا الجيم الفصيحة من حروف التوسط وقد ذكر ابن جنى الألف والياء والواو (التى ليست مدا) فلا وجه لذكر الألف (كتابنا أصوات اللغة العربية/ ٧٠) .

(٣) انظر مقدمة فى أصوات اللغة العربية ١١١،وكتابنا أصوات اللغة العربية ٧١

٣ـ أصوات مُسْتَعْلِية:

وهى الأصوات التى يرتفع فيها اللسان نحو الحنك الأعلى وهى أصوات الإطباق السابقة مضافا إليها: الخاء ــ الغين ــ القاف.

٤ـ أصوات مستفلة:

أى التى لا يرتفع اللسان عند النطق بها وهى الأصوات كلها ما عدا الأصوات المستعلية السابقة.

٥ـ أصوات ذَلاَقة :

أى خفة لاعتمادها على طرف اللسان أو الشفة وهى ستة: الراء، اللام، النون، الميم ، الفاء، الباء مجموعة فى قولهم "مربنفل" ومن خصائص هذه الأصوات أنه لا تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية فى اللغة العربية فإذا خلت الكلمة الرباعية أو الخماسية من هذه الأصوات فهى دخيلة إلا ما نص على عربية منها: كالعسجد للذهب.

٦ـ أصوات مُصْمَتة:

وهى ما عدا أصوات الذلاقة السابقة وسميت مصمتة لأنها صمت عنها أى سكت من أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية فى العربية.

٧ـ أصوات مُفَخَّمة:

التفخيم أى تعظيم الصوت فى النطق حتى يمتلئ الفم بصداه.

والأصوات المفخمة هى أصوات الاستعلاء السابقة مضافا إليها من حروف الاستفال: اللام والراء فى مواضع معينة مذكورة بالتفصيل فى كتب القراءات(١).

---

(١) انظر النشر فى القراءات العشر ١/ ٢١٥ وما بعدها.

٨ـ أصوات مُرققة:

الترقيق عكس التفخيم أى جعل جسم الصوت نحيلا فلا يمتلئ الفم بصداه وأصوات الترقيق ما عدا أصوات التفخيم السابقة[١].

٩ـ أصوات صَفيرية:

وذلك لخروج صفير أثناء نطقها: ويختلف الصفير قوة وضعفا بالنسبة لوجوده فى الصوت:

فالسين والزاى والصاد تتميز بقوة الصفير فيها، وقد يوجد الصفير فى غيرها: وهى أصوات : الثاء، الذال، الشين، الظاء، الفاء. بيد أنه إذا أطلق الصفير انصرف إلى الأصوات الثلاثة الأولى.

١٠ـ أصوات مُقَلقلة:

القلقلة: هى اضطراب الصوت وتحركه بحركة عند النطق وهو ساكن حتى يسمع له نبرة قوية.

وأصواتها خمسة هى: الباء ، الجيم، الدال، الطاء، القاف[٢].

١١ـ أصوات خَفِية:

الخفاء فى اللغة: الاستتار .

وقد جعل سيبويه صفة الخفاء فى سبعة حروف الهاء والنون والميم والهمزة وأصوات المد الثلاثة (الألف والواو والياء) المسبوقات بحركات مجانسة وقد بين سيبويه الخفاء فى حروف المد فقال بعد أن

---

(١) انظر الإتحاف / ٩٣ .

(٢) انظر سر الصناعة ١/ ٧٣، ودراسات فى فقه اللغة/ ٢٨٢ .

ذكر أن الحرف الهاوى حرف اتسع مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك فى الواو وترفع فى الياء لسانك قِبَل الحنك وهى الألف .

"وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو"(١).

ومعنى كلام ابن جنى(٢) أن الهمزة حرف خفى لبعد مخرجها حيث قال: "وإنما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل فى الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به تكلفا".

وقال ابن جنى معللا زيادة المد فى حروف المد إذا وقع بعدهن همزة أو حرف مشدد "وإنما تمكن المد فيهن مع الهمز أن الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخى مخرجه فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن فى الصوت فوفين له وزدن فى بيانه ومكانه وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشددة"(٣).

وقال ابن يعيش : "الهمزة حرف خفى لأنه أدخل الحروف فى الحلق.." (٤) .

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٦ .
(٢) سر الصناعة ١/ ٧١ .
(٣) الخصائص ٣/ ١٢٥ .
(٤) شرح المفصل ٩/ ٧٣ .

وقال أبوعمرو الداني مؤكدا وصف الهمزة بالخفاء : "ورسمت الألف بعد الواو في مثل "العلمؤا" لأحد معنيين: إما تقوية للهمزة لخفائها وهو قول الكسائي ..." [١].

وفى الرعاية لمكى بن أبىطالب: "الحروف الخفية أربعة: الهاء وحروف المد واللين وسميت بالخفية لأنها تخفى فى اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها[٢] ولا مخرج تنسب على الحقيقة إليه ... وإنما تخرج من هواء الفم حتى ينقطع النفس والصوت فى آخر الحلق ولذلك نسبت فى المخرج إلى الحلق فهى خفية فى اللفظ ... وكذلك النون الساكنة فيها خفاء"[٣].

وذكر ابن الجزرى أيضا أن الحروف الخفية أربعة(الهاء وحروف المد) وسميت بالخفية لأنها تخفى فى اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها ولخفاء الهاء قويت بالصلة وقويت حروف المد بالمد عند الهمزة[٤] .

تعقيب:

الخفاء فى الحرف صفة ضعف وهذا مأخوذ من المعنى اللغوى للخفاء وهو الاستتار[٥] فالخفاء واضح فى النون والميم والهاء وعلاج خفاء هذه الحروف بتوضيح مخرجها والخفاء فى الهمزة وحروف المد لبعد المخرج واتساعه وهو خفاء فسيولوجى طبيعى نتغلب عليه بزيادة المد وبيان الهمزة إذا جاء بعد المد همزة أو حرف مدغم.

---

(١) المقنع / ٦٥ .
(٢) وأنها لابد من اعتمادها على ما قبلها.
(٣) انظر الرعاية / ٤٢، ٤٣ .
(٤) النشر ١/ ٢٠٤ .
(٥) خفى عليه إذا استتر وخفى له إذا ظهر . المصباح (خفى).

والمعروف عند المحدثين أن أصوات المد أوضح فى السمع من الأصوات الساكنة وهذا لا ينافى ما فى أصوات المد من صفة الخفاء حيث إن الخفاء نطقى طبيعى أما الوضوح فهو سمعى إدراكى.

ويتضح مما سبق أيضا أن سيبويه جعل حروف الخفاء سبعة وجعلها ابن جنى ومكى بن أبىطالب وابن الجزرى أربعة.

ب- صفات خاصة :

١- الاستطالة:

الاستطالة: هى امتداد الصوت بالضاد (الفصيحة) من أول حافة اللسان إلى آخرها.

٢- التفشى :

التفشى هو امتداد النفس فى الفم عند النطق بالشين.

٣- أصوات مهتوتة وهتة:

وهى الهاء لما فيها من الضعف والخفاء[١].

٤- الانحراف:

يوصف به اللام قال سيبويه لانحراف اللسان مع الصوت ... وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك[٢].

٥- التكرير:

صفة حرف الراء ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه[٣].

---

(١) انظر تفصيل أكثر عن صفات الأصوات الصامتة فى: كتابنا أصوات اللغة العربية/ ٦٥ وما بعدها.

(٢) ٤/ ٤٣٥.

(٣) نفسه، وانظر المختصر/ ٦٨.

تكوين الأصوات الصامتة

تحدثنا ـ آنفا ـ عن تصنيف الأصوات الصامتة وعرفنا ضمن هذه التصنيفات مخرج كل صوت والصفات المميزة له عن غيره من الأصوات.

وبمعرفة مكان الصوت والصفات المميزة له يتضح لنا ما لهذا الصوت من خصائص يستطيع بها أن يتميز عن غيره من الأصوات.

بقى أن نعرف كيف يتكون هذا الصوت؟

إن أى صوت من الأصوات الصامتة لابد له فى تكوينه من مصاحبة الهواء المندفع من الرئتين فالقصبة الهوائية ثم تأتى بعد ذلك أعضاء النطق المكونة للأصوات الصامتة كالحنجرة والحلق واللسان والأسنان والشفتين ... وعندما يجئ مخرج الصوت ينطبق عضوى النطق انطباقا تاما (كالدال) أو جزئيا (كالسين) مكونا الصوت الصامت.

ونود ـ هنا ـ أن نفرد لكل صوت حديثا مستقلا نوضح فيه أهم صفات هذا الصوت، وكيف يتكون ؟ واضعين كل صوت تحت مجموعته الصوتية مع وضع ما يشبهه فى اللغات الأخرى تكميلا للفائدة.

مجموعة الأصوات الحلقية

١ـ أقصى الحلق:

أ ـ **الهمزة**: تشبه الحرف (h) فى الكلمة الإنجليزية (hour) وهو صوت شديد عند القدماء انفجارى عند المحدثين تتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية حتى إذا وصل إلى الحنجرة انطبقت فتحة المزمار انطباقا تاما ومنعت الهواء من المرور إلى الحلق ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيحدث صوت انفجارى هو الهمزة٠

ويرى الدكتور/ جبل أن الهمزة "تخرج من فتحة المزمار نفسها بعصر زمير الأوتار لحظة اتجاهها للالتقاء وإغلاق تلك الفتحة أو لحظة افتراقها بعد أن كانت مغلقة"(١).

ومن هنا يقول ابن سينا عن الهمزة:

"تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ومن مقاومة الطهر جالى زمانا قليلا لحصر الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا"(٢)٠

وقد وصف القدماء الهمزة بأنها صوت مجهور(٣) وتابعهم فى ذلك بعض المحدثين(٤)٠

---

(١) الأصوات اللغوية/ ٩١، والمختصر/ ٧٤ ٠

(٢) أسباب حدوث الحروف/ ١٦ ٠

(٣) سيبويه ٤/ ٤٣٤، وابن جنى سر الصناعة ١/ ٧٨ ٠

(٤) د/ جبل في المختصر/ ٧٤، ود/ صبحي الصالح دراسات في فقه اللغة/ ٢٨١ ٠

أما المحدثون فقد اختلفوا فى وصف الهمزة: فبعضهم يـرى أن الهمزة صوت مهموس "وحجة هذا الفريق" أن للحنجرة وظيفتين ذبذبة الأوتار الصوتية وهى صفة الجهر وعدم ذبذبتها وهى صفة الهمس والهمزة تحدث فى حالة احتباس الهواء فى الحنجـرة وعـدم ذبذبـة الوترين الصوتين فهى إذن مهموسة.

وقد نقل الدكتور/ هلال هذا الرأى ونسبه للدكتور/ تمام حسان والدكتور/ عبدالرحمن أيوب[١].

وبعض المحدثين يرى أن الهمزة صوت "لا هو بـالمجهور ولا هو بالمهموس" وحجتهم أنه حين النطق بالهمزة تحجز فتحة المزمار ـ التى هى بداية الوترين الصوتين ـ الهواء حجـزا تامـا وتتكـون الهمزة قبل المرور فى الوترين ومن هنا فلا ينطبـق علـى الهمـزة تعريف المجهور أو المهموس وهذا هو رأى الـدكتور/ أنـيس ومـن تابعه[٢].

تعقيب:

نرى مما تقدم أن الهمزة من الأصوات التى تطور نطقهـا عنـد البعض حيث كانت فى القديم مجهورة (يهتز معها الوتران الصوتيان) أما فى الحديث فأكثر العلماء على أن الهمزة صوت ليست بـالمجهور ولا بالمهموس لأن الهمزة تتكون من انفجار فتحة المزمار قبل ذبذبـة

---

(١) أصوات اللغة العربية / ١٢٨ ومناهج البحث فى اللغة/ ١٢٥ .
(٢) الأصوات اللغوية/ ٩١ .

الوترين الصوتيين أو عدم ذبذبتهما وأرجح رأى الدكتور جبل الذى يقول إن الهمزة صوت مجهور كما هى عند القدماء لأنه يصدق على واقع نطق الهمزة العملى وهيئة خروجها فإنها تخرج بعض الزمير أى ضغطه عصرا مرتبطا بإغلاق فتحة المزمار أى قبيل إغلاقها مباشرة أو لحظة انفتاحها بعد إغلاق إذ لا يتم صوت الهمزة إلا بأمور هى : وجود زمير وعصر ذلك الزمير وكونه سابقا أو تاليا لفتحة المزمار(١).

والهمزة بالوصف السابق تكون أصعب الحروف نطقا وأول الحروف ترتيبا فهى من أقصى الحلق ولذا كثرت حولها الأحكام وتناولها العلماء بالتحقيق والتسهيل والتخفيف.

يقول الدكتور/ أنيس:

"وقد مالت اللهجات العربية فى العصور الإسلامية إلى تخفيف الهمزة والفرار من نطقها محققة لما تحتاج إليه من جهد عضلى فالهمزة المشكلة بالسكون قد تسقط من الكلام ويستعاض عن سقوطها بإطالة صوت اللين قبلها فينطق بعض القراء "يومنون" فى "يؤمنون"، "ذيب" فى "ذئب"، "راس" فى "رأس"(٢) والهمزة سواء أكانت مفردة أم توالت همزتان اتجه العلماء وأئمة القراءات إلى تسهيل نطقها بطرق مختلفة نجملها فيما يلى:

---

(١) انظر المختصر / ٧٤ .

(٢) نفسه .

أ ـ الهمزة المفردة:

١ – سقوطها ونقل حركتها إلى الساكن قبلها نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾[١] بفتح الدال وذلك حيث كان الساكن صحيحا ساكنا والهمزة أو لا[٢].

٢ – تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها فتبدل ألفا بعد الفتح ... نحو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾[٣] وواوا بعد الضم نحو "يومنون" وياء بعد الكسر فى نحو "جيت"[٤].

ب ـ الهمزتان المجتمعان:

١ – إذا كانت الهمزتان فى كلمة وكانت الثانية ساكنة حذفت وعوض عنها بإطالة الحركة قبلها نحو آمن، أومن، إيمان.

٢ – إذا كانت الهمزتان فى كلمة والثانية متحركة فالأكثر على تسهيل الثانية بينها وبين حركتها والبعض يدخل ألفا والبعض يحققها نحو: ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾[٥]، ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾[٦].

---

(١) المؤمنون من الآية / ١ .
(٢) الإتقان ـ السيوطى ١/ ١٣٠ .
(٣) طه من الآية / ١٣٢ .
(٤) الإتقان ١/ ١٣٠، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/ ٣٩٠ ـ ٤٠٧ .
(٥) فصلت من الآية / ٤٤ .
(٦) آل عمران من الآية / ١٥ .

٣ - إذا كانت الهمزتان ــ فى كلمتين وكانتا متحركتين حذفت إحداهما بلا نقل عند بعضهم نحو: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾[١]، والباقون على التحقيق[٢].

هذا وقد عقد ابن جنى ــ فى "سر الصناعة" بابا مستقلا عن الهمزة استغرق ستا وخمسين صفحة وقال إنها تكون فى الكلام على ثلاثة أضرب: أصل وبدل وزائد وتحدث عن كونها فاء وعينا ولاما فى كلمة وفصل القول فى إبدالها من الألف والياء والواو والهاء والعين وأيضا فى زيادتها وغير ذلك مما لا مجال هنا لتفصيله فإن أردت مزيدا من الإيضاح فارجع إليه[٣].

ب- الهاء :

وصوته مماثل لصوت الحرف (h) فى اللغة الإنجليزية فى كلمة (head) وهو صوت: مهموس، رخو، مهتوت، منفتح، مصمت يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين فيمر بالقصبة الهوائية حتى إذا وصل إلى الحنجرة سمح للهواء بالمرور خلال الوترين الصوتيين دون اهتزاز وإن سمع بها صوت حفيف عند أقصى الحلق ثم يستمر الهواء بعد ذلك إلى أن يخرج من الفم.

يقول الخليل : "ولولا هتة فى الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء" .

---

(١) سبأ من الآية/ ٤٠ .
(٢) الإتقان ١/ ١٣٠ ، والنشر ١/ ٣٦٢ ــ ٣٨٨ .
(٣) سر الصناعة ١/ ٧٨ ــ ١٣٤ .

ويقول ابن سينا عن الهاء: "إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما بل تفعله حافات المخرج (أقصى الحلق) وتكون السبيل مفتوحة ... فالهاء تأتى فى ترتيب المخرج بعد الهمزة والألف عند القدماء والمحدثين[١].

٢- **وسط الحلق**:

أ- **العين**:

يماثل صوت الحرف العبرى y (عاين) وهو صوت: مجهور، متوسط، منفتح، مستفل، مصمت، وصفة التوسط فى العين يرى بعض العلماء المحدثين أنها ليست متحققة فيها.

فيقول الدكتور/ أنيس: "ولقلة التجارب الحديثة التى أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجع صحة هذه الصفة للعين[٢] ويصرح الدكتور/ حسان "بأنها صوت رخو" ويقول "وقد اتضح بصورة الأشعة أن فى نطق العين تضييقا كبيرا للحلق وهذا ما يدعونا وما دعا غيرنا من المحدثين إلى اعتبار صوت العين رخوا لا متوسطا"[٣].

ونرجح أن صفة العين "التوسط" بين الشدة والرخاوة وهى قديمة، قال سيبويه: "وأما العين فبين الرخوة والشديدة" وقد تطورت فى العصر الحديث إلى صفة "الرخاوة" والصوت الذى يسمع أثناء نطق

---

(١) أسباب حدوث الحروف/ ١٦، ومقدمة العين/ ٥٧، والمختصر ٨٠، ٨١ .
(٢) الأصوات اللغوية / ٢٥ .
(٣) مناهج البحث فى اللغة/ ١٣٠ .

العين هو الحفيف الناتج عن ضيق الهواء فى وسط الحلق شأنها فى ذلك شأن الأصوات الرخوة.

وشُهِرت العين بصفة النصاعة فهى أنصع الحروف أى أصفاها ولذا بدأ بها الخليل كتابه العين قال ابن سينا: "وأنت تسمع العين من كل إخراج هواء بعنف من مخرج رطب".

وتتكون العين: بمرور الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فإذا وصل إلى الحنجرة اهتز الوتران الصوتيان فإذا وصل إلى وسط الحلق ضاق مجرى الهواء محدثا صوت العين(١).

ب- الحاء:

يماثل صوت الحرف العبرى (حيت) وهو صوت: مهموس، رخو، مستفل، منفتح، مصمت، ولا فرق بينه وبين العين فى المخرج إلا شىء يسير جدا . قال الخليل : "ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها منها"(٢).

والعين أعمق فى المخرج من الحاء وإذا ادعى البعض أنهما من مخرج واحد فذلك على سبيل التجاوز والاتساع.

---

(١) انظر فى أحوال العين من الأصالة والزيادة والبدل والصفات . الكتاب ٤٣٥/٤، وعلوم الصوتيات عند ابن سينا ١٢١، وسر الصناعة ١/ ٢٣٤ ـ ٢٤٦ .

(٢) مقدمة فى اللسان (دار المعارف) ١/ ١٧ نقلا عن الخليل.

وقال ـ ابن سينا ـ بعد الحديث عن العين "والحاء مثلها إلا أن فتح الذى لا اسم له أضيق والهواء ليس يحفز على الاستقامة حفزا.."[١].

ويقول د/ حسان عن الحاء: "وهو مقابل المهموس لصوت العين ويتم النطق به كما يحدث مع صوت العين مع فارق واحد هو أن الأوتار الصوتية فى نطق الحاء مفتوحة ليس بها ذبذبة[٢] أى أن العين مجهورة والحاء مهموسة لا يهتز معها الوتران الصوتيان.

٣ـ أدنى الحلق من ناحية الفم:

أ - الغين يشبه الصوت (r) فى الكلمة الفرنسية paris وهو صوت: مجهور، رخو، مستعل، مصمت، منفتح يتكون باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية حتى إذا وصل إلى الحنجرة أثر فى الأوتار الصوتية بالاهتزاز ثم يأخذ مجراه حتى يصل إلى أدنى الحلق فيضيق مجرى الهواء ويحدث نوعا من الحفيف مكونا صوت الغين.

ب - الخاء يشبه الحرفين: (ch) فى كلمة Och (كوخ) الأسكتلندية صوت مهموس، رخو، مستعل، منفتح، مصمت، ومخرجه هو مخرج الغين إلا فرقا يسيرا أشار إليه ابن سينا إذ يقول عن الغين: "ولست تجد من الرطوبة ولا من قوة انحصار الهواء ما تجد مع الخاء"[٣].

---

(١) أسباب حدوث الحروف / ١٦، وسر الصناعة ١/ ١٩٦ ـ ١٩٨ .
(٢) مناهج البحث فى اللغة/ ١٣١ .
(٣) أسباب حدوث الحروف/ ١٧ .

ويقول د/ حسان عن الخاء: "ويتم النطق بهذا الصـوت بـنفس الطريقة التى يتم بها النطق بصوت الغين مع فـرق واحـد: هـو أن الأوتار الصوتية فى هذه الحالة الأخيرة لا تكون بها ذبذبة ومن ثم كان صوت الخاء مهموسا"(١).

ويتضح مما سبق أن الخاء تلى الغين فى المخـرج وأن الغـين أعمق قليلا من الخاء.

وبعض المحدثين يقصر الحروف الحلقية على العين والحاء أمـا الهمزة والهاء فهما من الحنجرة والغين والخاء من أقصى الحنك مـع أقصى اللسان.

---

(١) مناهج البحث فى اللغة/ ١٣٠ .

أصوات أقصى الحنك

١ ـ القاف تماثل الصوت P فى العبرية:

صوت مجهور (عند الأقدميين) [١] شديد، لهوى[٢]، مستعل، منفتح، مصمت، مقلقل، ويتكون هذا الحرف باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة مؤثرا على أوتارها الصوتية بالاهتزاز (على رأى الأقدمين).

ثم يتخذ الهواء مجراه فى الحلق حتى إذا وصل إلى أقصى الحنك الأعلى (أصل اللهاة) انطبق على أقصى اللسان حتى يحبس الهواء حبسا تاما ثم ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا فيحدث الهواء صوتا انفجاريا شديدا هو القاف ، قال ابن سينا : "والقاف عن شق الأجسام وقلعها"[٣].

وصوت القاف فى اللغة العربية من الأصوات التى أصابها التطور الكبير فلم تثبت على نطق واحد على اختلاف العصور والشعوب.

١ – فبينما نجدها صوتا مجهورا ــ كما وصفها القدماء ــ عند بعض القبائل كقبائل السودان وقد عاصرنا منهم بعض الأخوة فوجدناهم ينطقونها (غينا) يقولون (غال) بدل (قال) إلا أنها عند بعض السودانيين رخوة وليست شديدة مثل الفصحى.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٧٨ .
(٢) نسبة إلى اللهاة عند المحدثين.
(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣، وعلوم الصوتيات / ١٢١ .

٢ – ونرى الآن ــ القاف ــ كما تنطق عند مجيدى القــراءات ودور الإعلام تكون صوتا مهموسا لا يهتز معه الوتران الصوتيان[١].

٣ – كما نرى بعض البدو ينطقون القاف (جيما) بــين القــاف، الكاف كالتى نسمعها فى لهجة (أهل القاهرة).

٤ – ونسمع كذلك لصوت القاف نطقا آخر وهو الهمــزة فــى العامية نقول (آل) أى قال أى أن صوت القاف هنا تطور بانتقاله مــن أقصى الحنك إلى أقصى الحلق .

٥ – وقد ذكر الدكتور/ جبل أن الكاف الفارســية تنقــل فــى العربية جيما أو كافا أو قافا أو غينا كالجاموس أصلها كــاوى مــيش وذكر أن هذه القاف هى القاف المعقودة أو الريفية أو الجيم القاهرية أو الكاف الصماء أو الفارسية وهى التى ذكرها سيبويه باسم الكاف التى بين الجيم والكاف وعدها من الحروف غير المستحسنة ولا الكثيرة فى لغة من ترتضى عربيته[٢] .

لهذا نرى أن نقرر:

أ – أن القاف ــ قديما ــ فى نطق القبائل العربية كانت صــوتا مجهورا كما وصفها القدماء ثم تطور هذا الصوت فى النطق بمــرور الزمن (والتطور سنة الحياة فأصبح مهموسا) وهــذا رأى كثيــر مــن علماء اللغة المحدثين .

---

(١) الأصوات اللغوية/ ٨٥ .

(٢) انظر المختصر ٩٥، ٩٦، والكتاب ٤/ ٤٣٢ .

ب - بعض القبائل العربية قد هاجرت من موطنها الأصلى فى الجزيرة العربية إلى البلاد الأخرى وحملت معها الصفات الصوتية الخاصة بالقاف فرأيناها تنطق (همزة) فى العامية أو صوتا كالجيم القاهرية بين القاف والكاف أو (غينا) كما عند بعض القبائل السودانية وهكذا وهذه تختلف عن القاف الفصحى فى أنها رخوة .

جـ - يرجح الدكتور/ جبل أن النطق المهموس للقاف (القاف المصرية الحديثة) هو لهجة بنى تميم جاء فى الجمهرة أن بنى تميم "يلحقون القاف باللهاة وفى رواية بالكاف فتغلظ جدا فيقولون للقوم: الكوم"(١) .

هذا وقد هُدِى فضيلته إلى نطق القاف الفصحى قصوية شديدة مستعلية مجهورة حسب ما وصفها القدماء(٢) وأؤيده فى رأيه ثقة فى علمه وأمانة فى وصفه وقد سمعتها من فضيلته.

٢ - الكاف يماثل الحرف (K) فى الإنجليزية فى كلمة (Key) بمعنى مفتاح صوت شديد، مهموس، مستفل، مصمت، منفتح.

وهو يصحب هواء الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة غير مؤثر على أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يتخذ الهواء مجراه فى الحلق حتى إذا وصل إلى أقصى الحنك اتصل بأقصى اللسان اتصالا محكما

---

(١) المختصر / ٩٥ نقلا عن الجمهرة ١ / ٤٢ .
(٢) نفسه / ٩٤ .

فلا يسمح للهواء بالمرور ثم ينفرج العضوان انفراجا مفاجئـا محـدثا صوتا شديدا انفجاريا هو الكاف ٠

ومما سبق يتضح أن القاف والكاف مـن مخـرج واحـد إلا أن القاف أعمق قليلا ولذلك قال سيبويه: "ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف" وقال ابن جنى مميزا بين مخرجيهما بعد أن ذكر أن القاف من أقصى اللسان (ومـن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف) [١] ٠

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢ ٠

أصوات مقدم ووسط الحنك الأعلى

١ـ **الياء (غير المدية)** فى مثل بيت، يكتب، سعى، يماثل الصوت (y) فى الإنجليزية وصوته مجهور رخو متوسط (على رأى) مستفل، منفتح، مصمت، وسبق أن تحدثنا عن هذا الصوت فى الحروف أشباه أصوات اللين[١].

كما تحدثنا عنه فى الأصوات المتوسطة[٢] المختلف فيها وقلنا إن ارتفاع أول اللسان فى صعوده تجاه الحنك الأعلى أكثر من صوت اللين (i) يحدث حفيفا يتكون به ذلك الصوت الساكن وهو صوت الياء (غير المدية) وذلك الحفيف هو الذى جعلها شبيهة بصوت اللين مع أن الهواء معها لا تعترضه حواجز وجعل البعض ـ كابن جنى ـ يصفها بتوسطها بين الرخاوة والشدة.

ويتكون هذا الصوت باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فإذا وصل إلى الحنجرة حرك أوتارها الصوتية ثم يمر بعد ذلك بالحلق والفم فإذا وصل إلى وسط مقدم اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى انطبق العضوان انطباقا غير محكم محدثا حفيفا خفيفا هو الياء غير المدية.

٢ـ **الجيم العربية الفصيحة تماثل الصوت** (g) **فى كلمة** (general) **الإنجليزية**: وهى صوت مجهور مزدوج بين الشدة والرخاوة، مستفل،

---

(١) ص ٥٧ .
(٢) ص ٧٠ .

منفتح، مصمت، مقلقل حين يسكن، والمراد بالجيم العربية الفصيحة: تلك التى نسمعها ــ الآن ــ من مجيدى القراءات القرآنية[١].

وتتكون من اندفاع الهواء من الرئتين إلى الحنجرة فيحرك أوتارها الصوتية ثم يتخذ الهواء مجراه فى الحلق والفم حتى يصل إلى وسط مقدم اللسان فيتصل بما فوقه من مقدم الحنك الأعلى اتصالاً يكاد ينحبس معه مجرى الهواء فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئا حدث صوت بين الشدة والرخاوة هو الجيم العربية الفصيحة.

وصوت الجيم من الأصوات العربية التى اتخذت أوضاعا مختلفة فى نطقها، وترتب على ذلك تغيير فى صفاتها وفى مخرجها فى كل وضع غير أن الأصل فيها ما ذكرنا ويدلنا على ذلك وصف القدماء لها[٢] ونطق القرآن الآن والذى نقل إلينا بالتواتر عن النطق الأصلى لهذه الأصوات.

١ - فأحيانا ينطق هذا الصوت من أقصى الحنك وهو ما نسميه بالجيم القاهرية وحينئذ تكون مع القاف والكاف من مخرج واحد مع التفاوت بينها وتتغير صفاتها إلى الشدة الخالصة؛

ب - ومرة ينتقل هذا الصوت من مخرجه إلى الأمام فيخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا أى أن صوت الجيم ينطق (دالا) كما نشاهده فى نطق بعض أبناء الصعيد يقولون "دردا" فى "جرجا".

---

(١) الأصوات اللغوية/ ٧٨ .
(٢) سر الصناعة ١/ ١٩٢ .

جـ - وقد ينطق هذا الصوت معطشا خاليا من الشدة كما فى لهجة أهل الشام[١] فيقولون "جيت" وفى هذه الحالة تكون تلك الجيم رخوة خالصة.

د - وقد عد سيبويه الجيم التى كالكاف (القاهرية) والجيم التى كالشين (الشامية) اللذان وصفهما سيبويه بأنهما من الحروف غير المستحسنة[٢] .

وضح لنا مما سبق أن صوت الجيم قد يخرج من أقصى اللسان ومن وسط مقدم اللسان ومن طرف اللسان وأنه تارة يكون شديدا ومرة يكون رخوا وثالثة يكون مزدوجا بين الشدة والرخاوة[٣] وأن الجيم الفصيحة هى جيم وسط مقدم اللسان وما فوقه من مقدم الحنك الأعلى.

٣- **الشين**: صوته يماثل الصوتين (sh) فى كلمة shall الإنجليزية وهو صوت مهموس ـ رخو ـ مستفل ـ مصمت ـ منفتح ـ متفش يصحب الهواء المندفع من الرئتين فالقصبة فالحنجرة غير مؤثر فى أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يمر بالحلق والفم حتى إذا وصل إلى وسط اللسان اتصل بوسط الحنك الأعلى وانطبق العضوان انطباقا غير محكم يسمح للهواء بالمرور ثم ينتشر بعد ذلك محدثا ما نسميه بالتفش وهو صوت الشين ويعبر سيبويه عن تفشى الشين فيقول: والشين استطالت حتى اتصلت بمخرج الطاء[٤].

---

(١) الأصوات اللغوية / ٧٩ .
(٢) سيبويه ٤/ ٤٣٢ .
(٣) انظر : سر الصناعة ١/ ٢١٠ ـ ٢١٧، والمختصر ١٠٠ ـ ١٠٢ .
(٤) انظر : الكتاب ٤/ ٤٥٧ .

ويتضح لنا مما سبق أن اللسان له طرف ومقدم ووسط وأقصى كما سيأتي.

وأن الياء الصامتة والجيم من مقدم اللسان والشين من وسط اللسان على الترتيب المذكور ومن يجعل الثلاثة من وسط اللسان مقدما الجيم على الشين والياء فذلك على سبيل التجاوز والاتساع والدقة في الترتيب تقتضي ما ذكرنا.

مجموعة أصوات طرف اللسان

(ذلقية - نطعية - أسلية - لثوية)

الأصوات الذلقية : (تخرج من طرف اللسان مع اللثة العليا).

١- **اللام**: يشبه الصوت (L) فى اللغة الإنجليزية : صوت مجهور - متوسط - جانبى - مستقل - منفتح - ذلق.

يتكون باندفاع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة مؤثرا على أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يأخذ مجراه فى الحلق حتى إذا وصل إلى الفم اتصل حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان بما يقابل ذلك من الحنك الأعلى فلا يسمح للهواء بالمرور من وسط الفم ولكنه يتسرب من جانبيه محدثا نوعا ضعيفا من الحفيف مكونا صوت اللام ولذلك وصف بأنه جانبى وأنه متوسط بين الشدة والرخاوة.

واللام من الأصوات التى اهتم بها القراء وجعلوا لها أحكاما مستقلة فمرة تستعمل مرققة ومرة تكون مفخمة أو مغلظة.

وتغلظ اللام عند أكثر القراء إذا كانت مفتوحة ووقعت بعد الطاء أو الظاء أو الصاد بشرط أن تكون الأحرف الثلاثة ساكنة أو مفتوحة وسواء أكانت اللام مخففة أم مشددة متوسطة أم متطرفة مثل: الصلاة، فصلى، يصلى، الطلاق، مطلع، ظلموا[١].

---

(١) الوافى ١٧١، ١٧٢.

كما تغلظ اللام من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة إجماعا[١] .

وترقق اللام إذا كانت رأس آية نحو : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾[٢] .

والمقياس فى الفرق بين اللام المغلظة والمرققة هو وضع اللسان مع كل منهما فمع المغلظة يتخذ اللسان شكلا مقعرا مشبها فى ذلك حروف الإطباق ومع المرققة يتخذ وضعه العادى[٣] .

٢ـ **الراء**: يماثل الصوت (r) فى كلمة (run) الإنجليزية صوت مجهور، متوسط، مستفل، منفتح، ذلق، مكرر .

وهو يصحب هواء الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يأخذ مجراه فى الحلق والفم حتى يصل إلى طرف اللسان وحافة الحنك العليا غير أنه لا يثبت على وضع واحد بل يتكرر طرف اللسان فى طرقه لحافة الحنك العليا مرتين أو ثلاثة محدثا صوت الراء ولذا يوصف هذا الحرف بأنه (متوسط متكرر) والراء أيضا من الأصوات التى اهتم بها علماء القراءات وأفردوا لها دراسات مستقلة ويهمنا فى هذه الدراسة ما يلى:

الراء إما مفخمة أو مرققة وترقق الراء فى الأمور الآتية:

أ – إذا كانت مفتوحة أو مضمومة وقبلها ياء ساكنة نحو "فيهن خيرات" ، "فالمغيرات"، "ذلك خير" .

---

(١) النشر ١/ ٢١٥ .
(٢) القيامة / ٣١، وانظر الوافى ١٧٢ .
(٣) الأصوات اللغوية/ ٦٥، ٦٦ .

ب - إذا كانت مكسورة نحو "بشرر"، "رجال"، "فرحين".

جـ - إذا سكنت وقبلها كسرة أصلية "فاصبر"، "استغفر لهم".

د - إذا وقع بعدها كسرة "ردف لكم"، "كرسيه".

أما التفخيم فهو الأصل فى الراء ويكون فى الأمور الآتية:

أ - إذا كانت الياء قبل الراء متحركة نحو ما كان لهم الخيرة، "يوم يرون".

ب - إذا كانت الياء بعد الراء فى كلمة "لا ريب".

ج - إذا كان الكسر قبل الراء منفصلا عنها "على الكفار رحماء".

د - أن تقع الراء بعد حرف استعلاء "ولا تحمل علينا إصرا".

هـ - أن تقع فى اسم أعجمى : إبراهيم.

و - أن تكرر الراء "لوليت منهم فرارا".

ز - إذا كانت الكسرة قبل الراء عارضة "أم ارتابوا"[١].

٣- **النون:** يماثل الصوت (n) فى الإنجليزية.

صوت مجهور متوسط ـ مستفل ـ منفتح ـ ذلق ـ أغن.

يصحب هواء الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية ثم يمر فى الحلق حتى إذا وصل إلى طرف اللسان اتصل بما فوق الثنايا من الحنك الأعلى (اللثة العليا) فينطبق العضوان

---

(١) الوافى ١٦١ ـ ١٧٠، والنشر ١/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

ويخرج الهواء من التجويف الأنفى محدثا صوت النون المظهرة مع حفيف خفيف مميز لصوت النون[١].

وتعد النون أكثر الأصوات اللغوية أحكاما عند القراء فهى تدور بين الإظهار والإدغام والإخفاء والإقلاب نظرا لكثرة شيوعها فى الكلام ولذلك سنفرد لها حديثا خاصا فى آخر هذا الكتاب عند حديثنا عن الأحكام التجويدية ــ إن شاء الله تعالى ــ .

هذا والأصوات الثلاثة السابقة (اللام والراء والنون) هى من أكثر الأصوات اللغوية شيوعا فى الكلام ودورانا على الألسنة ولذلك اشتركت فى صفة التوسط والجهر والذلاقة وألحقها بعضهم فى الوضوح الصوتى بأصوات اللين[٢].

الأصوات النِّطعية:

(طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا).

(الضاد الحديثة ــ الطاء ــ الدال ــ التاء) .

١- **الضاد** : قريب الشبه بالحرف (d) فى كلمة (door) الإنجليزية.

مخرجها: عند بعض المحدثين: أسنانية لثوية أى تخرج باتصال طرف اللسان بأصول الأسنان العليا[٣].

---

(١) الأصوات اللغوية / ٦٧، ٦٨ .
(٢) نفسه / ٦٤ .
(٣) د/ بشر ــ الأصوات ١٠٤ .

وعند القدماء من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس(١).

صفاتها: صوت: مجهور ـ رخو "عند الأقدمين" شديد عند بعض المحدثين مستعل ـ مطبق ـ مصمت ـ مستطيل "عند القدماء".

كيف تتكون؟ والضاد العربية ـ كما وصفها القدماء ـ تتكون باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية بالاهتزاز فالحلق فالفم حتى إذا وصل إلى أول حافة اللسان اتصل حافة اللسان بجانبيه الأيمن والأيسر عند سيبويه أو الجانب الأيسر عند بعض القراء أو الأيمن عند بعضهم بما يليه من الأضراس محدثا صوت الضاد القديمة.

قال مكى ابن طالب : "فلابد للقارئ المجود أن يلفظ بالضاد مفخمة مستعلية منطبقة مستطيلة فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها ومتى فَرَّط فى ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فيكون مبدلا ومغيرا، والضاد أصعب الحروف تكلفا فى المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخل بقراءته ومتى تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعا وسجية"(٢).

---

(١) سيبويه ٤/ ٤٣٣ ، ومكى ابن أبىطالب/ ٧٩ .
(٢) الرعاية / ٧٩ .

وقيل إن النبى ــ ﷺ ــ كان يخرجها من الجانبين وكذلك كان عمر ــ رضي الله عنه ــ[١].

وصوت الضاد من الأصوات التى أصابها كثير من التطور فى نطقها وحين نقارن وصفها السابق بنطقها الآن نلحظ هذا التطور فلا فرق بين الضاد كما ينطقها مجيدو القراء الآن وبين الدال سوى أن اللسان يتخذ فى نطقه للضاد شكلا مقعرا ينتج عنه ما سميناه ــ سابقا ــ بالإطباق[٢].

ومن معايشتنا لبعض الأخوة العراقيين وجدناهم ينطقون الضاد صوتا يشبه "الظاء" ويكاد ينطبق على وصف القدماء لها.

وبذلك يتحدد لنا أربعة أنواع للنطق بالضاد:

١ - الضاد القديمة ــ كما وصفها القدماء ــ وهو يختلف عن الظاء بدليل أنها أبدلت منها فى بعض اللغات كما قالوا: فاضت نفسه، وفاظت، وعضته الحرب وعظته وهى حرف بين الضاد الحديثة والظاء.

وهذه الضاد هى التى أشار إليها ــ ابن جنى ــ بقوله : "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شىء غيرها"[٣].

---

(١) المختصر/ ١١٣ نقلا عن البيان والتبيين.
(٢) الأصوات اللغوية/ ٤٨ وما بعدها.
(٣) سر الصناعة ٧٠، ٧١.

٢ – الضاد الحديثة التى ينطق بها فى أكثر اللهجات الحديثة كلهجة المصريين وبعض القراء وهى التى يفرق بينها وبين الدال بصفة الإطباق.

٣ – الضاد التى تشبه الظاء وهى التى ينطق بها بعض العرب كالعراقيين.

٤ – وهناك الضاد الضعيفة التى ذكرها سيبويه فى الحروف غير المستحسنة ولا الكثيرة فى لغة من ترتضى عربيته ــ ولا تستحسن فى قراءة القرآن ولا فى الشعر[١] وهى القريبة من الظاء ويبدو أن هذه الضاد كالسابقة.

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نتعرض لأقوال مأثورة عن الضاد كقول الرسول ــ ﷺ ــ "أنا أفصح من نطق بالضاد" وكتسمية العربية "بلغة الضاد".

وهذان الأثران يفهمان أن العربية اختصت بهذه التسمية أى بلغة الضاد فما سر هذه التسمية؟

وللإجابة عن هذا نقول:

١ – الضاد ــ كما وصفها القدماء ــ صعبة النطق لم تستعملها العرب بكثرة واختصت بها لهجة قريش فهى أكثر اللهجات استيعابا للغات، وعلى هذا الأساس ظلت تلك الضاد عسيرة النطق على أهل

---

(١) سيبويه ٤/ ٤٣٢.

البلاد المفتوحة وهم ينطقون لغات مختلفة فتميزت العربية بهذه التسمية لصعوبتها (الضاد) [١].

٢ – أن العربية اختصت بكثرة استعمال العرب للضاد كما جاء في النصوص اللغوية القديمة ولذلك سميت العربية بلغة الضاد . جاء في اللسان "والضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل"[٢].

وقال الشيخ أبوحيان ـــ رحمه الله ـــ "انفردت العرب بكثرة استعمال الضاد[٣] وهي قليلة في لغة بعض العجم ومفقودة في لغة الكثير منهم وذلك مثل العين المهملة.." [٤].

٣ – وهناك سبب آخر في تسمية العربية "لغة الضاد" وهو سبب دلالي ذكره الدكتور أنيس وخلاصته: أن الضاد في اللغات الأخرى صوت واحد سواء فُخم أو رُقق ففي الإنجليزية كلمات مثل: Darling Does .

ورسم الحرف واحد في الكلمتين، أما في العربية فحين يفخم صوت الضاد في النطق تختلف مع دلالة الكلمة عنها في حالة ترقيقه، ويختلف رسم الحرف مع الكلمتين، ويتحقق ذلك في كلمتي: ضرع

---

(١) الأصوات اللغوية / ٤٩ .

(٢) اللسان (ضود) .

(٣) المراد بهذه الضاد القديمة.

(٤) إضاءة الراموس لابن الطيب (ضود) وهذا الكتاب تحت التحقيق والنص في رسالتي للدكتوراه ٢٤٠ ، ٢٤١ .

بمعنى: مثل، درع بمعنى لباس الحرب.."[١] ، ويلاحظ أن المقصود بالضاد ــ هنا ــ الضاد الحديثة٠

٤ - ويذكر فضيلة الدكتور/ جبل فى سبب تسمية العربية لغة الضاد أن سبب ذلك هو تفرد العربية بهذا الصوت إذا أُدِّى الأداء الفصيح وهو حينئذ يكون ضخم الوقع مجهدا ولذلك خفف إلى الصور التى سبق ذكرها، ولقد قيل بتفرد العربية بأصوات أخرى كالعين والحاء والظاء لكن العين والحاء مستعملتان فى السريانية والعبرية وإذا صدق تفرق العربية بالظاء كان تفردها بالضاد أصدق[٢]٠

٥ - وإذا تقرر ــ فيما سبق ــ أن العربية تسمى بلغة الضاد (أى الضاد القديمة ــ كما وصفها سيبويه) لأسباب مختلفة فإننا نقف مع الأثر السابق "أنا أفصح من نطق بالضاد" قائلين بأنه وإن تداول هذا القول على ألسنة الكثيرين إلا أنه ليس موجودا فى كتب الحديث ولا أصل له ولا يصح[٣]٠

وصحة الأثر كما ورد "أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر"[٤]٠

---

(١) د/ أنيس ــ الأصوات اللغوية ٥٠، ٥١ نقلا عن مقال له بعنوان "معنى القول المأثور: لغة الضاد" ٠
(٢) انظر المختصر ١١٩ ٠
(٣) النشر ١/ ٢٢ ٠
(٤) الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ١/ ١٤١ ٠

ونختم حديثنا عن "الضاد" برأى "براجستراسر عن الضاد وخلاصته: أن الضاد القديمة مخرجها قريب من مخرج اللام فهو أيضا من حافة اللسان وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه[١] ثم يقول "فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود حسب ما أعرف فى لغة من اللغات إلا العربية .... ويغلب على ظنى أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب"[٢].

ونلاحظ أن هذا الرأى لا يختلف كثيرا عما قلناه ــ سابقا ــ عن الضاد.

٢ـ **الطاء** : قريبة الشبه بالصوت (t) فى كلمة tongus صوت: (مجهور عند القدماء) مهموس عند بعض المحدثين : شديد، مستعل، مطبق، مصمت، مقلقل .

وعلى رأى القدماء:

تتكون من اندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا الوترين الصوتيين بالاهتزاز ثم يمر الهواء بالحلق والفم حتى إذا وصل إلى طرف اللسان اتخذ اللسان شكلا مقعرا واتصل بأصول الثنايا العليا اتصالا محكما يمنع من تسرب الهواء فإذا انفصل العضوان انفصالا مفاجئا نتج عنه ذلك الصوت الانفجارى المسمى

---

(١) ولذلك أبدلت منها فى بعض المواضع:رجل جضد[جلد] المزهر ٤٧٣/١ .
(٢) التطور النحوى براجستراسر ١٠، ١١ .

بالطاء ، ولكن الطاء ــ كما وصفها القدماء ــ لا ننطق بها الآن لأنه مع النطق بالطاء لا يتحرك الوتران الصوتيان وذلك بإجراء تجارب الحرف المجهور والطاء التى ننطق بها الآن مهموسة.

ويبدو أن التطور الصوتى قد أثر أثره فى الطاء فتحولت من صوت مجهور إلى صوت مهموس وإن كانت الطاء المجهورة ــ كما يقول الدكتور/ أنيس ــ نسمعها الآن من نطق أهل اليمن وبعض البدو فى كلمة مثل : مطر وأمطار كأنما هى: مضر وأمضار.

فالطاء القديمة المجهورة لا نزال نسمعها ــ الآن ــ فى بعض اللهجات الحديثة والتى لا يفرق بينها وبين الدال المجهورة سوى صفة الإطباق كما قال سيبويه: "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا ...."(١).

ويرجع فضيلة الدكتور جبل التغير فى صفة الطاء من الجهر ــ قديما ــ إلى الهمس عند بعض المحدثين إلى التخفف من ثقل الفصحى بتجريدها من الجهر ولعل أصل ذلك من التأثر بالطاء الفارسية فى العصر العباسى فهى مهموسة(٢).

٣- **الدال:** هو أرق من الحرف (d) فى الإنجليزية صوت مجهور، شديد، مستفل، منفتح، مصمت، مقلقل حين يسكن.

يتكون من اندفاع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا الوترين الصوتيين بالاهتزاز فالحلق والفم حتى إذا

---

(١) الأصوات اللغوية/ ٦٣ بتصرف، وسيبويه ٤/ ٤٣٦ .
(٢) انظر المختصر / ١٢٢ .

وصل إلى طرف اللسان اتصل بأصول الثنايا العليا اتصالا محكما لا يسمح للهواء بالمرور فإذا انفصل العضوان فجأة سمعنا صوتا انفجاريا هو صوت الدال[١].

٤ـ **التاء**: أرق من الحرف (t) فى الإنجليزية : صوت مهموس، شديد، مستفل، منفتح، مصمت .

يتكون باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة غير محرك لأوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يتخذ الهواء مجراه فى الحلق والفم حتى إذا وصل إلى طرف اللسان اتصل بأصول الثنايا العليا اتصالا محكما لا يسمح للهواء بالمرور فإذا انفصل العضوان سمع صوت انفجاري هو التاء.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٢٣ .

الأصوات الأسلية
(طرف اللسان وفويق الثنايا)
(الصاد والسين والزاى)

١ـ **الصاد** : قريب الشبه بصوت (S) فى كلمة sunday الإنجليزية.

صوت مهموس، رخو، مستعل، مصمت .

يتكون باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة غير مؤثر على أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يتخذ النفس مجراه فى الحلق والفم حتى إذا وصل إلى طرف اللسان يتقعر اللسان ويتصعد نحو الحنك الأعلى ويضيق المجرى بين طرف اللسان وفويق الثنايا محدثا صفيرا قويا ــ أثناء مرور الهواء إلى خارج الفم ــ هو صوت الصاد.

٢ـ **السين**: يماثل الحرف (S) فى الإنجليزية ، صوت مهموس رخو مستفل، منفتح، مصمت، صفيرى.

وهو يصحب هواء الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة غير مؤثر على أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يتخذ النفس مجراه فى الحلق والفم فإذا وصل إلى طرف اللسان (أو أسلة اللسان وهى مستدق طرفه) ضاق المجرى بينه وبين المنطقة فويق الثنايا العليا وبهذا

الضيق يحدث صفير عال أثناء مرور الهواء منه إلى خارج الفم ولذلك تسمى هذه السين بالصفيرية.

٣ـ **الزاي**: يماثل الحرف (Z) فى الإنجليزية: صوت مجهور، رخو، مستقل، منفتح، مصمت، صفيرى.

يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا الوترين الصوتيين بالاهتزاز ثم يمر بالحلق والفم إلى أن يصل إلى طرف اللسان فيضيق المجرى بينه وبين ما فويق الثنايا ويحدث الهواء أثناء مروره فى المجرى صفيرا يشبه صفير السين هو صوت الزاى.

الأصوات اللثوية

(طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا)

(الظاء والذال والثاء)

١ـ **الظاء**: قريب الشبه بالصوت (th) في كلمة father الإنجليزية٠

صوت مجهور ، رخو، مستعل، مصمت، مطبق٠

يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية فالحلق والفم حتى يصل إلى اللسان فيتخذ اللسان شكلا مقعرا ويتصعد نحو الحنك الأعلى ويقصر عن وضعه مع الذال فيضيق المجرى بين طرف اللسان وأطراف الثنايا محدثا حفيفا هو صوت الظاء ولتسرب الهواء من بين جانبى طرف اللسان وبين الأسنان سمى رخوا٠

٢ـ **الذال**: يماثل الصوت (th) فى كلمة that الإنجليزية. صوت مجهور، رخو، مستقل، منفتح، مصمت٠

يتكون باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يمر الهواء فى الحلق والفم حتى يصل إلى طرف اللسان فيضيق المجرى بينه وبين أطراف الثنايا العليا محدثا نوعا من الحفيف ومكونا صوت الذال٠

٣ـ **الثاء**: يماثل الصوت (th) فى كلمة thing الإنجليزية ، صوت مهموس، رخو، مستفل، منفتح، مصمت .

ولا فرق بينه وبين الذال السابقة إلا فى صفة الجهر والهمس فالثاء لا يتحرك معها الوتران الصوتيان والذال يتحرك الوتران الصوتيان معها[١] ولتسرب الهواء معهما من بين جانبى طرف اللسان والأسنان سميا رخوين .

(١) الأصوات اللغوية ٤٧ .

الصوت الشفوى الأسنانى

هو الفاء لأنه ينطق من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وهو يماثل الصوت (F) فى الإنجليزية.

صوت مهموس، رخو، مستفل، منفتح، ذلق .

وهو يصحب هواء الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة غير مؤثر على أوتارها الصوتية بالاهتزاز ثم يتخذ النفس مجراه فى الحلق والفم حتى يصل إلى باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا فيضيق المجرى بينهما محدثا نوعا من الحفيف هو صوت الفاء ولهذا وصف بالرخاوة والسهولة فكان من حروف الذلاقة والخفة(١).

الأصوات الشفوية

١- **الباء**: يماثل الصوت (b) فى الإنجليزية.

صوت: شفوى مجهور ، شديد، منفتح، ذلق، مستفل، مقلقل حين يُسَكَّن.

يتكون باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية ثم يتخذ النفس مجراه فى الحلق والفم حتى يصل إلى الشفتين فتنطبقان تماما فينحبس الهواء انحباسا تاما ثم تنفرج الشفتان فجأة ويحدث انفراجهما ذلك الصوت الانفجارى وهو الباء.

٢- **الميم**: يماثل الصوت (m) فى الإنجليزية.

---

(١) انظر الأصوات اللغوية / ٤٦، والمختصر ١٣٢ .

صوت: شفوى ، أنفى، مجهور، متوسط، مستفل، منفتح، ذلق .

وهو يصحب هواء الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية ثم يمر بالحلق والفم حتى إذا وصل إلى الشفتين انطبقا على بعضهما تمام الانطباق فينحبس الهواء ولكنه يخرج من التجويف الأنفى محدثا نوعا من الحفيف هو صوت الميم ولذلك كانت الميم من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة .

هذا وللميم الساكنة أحكام كثيرة سيأتى تفصيلها ــ إن شاء الله ــ فى نهاية هذا الكتاب[١].

٣- الواو (غير المدية) : فى مثل "نَوْم" ، وَثَبَ، دَلْو، ويماثل الصوت (w) فى الإنجليزية.

صوت: مجهور، رخو، (متوسط على رأى) مستفل، مصمت .

سبق أن تحدثنا عن هذا الصوت فى "أشباه أصوات اللين"[٢] كما تحدثنا عنه فى الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة على رأى ــ ابن جنى ــ[٣].

وقلنا إن ارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك بحيث يكون الفراغ بينهما لا يحدث حفيفا يُكَوِّن المقياس الثامن من أصوات اللين (u) فإذا زاد صعود أقصى اللسان أكثر من هذا الصوت أحدث حفيفا

---

(١) ص١٢٤، ١٢٥ .
(٢) ص٥٧ .
(٣) ص٧٠ .

ونتج عنه صوت الواو (غير المدية) لتدخل فى محيط الأصوات الصامتة[١] ويتكون هذا الصوت باندفاع الهواء من الرئتين فالقصبة الهوائية فالحنجرة محركا أوتارها الصوتية ثم يتخذ النفس مجراه فى الحلق والفم إلى أن يصل إلى الشفتين فتستديران ويخرج الهواء من بينهما محدثا نوعا من الحفيف هو صوت الواو غير المادية وهذا الحفيف هو الذى جعل بعض العلماء ــ كابن جنى ــ يصفها بتوسطها بين الشدة والرخاوة[٢].

تعقيب:

وأصوات العربية السابقة ومخارجها الصوتية التى استوفت كل الأصوات اللغوية بشكل ليس له نظير فى لغات العالم يعد ميزة من ميزات العربية الخالدة.

يقول الأستاذ العقاد:

"إن جهاز النطق الإنسانى أداة موسيقية وافية لم تحسن استخدامها على أوفاها أمة من الأمم القديمة أو الحديثة كما استخدمتها الأمة العربية لأنها انتفعت بجميع المخارج الصوتية فى تقسيم حروفها ولم تهمل بعضها وتكرر بعضها الآخر بالتخفيف تارة والتثقيل أخرى كما فعل المتكلمون بسائر اللغات المعروفة ومنها الهندية الجرمانية والسامية والطورانية"[٣].

---

(١) انظر الأصوات اللغوية / ٣٣ .

(٢) راجع ما سبق ص ١٠٣، ١٠٤ .

(٣) اللغة الشاعرة / ١٦ .

مقارنة بين الأصوات الصامتة وأصوات الحركة فى العربية

بعد أن وضحنا ـ فيما سبق ـ أصوات الحركة (الألف والياء والواو وحركاتها) والأصوات الصامتة وعرفنا خصائص كل منها[١] يجدر بنا أن تعرف أن هناك اختلافا فى وظيفة كل منهما فى اللغة ونظامها ونوضح أهم مظاهر هذا الاختلاف فيما يلى:

١ - تتكون أصول الكلمات من الأصوات الصامتة أما التفريعات من المادة الأصلية والمشتقات والمعانى المختلفة للأصل فتكونها أصوات الحركة بنوعيها الطويلة والقصيرة.

فمثلا: يكتب، كاتب، مكتب ، مكتوب ، مكاتب، مشتقات ومعانى مختلفة للأصل الثلاثى: كَ، تَ ، بَ.

والأصل أصوات صامتة ثم جاءت بعد ذلك المعانى المختلفة من أصوات الحركة .

والكاف والتاء والباء (الأصل) جاء منها: كتب فعل ماض، يكتب فعل مضارع، كاتب اسم فاعل، مكتوب اسم مفعول وهكذا.

وكذلك مشتقات "قتل" ترجع إلى القاف والتاء واللام إلى آخره.

ونلاحظ أن الأصوات الصامتة فى هذه الحالة لا يمكن النطق بها وحدها فتحتاج إلى الحركات وحروف المعانى المختلفة وبهذا يتكون النسق البنائى للغة وتؤدى وظيفتها كاملة[٢].

---

(١) راجع صـ ٨٤ وما بعدها.

(٢) الأصوات د/ بشر ٧٦، وقارن باللغة العربية ـ مبناها ومعناها ـ د/ تمام حسان ٦٨، وعلم اللغة د/ وافى ٢١٧ .

٢ - الأصوات الصامتة تكون بداية للمقطع الصوتى فى اللغة العربية[١] بخلاف أصوات الحركة فلا يمكن البدء بها فلو نظرنا إلى كلمة "ضرب" نجدها مكونة من ثلاثة مقاطع متماثلة: ض، ر، ب، وكل مقطع يتكون من: صوت ساكن + صوت لين قصير.

أما أصوات الحركة فلها وظائف صوتية مختلفة كالنبر والتنغيم والإمالة والتفخيم وغيرها مما لا تستطيع الأصوات الصامتة أن تقوم به.

يضاف إلى ذلك أن الأصوات الصامتة إذا شددت دلت على تعدد المقاطع أو الوقف فمثلا "عَلِم" مكونة من ثلاثة مقاطع متماثلة (عَ.لِ.مَ) أما "عَلَّمَ" فمكونة من ثلاثة مقاطع غير متماثلة هى (عَلْ . لَ. مَ) أما أصوات الحركة فإن طول الكمية فيها لا يدل على تعدد المقطع..."[٢].

٣ - الأصوات الصامتة تقبل الحركة والسكون بخلاف أصوات الحركة (الطويلة فلا تقبل حركة أو سكونا) [٣] فمثلا نجد: قتل وقتل بتحريك التاء وتسكينها والألف فى قاتل لا تقبل حركة أو سكونا.

٤ - الأصوات الصامتة بعضها مهموس (سكت فحثه شخص) وبعضها مجهور (باقى الحروف) أما أصوات الحركة فكلها مجهورة يهتز معها الوتران الصوتيان ومن ثم فأصوات الحركة أوضح فى

---

(١) راجع المقاطع الصوتية وأنواعها فيما يأتى.
(٢) اللغة العربية ــ مبناها ومعناها ٧١، ٧٢ .
(٣) نفس المرجع السابق.

السمع من الأصوات الصامتة ولذلك اهتم العروضيون بالحركة وجعلوها أهم من الحروف الصحيحة[١].

٥ - أصوات الحركة تكون علامات للإعراب (الفتحة والضمة والكسرة والألف والواو والياء) بخلاف الأصوات الساكنة إلا نادرا كجعل النون علامة رفع المضارع فى مثل "يكتبون".

ومن هنا تبرز الوظيفة الرئيسية لأصوات الحركة فى النظام اللغوى حيث إنها تشكل المعانى المختلفة للصيغة الأصلية[٢].

---

(١) نفسه وقارن بعلم الأصوات د/ بشر ٧٦ .

(٢) اللغة العربية ـ مبناها ومعناها ـ ٧٢، وعلم الأصوات د/ بشر ٧٧ وما بعدها، وعلم اللغة ٢١٨ .

الفصل الثالث

الوحدات الصوتية

الفصل الثالث

الوحدات الصوتية

أشرنا فيما سبق[١] إلى أن الصوت اللغوى هو أصغر وحدة كلامية ينطق بها وأن كلمة "فهم" مثلا تتكون من أصوات هى: الفاء والهاء والميم٠

١ـ الفرق بين الصوت والحرف:

الصوت من الناحية الفسيولوجية "عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له (نهاية الصوت) حرفا"[٢]٠

وبعبارة أخرى: الحرف رمز للصوت أو "هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله فى الحدة والثقل تميزا فى المسموع"[٣]٠

والصوت كذلك عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقى وتصحبها آثار سمعية معينة فالصوت اللغوى له جانبان أحدهما عضوى والآخر صوتى، أما الحرف فهو جزء من اللغة فى صورتها المكتوبة[٤]٠

---

(١) ص٤٤ ٠

(٢) سر الصناعة ــ ابن جنى / ٦ ٠

(٣) أسباب حدوث الحروف ــ ابن سينا / ١٠ ٠

(٤) انظر اللغة العربية ــ مبناها ومعناها / ٦٦ وما بعدها ، ومناهج البحث فى اللغة / ٧٢ ٠

هذا ويخلط كثير من العامة والخاصة بين الصوت والحرف ويسوون بينهما فى الاستعمال ولكن بالتحديد الدقيق والواقع العلمى نرى فرقا واضحا بين الصوت والحرف. كما سبق من توضيحهما ٠

ولا يشترط فى الصوت المنطوق أن يكتب وهناك لغات كثيرة لا يكتبها أبناءها كاللغة النوبية٠

وقد يختلف الصوت المنطوق عن الرمز المكتوب فألف الفعل "خرجوا" لا تنطق وألف "الرحمن، طه.." لا تكتب، وواو "عمرو" لا تنطق، وواو "داود" لا تكتب وهكذا٠

والحرف (i) فى اللغة الإنجليزية ينطق بأصوات مختلفة كما فى الكلمات (sin – in - I) وفى الدراسات الصوتية يكون الاهتمام بالحروف المنطوقة لا بالرسم المكتوب(١)٠

وفى اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية نجد المخالفة بين المنطوق والمكتوب أكثر شيوعا وأوضح من العربية ففى الكلمة الإنجليزية character بمعنى شخصية تسعة حروف ينطق منها خمسة والكلمة الفرنسية natation (نتسيو) بمعنى سياحة، ثمانية حروف ننطق منها خمسة مع اختلاف المنطوق عن المكتوب٠

---

(١) قد يرجع ذلك إلى الوقوف بالكلمة عند الخط العثمانى وقد يرجع الاختلاف بين النطق والكتابة إلى علة تاريخية على أثرها تكون الكلمة منقولة من لغة أخرى (راجع مدخل إلى علم اللغة / ٣١ ـ ٣٥) ٠

والحرف الواحد في هذه اللغات قد يكون له أكثر من نطق مثل: حرف (C) في الإنجليزية ينطق مرة (K) في كلمة Car بمعنى عربة وينطق (C) في كلمة Cincle بمعنى دائرة.

ونلاحظ في هذه اللغات أن أكثر من حرف ينطق بحرف آخر مثل ph في كلمة telephone (تليفون) تنطق فاء، هذا كله بخلاف العربية التي يستقل كل حرف فيها بشخصيته نطقا وكتابة.

طرق الكتابة الصوتية:

الأصل في كتابة أصوات أي لغة أن يكون الرمز المكتوب موافقا للصوت المنطوق أي مساويا له فكلمة (محمد) تتكون من حروف: م، ح، م، د وهي تنطق جميعها، وقد سبق أن وضحنا أنه قد يختلف الرمز المكتوب عن الصوت المنطوق في اللغة العربية ويكثر ذلك في الرسم العثماني لخط المصحف، ومعروف عند العروضيين أن التنوين في مثل: زَيْدٌ ينطق ويكتب لتحقيق الوزن العروضي وتكتب كلمة "زيد" هكذا "زيدن" عند العروضيين ومن هنا قيل "خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف والخط العروضي.

وقد وجد اللغويون في العصر الحديث أنه ينبغي أن نفرق في الكتابة الصوتية بين طريقتين:

الأولى: تستعمل الأبجدية الصوتية الدولية في كتابة أصوات اللغة وتوضع رموزها بين قوسين معقوفين هكذا [ ] وتعد هذه الرموز معيارية أي تستعمل في كتابة أي لغة من اللغات ومن أمثلة هذه

الرموز: الحركات المعيارية التى تناولناها بالدراسة أثناء الحديث عن أصوات الحركة العربية[١].

الثانية: تستعمل الأبجدية الفونيمية في كتابة أصوات اللغة وتوضع رموزها بين خطين مائلين هكذا / / ولا تستعمل إلا فى كتابة لغة واحدة.

والمثال الجامع للطريقتين كلمتى spit, pit الإنجليزيتين (حفرة، يسح) حيث تكتبان صوتيا [p'it] و[sp'it] ولكنهما تستغنيان فونيميا عن الرمز الزائد وتكتبان /pit/ و/spit/.

والكتابة الفونيمية أكثر اقتصادا للوقت وعدد الرموز ولكنها من ناحية أخرى تختص بلغة واحدة وتقتضى معرفة كاملة بالتركيب الفونيمى لتلك اللغة أما الكتابة الصوتية فأكثر تعقيدا ولكنها أدق وذات تطبيق عالمى[٢].

الفونيم phoneme :

يطلق علماء الأصوات "الفونيم" على "الوحدة الصوتية" التى يترتب على تغييرها تغيير فى معنى الكلمة مثل قال وقام فاللام والميم فونيمات مستقلة ــ حيث ترتب على اختلاف كل منها اختلاف معنى الكلمتين وكلمة "قال" تتكون من ثلاثة فونيمات هى القاف والألف (المنقلبة عن الواو) واللام لأن تغيير ــ أى منها ــ يؤدى إلى تغيير

---

(١) راجع صـ ٨٦ .

(٢) انظر أسس علم اللغة ٥١، ٥٢ .

فى المعنى ووظيفة "الفونيم" على هذا هـــى: التمييـــز بـــين الكلمـــات وإعطاؤها قيما لغوية مختلفة[١] .

واللغة العربية تتكون من تسعة وعشرين فونيما وهى مـــا اتُّفِـــق على تسميتها بالحروف الأصول فى اللغة العربية.

والحركات كذلك فى اللغة العربية (الفتحة والكســـرة والضـــمة) فونيمات لأنه يترتب على تغييرها تغيير فى المعنى مثل: حجر: بفـــتح فسكون أى منع وحجر بكسر فسكون أى عقل[٢].

أنواعه:

ينقسم "الفونيم" إلى:

رئيسى: وهو ما يكون أساسا فى الكلمة أى جزءا أساســـيا فيهـــا كالفاء فى "فهم" ويسمى الفونيم الأصلى أو الأم.

وثانوى: وهو الصفة الصوتية الملاحظة عند تركيب الكلمة مـــع غيرها أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة: كما فى حالات النبر والتنغيم ويكثر ذلك فى الأساليب العامية.

فالجملة العامية "شفت أخوك" جملة إثباتية إذا نطقت بتنغيم خاص ولكنها جملة استفهامية إذا نطقت بتنغيم من نوع آخر، فالجمـــل التـــى تقتضى الإجابة عنها بنعم أو بلا تخلو عادة من أدوات خاصة وحينئـــذ

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة ١١٨، وقارن بأسس علم اللغة ــ ماريوبـــاى ٨٨، والأصوات د/ بشر ١٥٥ ــ ١٥٨ .

(٢) القاموس (حجر) .

يكون اعتمادنا على التنغيم بمساعدة المقام والسياق. وتسمى الفونيمات الأساسية بالتركيبية والثانوية بالفونيمات فوق التركيبية(١).

وقد يستغل التنغيم فى أغراض أخرى كثيرة فقد يدل على التهكم أو الزجر أو الموافقة أو الرفض أو الاستغراب والدهشة مثل: التعبير العامى "لا يا شيخ" بصوره المتعددة: فقد يكون استفهاما مرة ويكون نفيا أو إنكارا لكلام سابق وقد يفيد الاحتقار أو الاشمئزاز أو عدم الاهتمام وهكذا(٢).

الفون: [phon]:

هو الصورة الصوتية للفونيم والتى لا يترتب عليها تغيير فى المعنى ويطلق الفون كذلك على الصور والأشكال المختلفة للفونيم(٣).

فالألف فى كلمة "الضحى" فونيم ونطقها بالفتح أو الإمالة فونات والفتحة فى اللغة العربية فونيم ونطقها بالتفخيم فى "طاب" أو الترقيق فى "تاب" فونات.

والنون فى الكلمة العربية فونيم ونطقها بالإظهار أو الإدغام أو الإقلاب أو الإخفاء فونات.

وإذا كانت الحروف الأصول فى اللغة العربية تسعة وعشرين حرفا هى فونيمات فقد أضاف إليها سيبويه: ستة حروف فرعية

---

(١) ينظر دراسة الصوت اللغوى ط/ الثالثة ص١٨٦، ١٨٧ .
(٢) الأصوات د/ بشر ١٦٣، وقارن بأسس علم اللغة ٩٢ .
(٣) مقدمة فى أصوات العربية/ ١٣ .

مستحسنة فى قراءة القرآن والأشعار وهى النون الخفيفة والهمزة التى بين وبين وألف التفخيم فى كلمة "الصلاة" والألف التى تمال إمالة شديدة والشين التى كالجيم والصاد التى تكون كالزاى ، وأضاف سيبويه كذلك سبعة حروف فرعية غير مستحسنة فى قراءة القرآن والشعر وهى الكاف التى بين الجيم والكاف والصاد التى كالسين والجيم التى كالكاف والجيم التى كالشين والضاد الضعيفة والطاء التى كالتاء والظاء التى كالثاء والباء التى كالفاء[١] وهذه الحروف الفرعية الزائدة عن الأصول تسمى "فونات"٠

تعقيب:

يتضح مما سبق أن الفونيم يقابل الحرف وأن الفون يقابل الصوت ويكون الفرق بين الصوت والحرف كالفرق بين الفون والفونيم وتجدر الإشارة إلى أن الفونيم والفون مصطلحات صوتية حديثة لا غنى عنها للدارسين والباحثين فى علم الأصوات، كما أن هذه المصطلحات الحديثة موجودة عند القدماء كابن جنى أما جهد المحدثين فيها فيقتصر على التسمية والتقسيمات التى ينبغى ألا يُخدع بها الباحثون والدارسون٠

---

(١) سيبويه ٤/ ٤٣١، ٤٣٢ (بتحقيق الأستاذ هارون)٠

٢ـ المقطع الصوتي

قلنا ــ فيما سبق ــ إن الكلمة تتكون من أصوات وأن الصوت هو أصغر وحدة كلامية يمكن النطق بها.

وهذه الأصوات المكونة لبنية الكلمة تسمى مقاطع صوتية غير أن المقطع الصوتي يشتمل على أكثر من صوت فمثلا كلمة فَهِمَ مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول (فـ) وهو مكون من صوتين (ف) صوت صامت مجرد من الحركة + (ـَ) فتحة الفاء وهى صوت حركة قصيرة وهكذا الهاء والميم.

تعريف المقطع الصوتي:

وقد عرف العلماء المقطع الصوتي بتعريفات كثيرة وعلى الرغم من أنها تختلف فى اللفظ إلا أنها تتفق فى مضمونها لتحديد المقطع الصوتي.

فمن هذه التعريفات : أن المقطع الصوتي: هو الدفعة الهوائية التى تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها لبساطتها، فعندما ننطق "كتب" نجد أنها ثلاث دفعات هوائية أى مقاطع ومنها: أن المقطع الصوتى هو: أصغر وحدة صوتية تتألف من الأصوات المفردة، ومنها: أن المقطع الصوتى "كمية من الأصوات يمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة

وأخيرا فإن المقطع الصوتى تأليف صوتى يبدأ بصامت متحرك وينتهي عندما يليه صامت متحرك آخر(١) .

طبيعة المقطع الصوتى واختلافه باختلاف اللغات:

لكل لغة من اللغات نسج خاص من المقاطع الصوتية لا يختلط بغيرها فقد تبدأ لغة من اللغات بالساكن وتبدأ لغة أخرى بالمتحرك حسب طبيعة كل منهما، فاللغة الفرنسية يمكن أن تبدأ بصامتين (ساكنين) وهذا ما نجده مثلا في كلمة "France" .

وتمتاز اللغة العربية ــ كما قرر علماؤها ــ بأنه لا يبدأ فيها بسكون ولا يوقف على متحرك ، ومن هنا قرر العلماء أن أقل بناء للكلمة هو ثلاثة أحرف حرف يبتدأ به وآخر يوقف عليه وثالث يكون واسطة بينهما كما قرروا أن الميزان الصرفى للثلاثى المجرد هو "فَعَل"(٢) .

أشكال وأنماط المقاطع العربية:

وقد حدد علماء العربية أشكالا يعرف بها نسج الكلمة العربية وهذه الأشكال ستة هى:

١ـ الشكل الأول يتكون من:

صوت ساكن (صامت) + صوت حركة قصير .

---

(١) دراسات فى أصوات العربية/ ١٧، وقارن بمقدمة فى أصوات اللغة/ ١٣١، ودراسات فى التجويد والأصوات/ ١١٨، وفصول فى فقه العربية/ ١٧٠، والمختصر/ ١٦٨ .

(٢) سر الصناعة ١/ ٧، ومدخل إلى علم اللغة ٤٦ .

وقد رمز للصوت الصامت بالحرف (ص) ولصوت الحركة القصيرة بالحرف (ح) ولصوت الحركة الطويلة بالحرفين (ح ح) فيكون رمز الشكل الأول: ص ح .

ومثاله: المقاطع الثلاثة فى كلمة (كَتَبَ) وكل مقطع منها يتكون من الشكل الأول فالكاف من كتب تتكون من:

صوت صامت (ك) + صوت حركة قصير (-) الفتحة حركة الكاف وكذلك التاء تتكون من صوت صامت (ت) + صوت حركة قصر (-) الفتحة حركة التاء وكذلك الباء تتكون من صوت صامت (ب) + صوت حركة قصير (-) الفتحة حركة الباء: هذا ومعروف عند النحاة أن الكلمة المجردة من السوابق واللواحق يستحيل فيها اجتماع أربعة متحركات ولذلك فإن الفعل الماضى الثلاثى يسكن آخره إذا أسند إلى ضمير رفع متحرك مثل ضربت فرارا من توالى أربعة متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة[1].

٢ـ الشكل الثانى يتكون من :

صوت صامت + صوت حركة طويل

ورمزه: ص ح ح .

---

(١) ذكر فضيلة الدكتور/ جبل اثنى عشر لفظا مستثناة من هذا الضابط وهى الخِنْثِر: الشيء الخسيس والجُنَدِل، الأرض فيها حجارة، والعُجَلِد: اللبن الخاثر، والعُثَلِط والعُجَلِط والعُكَلِد والهُرَبِز ـ اللبن الخاثر جدا ـ الدَّلِمز: البراق، الزَمَلِق والحُدَلِقة: العين . المختصر/ ١٧٠ .

ومثاله: (قا) من قال ، حيث إنها تتكون من: صوت صامت (ق) + صوت حركة طويل (الألف المفتوح ما قبلها)٠

٣ـ الشكل الثالث يتكون من:

صوت صامت + صوت حركة قصير + صوت صامت

ورمزه : ص ح ص ٠

ومثاله: مِنْ، فإنها تتكون من: صوت صامت (م) + صوت حركة قصير (حركة الميم) + صوت صامت (النون) ٠

٤ـ الشكل الرابع يتكون من:

صوت صامت + صوت حركة قصير + صامتين

ورمزه ص ح ص ص ٠

ومثاله: أَكْلْ، أُرْزْ بسكون آخر الكلمتين٠

فكلمة أكل مكونة من: صوت صامت (الهمزة) + حركة قصير (حركة الهمزة) + صامتين (الكاف واللام الساكنتين)٠

٥ـ الشكل الخامس يتكون من:

صوت صامت + حركة طويل + صامت

ورمزه: ص ح ح ص ٠

ومثاله: قَالْ، مَالْ بسكون اللام فالمقطع (قال) يتكون من: صامت (ق) + حركة طويل (الألف المفتوح ما قبلها) + صامت (ل) ٠

ويشمل هذا النوع المقطع المكون من حـــرف صـــحيح مشـــكل بالسكون مثل لام التعريف (لَامْ) وسين الاستفعال (سِينْ).

٦ـ الشكل السادس يتكون من:

صوت صامت + حركة طويل + صامتين .

ورمزه ص ح ح ص ص .

ومثاله: بعض القراء يطيلون ألف المد فى مثل ضالين فتتكـــون الكلمة مِنْ مقطعين:

المقطع الأول: "ضالّ" بتشديد اللام مكونة من: صـــامت (ض) + حركة طويل (الألف المفتوح ما قبلها) + صامتين (اللام المشـــددة إذا وقف عليها) وهذا النوع من المقاطع نادر الوجود فى النثر العربى ولا وجود له فى الشعر.هذا ويتكون نسج أكثـــر الكلمـــات العربيـــة مـــن الأشكال للثلاثة الأولى أما الأشكال الرابع والخامس والســـادس فيقـــل استعمالها وتستعمل حال الوقف فقط ـــ كما سبق آنفا ـــ.

تصنيف المقاطع الصوتية:

يمكن تقسيم المقاطع الصوتية من حيث الطول والقصر إلى:

أ – مقطع قصير ويشتمل على الشكل الأول ومثاله ب / ر / ع.

ب – مقطع متوسط ويشتمل على الشكل الثانى مثل (ما) والثالث مثل (من) .

جـ – مقطع طويل ويشتمل على الشكل الرابع والخامس والســـادس والأمثلة على الترتيب وذلك فى حال الوقف: نَهْرْ، بَابْ، سَارّْ.

ويمكن تقسيم المقاطع من حيث نهايتها (الفتح والإغلاق) إلى الأقسام الآتية:

١ـ مقطع مفتوح أو متحرك:

وهو الذى ينتهى بصوت حركة طويل أو قصير وسمى مفتوحا لأن الفم يفتح حال النطق به ويشمل الشكلين الأولين من أشكال المقاطع مثاله: (نا) من (نالَ) و(ضَ) من (ضَرب).

٢ـ مقطع صامت أو مغلق:

وهو الذى ينتهى بصوت صامت وسمى صامتا لأن الصوت معه يصمت حال النطق به ويشمل الشكل الثالث من أشكال المقاطع.

مثاله: المقطع الأول من كلمة (مُسْتقر)، (عَدْلٌ، رحمة) فيتكون المقطع الأول من "مستقر" من صامت (م) + حركة قصير (حركة الميم) + صامت (ص) وهكذا (عد)، (رح) من (عدل) ، (رحمة).

٣ـ مقطع مفتوح مغلق:

وهو الذى يبدأ بصوت مفتوح وحركة طويل أو قصير وينتهى بصوت صامت ويشمل الشكل الرابع والخامس والسادس من أشكال المقاطع.

مثاله: (قَالْ) أثناء الوقف عليها و(عِينْ) من (نستعين) حال الوقف و(قَرّ) من (مستقر) [١] و"ضال" من "ضالين".

---

(١) دراسات فى أصوات العربية/ ١٧ ــ ١٩ .

هذا وبعض اللغات يؤثر المقاطع المفتوحة والبعض الآخر يــؤثر المقاطع الساكنة.

وتشتمل اللغة العربية على النوعين على الرغم من ميلهــا إلــى المقاطع الساكنة(١).

وأخيرا يمكن تقسيم المقاطع من حيث النبر وعدمه إلى:

أ - مقطع منبور.

ب - مقطع غير منبور.

جـ - مقطع مشترك(٢).

نواة المقطع:

ولكل مقطع جزء رئيسى يكون بارزا وظاهرا ويطلق على هــذا الجزء "نواة المقطع" Nucleus وتسمى العناصر الباقيــة: العناصــر المساعدة Marginal factors وتشكل الحركات القصيرة الثلاث مــع نظائرها الطويلة "نواة المقطع" وتمثل جميــع الســواكن والصــوتان المجهوران الياء والواو "الفونيمات المساعدة" فى بنية المقطع، ووفقــا لما سبق فإن عدد مقاطع لفظ ما هو عدد المقاطع الموجودة فيه(٣).

---

(١) دراسات فى التجويد والأصوات / ١١٩.

(٢) راجع توضيح ذلك فى الحديث عن النبر فيما يأتى صـ١٨٧.

(٣) التشكيل الصوتى فى اللغة العربية د/ سلمان العانى ترجمة د/ ياسر الملاح صـ١٣١.

أهمية المقاطع الصوتية:

لدراسة المقاطع الصوتية أهمية كبرى فعلى ضوء معرفتنا لأشكال المقاطع السابقة وأقسامها نستطيع معرفة نسج الكلمة العربية وتمييزها عن غيرها.

فمثلا كلمة "كَتَبَ" مكونة من ثلاثة مقاطع من النوع أو الشكل الأول وكلمة "عَادِلْ" مكونة من:

مقطع من النوع الثانى + مقطع من النوع الثالث.

هذا والكلمة العربية تتكون من مقطع واحد مثل "مِنْ" أو مقطعين مثل (عادل) أو ثلاثة مثل (كَتَبَ) أو أربعة مثل (ثَمَرَةٌ) أو خمسة مثل (ثَمَرَتُكَ) أو ستة مثل (ثَمَرَتُكُمَا) أو سبعة مقاطع مثل (فَسَيَكْفِيكَهُمُ)

مقطعان من النوع الأول : فَـ ـــ

مقطع من النوع الثالث : يَـــكْ

مقطع من النوع الثانى : فِـــى

مقطعان من النوع الأول : كَهَـ ـــ

مقطع من النوع الثانى : مُـــو

والمشهور عند علماء العربية أن الكلمة فى العربية لا تزيد بلواحقها عن سبعة مقاطع ولكن بالتحقيق العلمى تبين أن الكلمة العربية قد تزيد بلواحقها عن ذلك كثيرا فيمكن أن تصل إلى ثمانية

مقاطع كما فى "لأتقدَّمنكُمْ"، "ليتعهَّدنَّه" وإلى تسعة "ليستلينكموها" وإلى عشرة "لأتعجلنكموها" وإلى أحد عشر "أفأتعجلنكموها"(١).

وبذلك يتبين ـ لنا ـ نسج الكلمات العربية من غيرها فإذا لم تكن الكلمة على نوعٍ من الأنواع السابقة نحكم عليها بأنها غير عربية.

ومن أهمية المقاطع الصوتية أيضا أنها أساس بناء الأوزان الشعرية فمثلا "مفاعلتن" مكونة من: مقطع من النوع الأول (م) + مقطع من النوع الثانى (فا) + مقطعان من النوع الأول (عل) + مقطع من النوع الثالث (تن).

وهكذا باقى الأوزان فى البحور العربية.

كذلك ينبغى أن لا نغفل أهمية المقاطع فى معرفة النبر وقواعده(٢) وهو ما سوف نبينه فيما يلى:

---

(١) انظر المختصر / ١٦٩ .

(٢) دراسات فى التجويد والأصوات ١٢٣، والأصوات اللغوية ١٦٩، ١٧٠، ودراسات فى أصوات اللغة العربية ٢٤، ٢٥ .

٣ ـ النبر (Stress)

النبر عند العرب:

ارتفاع الصوت يقال: نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها عُلُو(١) ويطلق النبر فى اللغة على الهمز لما فيه من الوضوح الصوتى.

والنبر اللغوى متحقق عند العرب من قديم وإن أهمل العلماء العرب دراسة النبر فى العصور الإسلامية الأولى.

قال أبوزيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر فقال: "ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وأهل الحجاز إذا اضُّطروا نبروا"(٢).

والمتكلم فى أثناء حديثه يبرز مقطعا من مقاطع الكلمة عما حوله وقد يضغط على كلمة فى جملة لأهميتها.

وعند إرادة نبر مقطع فى كلمة أو نبر كلمة فى جملة نلاحظ من المتكلم نشاط جميع أعضاء النطق على هذا المقطع المنبور لزيادة وضوحه.

ومن هنا يمكن تعريف نبر الكلمة بأنه:

ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة فى السمع عن بقية ما حوله من أجزائها "أو هو" الوضوح الصوتى عند مقطع من مقاطع الكلمة الواحدة(٣).

---

(١) اللسان (نبر).

(٢) اللسان (آخر حرف الهمزة).

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها/ ١٧٠ ، ومدخل إلى علم اللغة ٤٨، وأسس علم اللغة ٩٣، والبحث اللغوى عند العرب/ ١٠٧ .

قواعد النبر:

إذا كانت الكلمة مكونة من مقطع واحد مثل "هَلْ،بَلْ،يكون النبر عليه جميعه وإذا كانت الكلمة مكونة من أكثر من مقطع فقد حدد العلماء أهم قواعد النبر فيما يلى:

١ – إذا توالت عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول منها منبورا: فمثلا كلمة "كَتَبَ" نجد ثلاثة مقاطع من النوع الأول أولها منبور.

٢ – إذا ضمت الكلمة مقطعا طويلا واحدا يكون النبر على هذا المقطع الطويل.

مثاله: كلمة (كِتاب) حيث النبر على المقطع الثانى.

٣ – إذا ضمت الكلمة مقطعين طويلين يكون النبر على أولهما ففى كلمة (كَاتِبْ) نجد مقطعين طويلين أحدهما مفتوح والثانى مغلق والنبر على المقطع الأول[1] فإذا كان فى الكلمة مقطع طويل ومقطعان قصيران مثل يَكْتُبُ كان النبر على المقطع قبل الأخير.

٤ – فى حالة الوقف يكون النبر على المقطع الأخير ويكون من النوعين الرابع أو الخامس مثل: الوقف على "نستعين" فى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

---

(١) مدخل إلى علم اللغة/ ٤٨، وقارن باللغة العربية ــ مبناها ومعناها/ ١٧٣ .

(٢) الفاتحة/ ٥ .

أو على المستقر في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾[١] ويكون النبر على المقطعين "عِينْ"، "قَرّ"٠

٥ – إذا كانت المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير في الكلمة من النوع الأول مثل: بَلَحَةٌ، عربة، حركة يكون النبر على أول مقطع في الكلمة٠

مواقع النبر:

إذا كان النبر على المقطع الأول ــ في كل ما سبق ــ يسمى موقعه "اِسْتِهْلَالِيا"، وإذا كان على المقطع قبل الأخير يسمى موقعه "وَسَطِيّا" وإذا كان على المقطع الأخير يسمى موقعه "خِتَامِيًا"٠

النبر بين الفصحى واللهجات:

والنبر ــ كما ذكرنا ــ هو المتبع في القراءات القرآنية وفي اللغة الفصحى أو النموذجية ، ولا مانع أن يختلف النبر تبعا لاختلاف اللهجات أو البيئة ففي لهجة الصعيد وبعض أماكن الشرقية وغيرها نجد اختلافا في موضع النبر، ففي الصعيد يقولون "حقنا" بالضغط على المقطع الأول (حق) أما لهجة القاهرة فيضغطون على القاف أي المقطع قبل الأخير[٢]٠

أنواع النبر:

والنبر كما يكون في الكلمة ــ كما سبق ــ يكون في الجملة٠

---

(١) القيامة/ ١٢ ٠

(٢) انظر الأصوات اللغوية / ١٧٢ ــ ١٧٤ ٠

ونبر الجملة هو النبر على كلمة يريد المتكلم توضيحها فى جملة ففى الجملة : هل نجح محمد هذا العام؟

إذا نبر المتكلم كلمة "نجح" يكون السامع قد شك فى النجاح أو عدمه وإذا نبر كلمة "محمد" يكون السامع قد شك فى نجاح محمد أو عدمه أما إذا نبر كلمة "هذا العام" يكون السامع قد شك فى الوقت الذى نجح فيه محمد.

نسبية النبر ومستوياته :

والنبر قد يكون قويا أو وسطيا أو ضعيفا وذلك حسب نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين، فالقوى يرمز إليه فى الكتابة الصوتية بالرمز (/) ويوضع قبل المقطع المنبور مباشرة، والوسيط يرمز إليه بالرمز (\ ) أما الضعيف فيترك عادة بلا علامة أو رمز على المقطع(١).

والنبر القوى يسمى النبر الأولى أما النبر الوسيط فيسمى النبر الثانوى ويوجد فى كل كلمة مقطع منبور لذاته ويستقبل هذا المقطع النبر الأولى ويتأثر توزيعه وموقعه بعدد مقاطع الكلام وأنواعها فالكلمة ذات المقطع الواحد تستقبل نبرا أوليا وهى مفردة مثل مِنْ، بَابْ.

أما الكلمات ذوات المقاطع الكثيرة أو التى تؤلف مقطعين فقط فتستقبل نوعين من النبر ثانوية وضعيفة بالإضافة إلى النبر الأولى كما وضح من قواعد النبر السابقة.

---

(١) الأصوات د/ بشر ١٦٢، والتشكيل الصوتى فى اللغة العربية/ ١٣٤، ١٣٥

انتقال النبر :

النبر فى كل ما سبق ثابت لا يتغير ويعرف موضعه فى الكلمة حسب القواعد السابقة ولكن قد يطرأ على الكلمة ما يجعل موضع النبر يتغير من مقطع إلى مقطع قبله أو بعده،وهذه هي العوامل التي تؤدى إلى انتقال النبر :

١ – **الاشتقاق:** اشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدى إلـــى تغييــر موضع النبر فمثلا الفعل الماضى (كتب) النبر فيه على المقطع الأول (كـــ) والمضارع منه (يكتب) النبر فيه على المقطع قبل الأخير (تَ).

٢ – **الجزم:** تدخل أداة الجزم على الفعــل المضـــارع فتغيــر موضع النبر، فالنبر فى الفعل المضارع (يكتب) على المقطـــع قبــل الأخير (ت) فإذا دخلت أداة الجزم على الفعل المضارع فصـــار (لــم يكتب) انتقل النبر إلى المقطع الأول (يكـــ).

٣ – **إسناد الفعل إلى الضمائر:** ونقصد بعض ضـــمائر الرفــع المتصلة فى حالة تغيير نسج الكلمة الأصلية فالنبر فى الفعل الماضى (ضرب) على المقطع الأول (ض) فإذا أسند إلى تاء الفاعــل أو نـــا الفاعلين (ضَرَبْتُ، ضَرَبْنَا) انتقل النبر إلى المقطع قبــل الأخيــر (ب) ولكنه يبقى فى مكانه فى حالة الإســـناد إلـــى واو الجماعـــة فنقــول (ضربوا) بالنبر على المقطع الأول (ض) .

اختلاف النبر باختلاف اللغات:

هذا واللغات تختلف فى اتباعها للنبر وقواعده فمنها ما لا يخضع لقواعد النبر فى نطقه كاللغة الإنجليزية ومنها ما يخضع لقانون خاص بمواطن النبر فى كلماته كالعربية والفرنسية[١].

---

(١) انظر الأصوات اللغوية ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، وقارن بمقدمة فـــى أصـــوات العربية/ ١٤٥ .

أهمية النبر فى العربية وغيرها:

للنبر فى غير العربية أهمية خاصة إذ يتوقف عليها معرفة نوع الكلمة: اسما أو صفة أو فعلا فلفظ Compact إذا نبر مقطعه الأول كان اسما بمعنى اتفاق أو عهد وإذا نبر مقطعه الثانى كان صفة بمعنى مُدْمج أو مُحْكم ولفظ absent إذا نبر مقطعه الأول كان صفة بمعنى غائب وإذا نبر مقطعه الثانى كان فعلا ولفظ abstnact إن نبر مقطعه الأول كان اسما بمعنى خلاصة وإن نبر مقطعه الثانى كان فعلا بمعنى يستخلص أو ينقص وهكذا.

وفى العربية أهميته أدائية فقط لا تغير المعنى ونلاحظ ذلك فى اللهجات مثل: نَلْعَبُ به تُنطق فى بعض اللهجات "نِلْعَبّ بُهْ"، وبَلَدُكم، رَبُّنَا ـــ تُنطق فى لهجة الصعيد بَلَدُكُمْ ورَبّنَا، دون تغيير المعنى فى ذلك كله.

ومن هنا لم يتعرض القدماء لدراسة النبر لأنه يتصل باللهجات ولا يتغير المعنى به، أما المحدثون فقد وضعوا له قواعد معروفة ومعتد بها فى إبراز المعنى وتوضيحه(١).

---

(١) انظر المختصر / ١٧٤ ـــ ١٧٦.

٤ـ التنغيم

التنغيم: مصدر نَغَّم الكلام إذا حَسّن صوتَه في القــراءة: وهــو حقيقة صوتية فى أى لغة ويرتبط بالارتفاع والانخفــاض فــى نطــق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدى إلــى اخــتلاف الوقع السمعى، ومن هنا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق تنغيمها لتــؤدى وظائف دلالية مختلفة، فإذا كانت "نعم" للإجابة اختلف تنغيمهــا عنهــا للاستفسار.

والتنغيم لا يقتصر على الكلمة الواحــدة بــل يتجاوزهــا إلــى التركيب، فالتحية "سلام عليكم" لها تنغيم فى حالــة الإنســان العاديــة يختلف عن التنغيم فى حالة الغضب وهكذا.

والجملة العامية "شُفْت أخوك" جملة إثباتيــة إذا نطقــت بتنغــيم خاص ولكنها جملة استفهامية إذا نُطِقَتْ بتنغيم من نوع آخر، فالجمــل التى تقتضى الإجابة عنها بنعم أو بلا تخلو عادة مــن أدوات خاصــة وحينئذ يكون اعتمادنا على التنغيم بمساعدة المقام والسياق.

وقد يستعمل "التنغيم فى أغراض أخرى كثيرة فقــد يــدل علــى التهكم أو الزجر أو الموافقة أو الرفض أو الاستغراب والدهشة: مثــل التعبير العامى "لا يا شيخ" بصُوَرِه المتعددة فقد يكون اســتفهاما مــرة ويكون نفيا أو إنكارا لكلام سابق وقد يفيد الاحتقار أو الاشــمئزاز أو عدم الاهتمام إلى آخره[1].

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة/ ٤٨ ، والأصوات د/ بشر ١٦٣، وقارن بأسس علم اللغة/ ٩٢ .

وقديما قِيلَ،لِكُلِ مَقام مَقَالٌ،فكذلك يُقال:لكل مقال طريقة فى أدائه تناسب المقام الذى اقتضاه.

وللتنغيم أهمية خاصة في أداء القرآن الكريم ومراعـــاة الوقــف والابتداء والانتهاء من القراءة وفى الأَذَان والتكبير فى إقامة الصــلاة وإمَامَتِها وفى المناسبات المختلفة يختلف التنغيم فى كل مناســبة عــن أخرى فالرثاء غير التهنئة غير المدح وهكذا[١].

(١) انظر المختصر/ ١٧٧، ١٧٨ .

٥ـ المَفْصِل juncture

إذا كان النبر هو الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة أو كلمة من كلمات الجملة، والتنغيم هو تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات فى حدث كلامى معين فإن المفصل عبارة عن «سكتة خفيفة أو وقفة كلامية بين كلمات أو مقاطع فى حدث كلامى للدلالة على مكان انتهاء لفظ فى جملة أو مقطع فى كلمة وبداية آخر»[١].

ويقابل هذا فى العربية الوقف والابتداء[٢] وأحيانا السكت فى القرآن الكريم ومثله السكتة الخفيفة على ألف (عوجا) فى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ (الكهف/ ١) ويرمز له كتابة بـ(س) على الألف.

أقسامه وأهميته:

هناك مفصل مفتوح open juncture ويكون الانتقال فيه واضحا بين المقطعين مثل night ، nate فى night nate (نسبة ظلام) وعلامته فى الكتابة (+) أما الانتقال الخفى بين المقطعين فيسمى مفصل ضيق Close juncture وعلامته فى الكتابة (ــــ) ولا ريب أن للمفصل أهمية واضحة فإلى جانب تأثيره على المعنى فإنه يؤدى دورا ملحوظا فى التفريق بين نطق الأجانب ونطق أبناء اللغة[٣].

---

(١) انظر أسس علم اللغة/ ٩٥ .
(٢) راجع الحديث عن الوقف فى فن التجويد صـ٢٥٧ .
(٣) انظر أسس علم اللغة ٩٥، ٩٦ .

وهناك فى اللغة ثنائيات صغرى لا يميز الواحد منها عن الآخر إلا موضع المفصل ولذا سماه اللغويون "فونيم المفصل" مثل aim an مع a name ، وقد أدى الخلط في الماضي فى أماكن المفصل إلى تغييرات تاريخية ومثال ذلك فى العامية العربية: الفعل (جاب) فى قولنا "جاب الأكل" التى كان أصلها جاء + بالأكل ثم تحولت إلى جاب + الأكل(١).

(١) انظر دراسة الصوت اللغوى صـ١٩٦، ١٩٧ .

الفصل الرابع

طبيعة الأصوات فى اللغة العربية

الفصل الرابع

طبيعة الأصوات فى اللغة

١ـ تناسقها وانسجامها :

الحروف التى تتكون منها الكلمة قد تكون حَسَنة فى تأليفها مُنَسقة ومنسجمة مع بعضها وقد لا تكون كذلك، وأساس ذلك أن الأصوات المكونة للكلمة (بما يحمله كل صوت من صفات خاصة) منها ما يتقارب بعضه من بعض ومنها ما يتباعد بعضه من بعض ولا يتركب مع غيره[١].

وتوضيح ذلك فيما يلى:

أ – بالتأمل فى النصوص اللغوية والكلام العربى نجد أن الحروف الآتية هى أكثر استعمالا فى الكلام: الألف، اللام، الميم، الهاء، الواو، الياء، النون ، ومنها ما هو أقل من ذلك وهى:

الراء، العين، الفاء، التاء، الباء، الكاف، الدال، السين، القاف، الحاء، الجيم، وباقى الحروف يقل استعمالها وهى:

الظاء، الغين، الطاء، الزاى، الثاء، الخاء، الضاد، الشين، الصاد، الذال[٢].

ب – والحروف العربية المَكَوّنة للكلمة إذا كانت متقاربة المخارج قَبُحَ ذلك فى اللغة وثَقُلَ على السمع ــ غالبا ــ ولاسيما إذا

---

(١) مقدمة اللسان ط/ دار المعارف ١٨ .
(٢) نفسه .

كان التقارب فى حروف الحلق مثل: المَهَه والفَهَه[١] أما فى الحروف غير الحلقية فاجتماع الحرفين فيها أسهل من حروف الحلق مثل: حديد، جديد ، نديد ، مديد .

وكلما تباعدت الحروف في المخارج كان ذلك أحسن في التأليف[٢] وأكثر انسجاما للأصوات وذلك هو الأصل فى تأليف الحروف مثل كتاب، علم، هرم، وقد تعرضت بالتفصيل لهذا الموضوع وبينت المُعَوّل عليه فى فصاحة الكلمة العربية فى موضع آخر[٣].

جـ - ومن الحروف ما لا يتركب بعضه مع بعض إذا اجتمع فى الكلمة إلا أن يقدم ولا يجتمع إذا تأخر وهى: العين والهاء مثل: عهدنا، أعهد ، وهى ألفاظ قرآنية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾[٤] وقال: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[٥].

ومنها ما لا يتركب إذا تقدم ويتركب إذا تأخر وهى: الجيم والضاد، تقول: مضض مأجج.

ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا إن تقدم ولا إن تأخر وهى: السين، الثاء والضاد، الزاى والظاء، الصاد[٦].

---

(١) المهه: اللين، الفهه: العى .
(٢) انظر سر صناعة الإعراب ـ ابن جنى ٧٥ ، ٧٦ بتصرف، ومقدمة الجمهرة ٩، ١١، والمزهر ١/ ١٩٤، ١٩٥ .
(٣) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية ص١٤٦ ـ ١٤٨ .
(٤) طه / ١١٥ .
(٥) يس / ٦٠ .
(٦) مقدمة اللسان ١٨، ١٩ .

د - ويلحق بذلك ما قاله العلماء فى الحديث عن نسج الكلمة العربية حتى تتميز عن غيرها من الكلمات الأعجمية فقالوا:

١ - لا تجتمع القاف والجيم فى كلمة عربية الأصل فإذا وجدنا ذلك فى كلمة فهى أعجمية مثل "المنجنيق".

٢ - لا تجتمع الصاد والجيم فى كلمة عربية فكلمة"صولجان"أعجمية.

٣ - لا يقع بعد النون راء فى اللفظ العربى فمثل "نرجس" أعجمية.

٤ - لا يقع بعد الدال زاى فمثل "المهندز" أعجمية.

٥ - لا تقع الطاء مع الجيم فى كلمة فمثل "طاجن" غير عربية.

٦ - لا تجتمع الزاى أو الذال مع السين فمثل "ساذج" معربة.

٧ - لا تخلو الكلمة الرباعية أو الخماسية الأصل من حروف الذلاقة (الميم، الراء، الباء، النون، الفاء، اللام) فإذا خلا الرباعى أو الخماسى من أحد هذه الحروف فالكلمة أعجمية إلا ما نص على عربيته منها "كالعسجد" للذهب.

٨ - أن لا تكون الكلمة على وزن من الأوزان العربية فمثل: فعالان كخراسان، فاعيل كآمين، وافعيعل كابريسم: أوزان غير عربية أو مفقودة فى العربية[١].

وقد تحدثنا ـ فيما سبق ـ عن أهمية المقطع الصوتى فى تمييز الكلمات العربية من غيرها[٢].

---

(١) انظر سر الصناعة ١/ ٧٤، ٧٥، ومن أسرار اللغة / ١٢٦، ١٢٧، ودراسات فى فقه اللغة ٣٢٣ .

(٢) راجع صـ١٨٠ .

هـ - ما سبق عن تأليف الكلمة العربية من الصوامت ومدى انسجامها أما عن حكم انسجام الحركات واجتماعها وبداية الكلمة بالصامت أو الحركة ومتى يلتقى الساكنان فيقول مكي ابن أبيطالب: "الكلام كله أُلِّف من أربعة أشياء : من حرف متحرك ومن حرف ساكن ومن حركة ومن سكون وذلك يرجع إلى شيئين: حرف متحرك وحرف ساكن، والحرف المتحرك فى كلام العرب أكثر من الساكن كما أن الحركة أكثر من السكون وإنما كان الحرف المتحرك في الكلام أكثر من الساكن لأنك لا تبتدئ إلا بمتحرك، وقد يتصل به حرف آخر متحرك وآخر بعد ذلك متحرك ولا يجوز أن يبتدأ بساكن ولا أن يتصل ساكن بساكن أبدا إلا أن يكون الأول حرف مد ولين أو يكون الثانى سكن للوقف.." (١).

---

(١) الرعاية/ ٢٧ .

٢ ـ موسيقى اللغة العربية:

أ – وهى تلك النغمة الموسيقية فى الكلام التى تعطى للصوت وضعا خاصا عن طبيعته من حيث ارتفاع الصوت وانخفاضه وإطالته أو قصره وتفخيم الحروف وترقيقها إلى غير ذلك.

واللغة العربية من اللغات التى اهتمت بموسيقى ألفاظها وإعطائها نغمة خاصة كانت من الدلائل القوية على إعجازها.

وآية ذلك ما يسمي في البلاغة العربية بالسجع: أى اتفاق الفقرات فى نهاياتها يقول الإمام عبدالقاهر بعد حديثه عن السجع وأن منه المقبول الحسن:

"فإن أردت أن تعرف مثالا ـ فيما ذكرت لك ـ من أن العارفين بجواهر الكلام لا يعرجون على هذا الفن (السجع) إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته .. فانظر إلى خطب الجاحظ فى أوائل كتبه، هذا والخطب من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان والأسجاع فإنها تروى وتتناقل تناقل الأشعار ... قال فى أول كتاب "الحيوان" "جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة سببا وبين الصدق نسبا ..." (١).

فحين يقف القارئ على "الشبهة"، "الحيرة" يجد لذلك مذاقا خاصا وموسيقى معينة ترينا حلاوة هذه اللغة واهتمام أربابها بموسيقاها وهذه الموسيقى هى التي سوت بين: الفتحة (صوت الحركة القصير) فى

---

(١) أسرار البلاغة ١/ ١٠١، ١٠٢ .

"الشبهة" وبين الكسرة (صوت الحركة القصير) فى "الحيرة" وجعلت كلا منها: صوتا صامتا وهو "الهاء" فى الشبهة والحيرة٠

وهكذا لو تتبعنا باقى جمل هذا النص وكلما تكامل التناسق بين أصوات الكلمة من ناحية وبين أصوات الكلمات متجاورة كان هذا أشبه ما يكون بالموسيقى أو الغناء٠

ب - وموسيقى اللغة لا تختص بالنثر فحسب فهى تبرز أكثر ما تكون فى الشعر والقصيدة العربية الجيدة تكون على قافية واحدة ووزن واحد ألا ترى إلى قول البحترى:

يَعْشَ عن المجد الغبى ولن ترى ∴ فى سُؤدد أَرَباً لغير أَرِيب[١]

ويقول العقاد موضحا أن جودة القصيدة العربية فى اعتمادها على وزن واحد وقافية واحدة إنما هو خاصة لها تميزها عن غيرها من لغات العالم :

"فالشعر فى كثير من اللغات قد يلاحظ فيه الإيقاع ولا تلاحظ فيه القافية ولا الأوزان المقررة ... وربما لوحظ فيه القافية على غير وزن مطرد ... أما الشعر الذى تلاحظ فيه القافية والوزن وأقسام التفاعيل فى جميع بحوره وأبياته فهو خاصة من خواص اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم أجمع"[٢]٠

---

(١) يعش : يضعف، السؤدد: العلا والمجد ، أربا: هدفا أو حاجة، أريب: عاقل والمعنى: يضعف عن إدراك المجد كل غبى والعقلاء هم الذين يهدفون إلى المعالى (أسرار البلاغة ١/ ١٠٣) ٠

(٢) اللغة الشاعرة ٣٠، ٣١ بتصرف ٠

ولذلك فإنه ليس بعيدا على كثير من الدارسين أن يصف "لغتنا العربية بأنها لغة موسيقية وأنها انحدرت إلينا وقد اكتسبت هذه الصفة منذ أقدم عهودها أو نصوصها"(١).

وموسيقية اللغة العربية ناشئة من طبيعة العرب وطبيعة البيئة التى عاشوا فيها يقول الدكتور/ أنيس:

"عُنى العرب إذن بموسيقية الكلام لأنهم لم يكونوا أهل كتابة وقراءة بل أهل سماع وإنشاد وظلت هذه الخاصية بارزة فى الشعر العربى فى كل العصور ..." (٢).

جـ- أهميتها :

وموسيقى اللغة ونغمة الكلام هى التى تحدد هدف المتكلم وغرضه فجملة "محمد فاهم" قد تُؤدَّى بطريقة يفهم السامع منها: الإخبار عن محمد بأنه فاهم٠

وقد تؤدى بنغمة يُراد منها الاستفهام عن فهم محمد؟

وقد تؤدى بنغمة يفهم منها التعجب مِنْ فَهْم محمد ٠

وهكذا فإن سياق النغمة هو الذى يحدد المطلوب ويؤثر من ناحية أخرى على طول الصوت اللغوى ٠

د- طول الصوت اللغوى: "هو الزمن الذى يستغرقه النطق بهذا الصوت مقدرا عادة بجزء من الثانية وقد قدر العلماء أن الدال المنطوقة فى الكلمة الإنجليزية تستغرق فى النطق حوالى ٠,٠٥ من الثانية فى

---

(١) دلالة الألفاظ / ١٩٥ ٠
(٢) نفسه / ١٩٨ ٠

حين أن صوت الحركة ـ A ـ يستغرق حوالى ٠,٤٣ من الثانية كما قدروا طول الحركة فى الأداء القرآنى بنحو ١٦% والمد الطبيعى بنحو ٣% من الثانية والمد الفرعي ضعف ذلك حسب مذاهب القراء، والقارئ المُجَوِّد يحس بهذه المقادير إحساسا دقيقا ويطبقها فى قراءته.

أهميته فى الأداء القرآني: ولطول الصوت أهمية خاصة فى قراءة القرآن الكريم لأن بعض القراء قد يجرفهم الميل إلى أداء القراءة وفق نغمات خاصة إلى إطالة زمن بعض الأصوات رعاية لمقتضيات (حبكة) النغمة فى زعمه، وهذا بالطبع خطأ فاحش فى قراءة القرآن ولا يستساغ حتى فى الكلام العامى[(١)].

وأصوات اللغة ليست على درجة واحدة فى الطول فأصوات الحركة بطبيعتها أطول من الأصوات الصامتة ويلى أصوات الحركة الأصوات الأنفية كالميم والنون ثم الأصوات الجانبية كاللام ثم المكررة كالراء ثم الرخوة[(٢)].

هـ- العربية واللغات الأخرى:

وتحديد هدف المتكلم من نغمة الكلام ليس خاصا بالعربية وحدها فقد يشركها فى تلك الخاصية غيرها من اللغات.

ومن ذلك اللغة الصينية فإن فيها كلمة "فان" تؤدى ستة معان لا علاقة بينها وهى: "يحرق، نوم، شجاع، واجب، يقسم، مسحوق" وهذه المعانى لا يفرق بينها سوى النغمة الموسيقية فى كل حالة[(٣)].

---

(١) انظر المختصر ١٦٥.
(٢) انظر الأصوات اللغوية/١٥٥وما بعدها،والنشر ١٢١/٢، ٣١٣/١وما بعدها.
(٣) انظر: الأصوات اللغوية/ ١٨٦، وفصول فى فقه العربية/ ١٧٠.

٣ ـ تجاور الأصوات (التأثر والتأثير بين أصوات اللغة):

من تناسق الأصوات فى الكلمة العربية أنها حين تتجاور يؤثر بعضها في بعض ويتأثر بعضها ببعض بما يحمله كل صوت من صفات خاصة به ولكل صوت أيضا مخرج مستقل تماما عن غيره ولا شك أن الصوت الأقوى يؤثر فى الأضعف فالمجهور يؤثر فى المهموس والشديد يؤثر فى الرخو والمطبق يؤثر فى المنفتح والمفخم يجذب المرقق وهكذا ٠

والغرض من ذلك كله التخفيف ومراعاة السهولة فى النطق والانسجام والتناسب بين الأصوات٠

أنواع التأثر:

إذا تجاور صوتان وتأثر أحدهما بالآخر فالتأثر هنا أنواع:

١ـ **تقدمي:** وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول فى الكلمة ومن أمثلته: حينما نصوغ من الفعل صبر، ضرب، طلع، ظلم على وزن "افتعل" ٠

وما اشتق منه أو على مصدره "الافتعال" نقول: اصتبر، اضترب، اطتلع، اظتلم فتؤثر الفاء المطبقة على التاء المستفلة الضعيفة وتبدلها إلى حرف مطبق مماثل للفاء وهو الطاء فتصير "اصطبر"، اضطرب، اطلع (بالإدغام هنا حيث اجتمع مثلان أولهما ساكن)، اظطلم ـ ويجوز هنا الإدغام أيضا: اظَّلم بإبدال الطاء ظاء، اطَّلم بإبدال الظاء

طاء وذلك معروف عند الصرفيين بإبدال تاء "افتعل" وما اشتق منه إلى طاء إذا كانت الفاء أحد حروف الإطباق٠

والتأثر هنا تقدمي لأن الصوت الثاني هو الذي تأثر بالأول٠

٢ـ **رجعي**: وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني ومن أمثلته: حين تجتمع السين مع حرف مفخم (ص ، ط، ق، غ، خ) جاز قلب السين صادا لتناسب الحرف المفخم نحو: سراط، بسط، سطر، سيطر، سبخه، سويق، سوق، أسبغ النعمة، مسطبة، وكل ذلك قد جاء بالصاد٠

والتأثر في كل هذا رجعي لأن السين هي السابقة وتأثرت بما جاء بعدها[١]٠

٣ـ **التأثير المتبادل**: وقد يتحول التأثر في الكلمة من تقدمي إلى رجعي ومثال ذلك أن نصوغ من الفعل "ذكر" على مثال "افتعل" فنقول "اذتكر" فيجتمع صوتان أولهما مجهور وهو الذال وثانيهما مهموس وهو التاء فتقلب التاء إلى نظيرها المجهور وهو الدال فتصير الصيغة "اذدكر" والتأثر هنا تقدمي لتأثر الثاني بالأول فإذا صارت هذه الصيغة "اذكر" بإدماج الدال في الذال فهذا تأثر تقدمي أيضا فإذا نطقت هذه الصيغة "ادّكر" وهي الكثيرة صار التأثر رجعيا حيث أدمج الصوت الأول في الثاني٠

---

(١) انظر أصوات اللغة العربية د/جبل ٢٨٦ ــ ٢٨٨، وقارن بالأصوات اللغوية ١٨١ ــ ١٨٣، والتطور اللغوي د/ رمضان عبدالتواب ص٢٩ ــ ٥٠٠

مظاهر التأثر:

يتضح من الأمثلة السابقة أنه في حالة تأثر الصوتين إما أن يبدل أحدهما إلي صوت مماثل للمذكور وإما أن يبدل إلى حرف آخر للتناسب بينهما فى الصفة أو المخرج وإما أن يدغم أحد الحرفين فى الآخر ونوضح ذلك فيما يلى:

١ـ المماثلة Assimilation (١) :

وذلك بأن يبدل أحد الصوتين المتجاورين إلى مثيله أو نظيره فحين نصوغ "افتعل" من : صبر نقول "اصتبر" نجد الصاد مطبقة والتاء منفتحة فنقلب التاء إلى صوت يماثل الصاد فى الإطباق ويماثل التاء فى المخرج وهو الطاء فتصير الصيغة "اصطبر" وقد تبدل الطاء صادا وتدغم فى الصاد الأولى فتصير "اصّبر" وقد لاحظنا المماثلة فى ما تقدم من أمثلة التأثر الرجعى والتقدمى(٢).

٢ـ المخالفة Dissimilation :

وهى عكس المماثلة وتتحقق بإبدال أحد المثلين إلى حرف مخالف للخفة وكراهية تكرار الأمثال ، قال سيبويه: "هذا باب ما شَذَّ

---

(١) عرفها "دانيال جونز" بأنها عملية استبدال صوت بصوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة . انظر التطور اللغوى د/رمضان عبدالتواب ٣٠ نقلا عن D Jones, ٢١٧ وسماها فندريس فى كتابه اللغة (٩١) بالتوافق.

(٢) هذا والمماثلة قد تكون بين الحركات والصوامت ولها أشكال فقد تكون متصلة ومنفصلة فى الكلمة الواحدة وقد يكون التماثل كلى إذا كانت المماثلة تامة بين الصوتين وقد يكون جزئى إذا كانت فى بعض خصائص الصوت، راجع التطور اللغوى ص٣١ وما بعدها .

فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد، وذلك قولك "تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة وأمليت ..." [١].

وتوضيح ذلك أن الفعل الثلاثى المضعف الذى لامه وعينه حرفان مكرران من جنس واحد مثل (سر، ظن، قص، مل، دس، لت، مد، مر، صد، سن، قض، لع) إذا صيغ من أحد هذه الأفعال على وزن "فَعّل" أو "تَفَعّل" وأسند إلى ضمير رفع فقيل "تسررت" اجتمع ثلاثة أمثال فخولف بالراء الأخيرة وهى لام الكلمة بإبدالها حرف لين أو هاء تخفيفا فقيل "تسريت".

وهكذا يقال فى نظائرها [تظننت: تظنيت، تقصصت: تقصيت ومنه: تقصيت أظفارى، مَلَّلْتُ: مَلَّيْتُ، دسسها: دساها قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٢]، وقالوا: لبى ودس فى "لَبَّبَ" و"دَسَّسَ" وقالوا فى: مددت: مَدَّيْتُ وعليه قول العامة "مديت"، وقالوا "مررت: مَرَّيْتَ" وعليه قول العامة "مريت" ، وقالوا فى تصددت: تَصَدَّيْتَ ، ومنه قله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[٣]، وقالوا: تسنن وتسنه ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[٤].

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٢٤ .
(٢) الشمس ٩، ١٠ .
(٣) الأنفال / ٣٥ .
(٤) البقرة/ ٢٥٩ .

وقالوا: تقضَّض تقضى ومنه قول العجاج:

تقضى البازى إذا البـــازى كســـر

وقالوا فى تلعت : تَلَعَّيْتُ [خرجت أطلب اللعاعة وهى نبت ناعم فى أول ما يبدو] (١).

٣ـ الإدغام :

معناه فى اللغة: الإدخال والإدماج والضم من أدغمت الشىء فـــى الشىء ويسمى المضارعة والتقريب(٢).

وعند اللغويين:أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير فصل بينهما فيصيران كحرف واحد فى النطق ويرتفع بهمـــا اللســـان ارتفاعة واحدة مثل شد، وقد تركتك ، وقيل هو الإتيان بحرفين ســـاكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل أو هو "فناء الصـــوت الأول فـــى الثانى بحيث ينطق بالصوتين صوتا كالثانى وهو لهذا تأثر رجعى".

وقال ابن يعيش : الإدغام بالتشديد من ألفاظ البصريين والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين(٣).

وعند القراء هو اللفظ بحرفين حرفا كالثانى مشددا قال تعـــالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾(٤).

---

(١) انظر أصوات اللغة د/ جبل ١٧٨ .
(٢) انظر سيبويه ٤/ ٤٧٧ .
(٣) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٢١، والأصوات اللغوية د/أنيس١٨٨
(٤) البقرة / ٢٠ .

الغرض منه وحروفه:

والغرض من الإدغام: التخفيف حيث التكرير فينطق الحرف بعد النطق به: "ولذلك شبه النحاة الإظهار في هذه الحالة بمشى المقيد لأن الإنسان إذا نطق بحرف وعاد إلى مثله أو إلى مقاربه يكون كالراجع إلى حيث فارق أو قريب من حيث فارق"(١).

ويدخل الإدغام فى جميع الحروف عدا الألف اللينة ويأتى فى المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين فى كلمة واحدة أو فى كلمتين(٢).

أسبابه:

يحدث الإدغام عند وجود سبب من الأسباب الآتية:

١- **التماثل** أى تماثل الحرفين فى المخرج والصفة كالباءين والميمين نحو: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾، ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ﴾.

٢- **التجانس:** أى اتفاق الحرفين مخرجا لا صفة مثل الدال والطاء واللام والراء نحو: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

٣- **التقارب:** أى تقارب الحرفين مخرجا واتحادهما صفة كالحاء والعين مثل: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أو تقاربهما مخرجا فقط كالدال والسين مثل ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ أو تقاربهما

---

(١) أصوات اللغة / ٣٢٧ .

(٢) انظر دراسات فى فقه اللغة / ٢١٦ ، ٢١٧ .

مخرجا وصفة كالراء واللام مثل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ أما تقارب الحرفين صفة وتباعدهما مخرجا كالسين والشين فأجازه بعض العلماء ومنعه بعضهم والحق مع المانعين لأن المخرج هو الأساس وليس الصفة ولابد فى التقارب من اعتبار المخرج(١).

شروط الإدغام:

يشترط فى المدغم أن يلتقى الحرفان خطا سواء التقيا لفظا أم لا فدخل نحو : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ فلا تمنع الصلة وخرج نحو ﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ وفى المدغم فيه كونه أكثر من حرف إن كان من كلمة ليدخل نحو ﴿خَلَقَكُم﴾ لوجود الميم بعد الكاف ويخرج نحو ﴿نَّرۡزُقُكَ﴾ .

موانعه:

أ - كون الأول منونا فلا إدغام فى نحو ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، لأن التنوين حاجز قوى.

ب - كون الأول مشددا فلا إدغام فى نحو ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾، ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ لما يترتب عليه من الثقل وإلغاء حرف من الثلاثة أو جمع ساكنين.

جـ - كون الأول تاء ضمير سواء أكان متكلما أو مخاطبا فلا إدغام فى نحو: ﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ﴾، ﴿كِدتَّ تَرۡكَنُ﴾، ﴿خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ للإجحاف.

---

(١) انظر الإتحاف ٢١، ودراسات فى فقه اللغة ٢١٦، ٢١٧ ، والإقناع ١/١٧٠، وأصوات اللغة ٣٢٨ .

د - كون الأول باقيا للجزم وهو آخر كلمته والمدغم فيه أول التالية فلا إدغام في مثل: ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا﴾، ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

هـ - كون الثاني من الحرفين ساكنا فلا إدغام في ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾، ﴿فَقَرَرْتُ مِنكُمْ﴾، ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾، ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟﴾[1].

و - كون الأول هاء سكت نحو: ﴿مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ لأن الوقف منوى أو كان مدة في الآخر كيدعه واقد.

متى يجب؟

يجب إذا سكن أول المثلين وتحرك الثاني ولم يكن الأول مد من الفاء مثل: جد وسآل ورآس أو تحركا معا بشروط منها:

أن يكونا في كلمة كمد وأصلها "مَدَدَ" وأن لا يتصدر أحدهما كددن للهو وأن لا يكونا في وزن ملحق بغيره مثل: قردد لجبل فإنه ملحق بجعفر.

قال السيوطي : "كل حرفين التقيا أولهما ساكن وكانا مثلين أو جنسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة فالمثلان نحو ﴿ٱضْرِب

---

(١) أصوات اللغة العربية / ٣٢٩ ، ٣٣٠ والإتحاف ٢١ .

﴿ بِعَصَاكَ ﴾، ﴿ رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾، ﴿ قِيلَ لَهُمۡ ﴾، ﴿ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾، والجنسان نحو ﴿ قَالَت طَّآئِفَةٞ ﴾، ﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ ﴾[1].

متى يجوز؟

يجوز الإدغام فى أمور منها: الفعل المضارع المجزوم بالسكون والأمر منه نحو: يرتدد، يرتد، واغضض، غض، الفك لغة الحجازيين والإدغام لغة التميمين .

أنواعه :

الإدغام نوعان :

١ـ **صغير**: هو ما كان الحرف الأول من الحرفين المدغمين ساكنا مثل: ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي ﴾، ﴿ وَقَد دَّخَلُواْ ﴾ وفى هذا الإدغام يتم إدخال الحرف الأول فى الثانى والنطق بهما دفعة واحدة فى المتماثلين أما المتجانسان والمتقاربان فيتم إبدال الحرف الأول إلى مثل الثانى ثم الإدغام مثل: ﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ ﴾ .

٢ـ **كبير**: هو ما كان الحرف الأول من الحرفين المدغمين متحركا مثل: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ ﴾، وفى هذا الإدغام يتم إسكان أول المثلين ثم إدغامه فى الثانى والنطق بهما دفعة واحدة فى المتماثلين أما المتجانسان والمتقاربان فيتم إسكان الأول ثم إبداله إلى

---

(١) انظر الإتقان ١/ ١٢٣ ـ ١٢٦ .

مثل الثانى ثم الإدغام مثل: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ﴾ (المائدة ٣٢)، ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ﴾ (النساء ٥٧) ٠

وسمى كبيرا لأنه أكثر من الصغير ولما فيه من الصعوبة وجعل المتحرك ساكنا والفصل بين الحرفين بالحركة القصيرة[١] ولذلك كان جائزا لا واجبا كما سبق فى الإدغام الصغير ٠

هذا ويرجع إلى كتب القراءات لتتبع بقية أمثلة الإدغام فى حروف اللغة العربية فى المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين فى كلمة واحدة وفى كلمتين على ضوء ما سبق من أحكام[٢].

---

(١) انظر الإقناع لابن الباذش ١/ ١٩٥ ، وأصوات اللغة / ٣٣٠ ٠
(٢) انظر الإقناع ١/ ١٦٤ وما بعدها، والنشر فى القراءات العشر ١/ ٢٧٤، ٢٧٥ ، والإتحاف ٢٠ ـ ٣٢ ٠

الفصل الخامس

الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين

الفصل الخامس

الدراسات الصوتية بين القدامى والمحدثين

أولا : فضل القدامى فى الدراسات الصوتية الحديثة:

قدم علماؤنا القدامى للدراسات الصوتية الحديثة نتائج مهمة نستطيع أن نقول إنها الأساس الذى قامت عليه الدراسات الصوتية الحديثة.

وقد كان علماء العربية القدامى ـ سباقين فى هذا المجال لم يسبقهم فيه إلا علماء الهند وذلك بشهادة علماء الغرب أنفسهم.

يقول الدكتور/ أحمد مختار عمر نقلا عن: براجستراسر الألمانى "لم يسبق الأوربيين فى هذا العلم إلا قومان العرب والهنود" ويقول نقلا عن "فيرث" الإنجليزى: "إن علم الأصوات قد نما وشب فى خدمة لغتين مقدستين هما: السنسكريتية والعربية"(١) ويقول الدكتور/ أنيس ـ بعد مقارنته للشدة والرخاوة عند سيبويه والمحدثين.

"بهذا يكون سيبويه قد أحس مع المجهور والمهموس ومع الشديد والرخو بما يحس به الدارسون للأصوات من المحدثين دون أن يكون على علم بالناحية التشريحية من وجود وترين صوتيين بالحنجرة يقومان بوظيفة معينة مع بعض الأصوات"(٢).

---

(١) انظر البحث اللغوى ـ أحمد مختار عمر ١٠١، وراجع ما سبق ص٢٤ .
(٢) الأصوات اللغوية ١٢٧، وراجع ما سبق ص ١٠٧ وما بعدها.

ثانيا : نتائج دراسة القدماء للأصوات:

ونوضح ـــ فيما يلى ـــ أهم نتائج الدراسات الصوتية لدى القدماء مقارنة بجهد المحدثين:

١ - رتبوا الحروف العربية حسب مخارجها الصوتية وأسبقهم فى هذا الميدان هو الخليل بن أحمد ثم سيبويه ثم ابن جنى.

وإن كان هناك اختلاف بينهم فهو بسيط حيث بدأ الخليل بـــالعين ثم الحاء ثم الهاء وانتهى بالهمزة(١).

أما سيبويه فقد بدأ بالهمزة ثم الألف ثم الهاء(٢) ... ولم يختلـــف عنه ـــ ابن جنى ـــ إلا فى تقديم القاف على الكاف وتأخير الضاد عن الياء(٣).

والحق الذى يؤيده الواقع العملى لدى علماء القراءات أن ترتيب الحروف على حسب مخارجها يكون كالتالى:

الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الجيم الفصيحة، الشين، الياء (غير المدية)، الضاد، اللام، النـــون، الـــراء، الطاء، الدال، التاء، الصاد، السين، الزاى، الظاء، الذال، الثاء، الفـــاء، الواو (غير المدية)، الباء، الميم(٤).

---

(١) انظر المعجم العربى د/ حسين نصار ١/ ٢٢٠ .
(٢) سيبويه ٤/ ٤٣١ .
(٣) سر الصناعة ١ / ٥٢ ، ٥٣ .
(٤) النشر ١/ ١٩٨ ـــ ٢٠٠، وراجع كتابنا أصوات اللغة العربية/ ٣٣، ٣٤ .

أما مخرج الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، الواو الساكنة المضموم ما قبلها، الياء الساكنة المكسور ما قبلها فهو الجوف[١].

والمقصود به جوف الحلق والفم فليس لها حيز تنسب إليه كالحروف الصامتة.

ومما يجدر ذكره هنا ـ أن سيبويه بعد أن ذكر الحروف الأصول التسعة والعشرين وهى حروف الهجاء للغة العربية والتى سميناها ـ سابقا ـ[٢] فونيمات ـ ذكر سيبويه أن هناك ثلاثة عشر حرفا[٣] متفرعة من الحروف الأصول السابقة (الفونيمات) وهذه الحروف الفرعية هى ما يسميه المحدثون بالفونات أى الصور الصوتية للفونيم.

وبهذا يكون سيبويه قد أدرك قبل المحدثين الفرق بين الوحدات الصوتية التى يترتب على اختلافها اختلاف المعنى والصور الصوتية التى لا يترتب على اختلافها اختلاف المعنى[٤].

٢ - قسموا المخارج الصوتية إلى سبعة عشر مخرجا على الأصح[٥] بحيث تكون شاملة لجميع الأصوات ومنسجمة فى أوضاعها الأمر الذى حدا بابن جنى إلى تشبيه الحلق بآلات الموسيقى.

---

(١) النشر ١/ ١٩٩ .
(٢) ص١٧٠ .
(٣) انظر هذه الحروف الفرعية فى سيبويه ٤/ ٤٣٢ .
(٤) انظر مقدمة فى أصوات اللغة العربية / ١١٥ .
(٥) راجع ما سبق ص١٠٩ وما بعدها.

قال ابن جنى: "ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس فى حروف المعجم باختلاف مقاطعها التى هى أسباب تباين أصدائها ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناى فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملسا ساذجا كما يجرى الصوت فى الألف غفلا بغير صنعة فإذا وضع الزامل أنامله على خروق الناى المنسوقة وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه،فكذلك إذا قطع الصوت فى الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة، ونظير ذلك أيضا وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا فإن حَصَر آخر الوتر ببعض أصابعَ يسراه أدى صوتا آخر فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ... فالوتر فى هذا التمثيل كالحلق [١]٠

ألست معى فى أن هذه الدراسات الصوتية القديمة هى أساس الموسيقى والألحان المختلفة الحديثة فى الشرق والغرب على السواء٠

ويقول العقاد "إن جهاز النطق أداة موسيقية وافية لم تحسن استخدامها على أوفاها أمة من الأمم القديمة أو الحديثة كما استخدمتها الأمة العربية لأنها انتفعت بجميع المخارج الصوتية فى تقسيم حروفها ولم تهمل بعضها وتكرر بعضها الآخر بالتخفيف تارة والتثقيل تارة كما فعل المتكلمون بسائر اللغات المعروفة"[٢] ٠

---

(١) سر الصناعة ١/ ٩، ١٠ ٠

(٢) اللغة الشاعرة / ١٦ (ط دار غريب) ٠

هذا وقد سبق أن عرفنا مدى موافقة القدماء والمحدثين في الحديث عن مخارج الأصوات[١].

٣ - ذكروا صفات الأصوات من جهر وهمس وشدة ورخاوة وإصمات وذلاقة وإطباق وانفتاح واستعلاء واستفال .. الخ[٢].

وقد جاء توضيحهم لمفهوم هذه الصفات متمشيا مع تعريفات المحدثين في أكثر صورها على الرغم من قلة الأجهزة والإمكانيات لدى القدماء.

من ذلك قول سيبويه في تعريف المجهور: "إن المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[٣].

ولو قارنا هذا التعريف بتعريف المحدثين السابقين[٤] نجد أن ثمة اتفاقا بين التعريفين عدا صوتين هما القاف والطاء وقد ثبت بالتجارب الحديثة أنهما مهموسان لا يهتز الوتران الصوتيان عند النطق بهما ــ كما سبق ــ عند أكثر العلماء[٥].

ونجد في عبارة سيبويه قوله "أشبع الاعتماد في موضعه" أي قوي ووضح الصوت المجهور منذ مروره على الوترين الصوتيين

---

(١) راجع ما سبق ص١١٢ .
(٢) راجع الحديث عن هذه الصفات ــ فيما سبق ــ ص١١٦ وما بعدها.
(٣) سيبويه ٤/ ٤٣٤
(٤) ص١٠٧ .
(٥) ص١٠٧ .

وتأثيره عليهما بالاهتزاز نتيجة لاقترابها ويظل الصوت المجهور قويا مشبعا إلى أن يخرج من مخرجه وبذلك يكون أوضح فى السمع من المهموس وذلك الإحساس الدقيق عند سيبويه هو ما قرره المحدثون حين قالوا:

"إنه مع المجهور يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر مما يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما فى قوة تحرك الوترين الصوتيين وتجعلهما يتذبذبان حتى ينقضى الاعتماد أى حتى تنتهى العملية العضوية المطلوبة فى إصدار الصوت"(١).

وعلى عكس ذلك تماما يكون الوضع مع المهموس.

وهكذا رأينا مفهوم سيبويه للجهر يتفق تماما مع مصطلح المحدثين ولم يشذ عن ذلك إلا القاف والطاء فقد تطورا من صفة الجهر إلى صفة الهمس وذلك تطور طبيعى يعرض للأصوات(٢) وإن كان البعض ينطقها ـ الآن ـ كما هى عند القدماء.

٤ – تقسيم الأصوات إلى: أصوات الحركة والأصوات الصامتة وأنصاف الحركات لدى المحدثين أساسه الدراسات الصوتية القديمة، وقد جعل القدماء أساس هذا التقسيم اتساع المخرج مع أصوات الحركة وانحباسه أو ضيقه مع الأصوات الصامتة.

---

(١) انظر الأصوات اللغوية/ ١٢٤ ـ ١٢٦ .
(٢) انظر علم اللغة د/ وافى ٢٩١ ، ٢٩٢ .

قال ابن جنى :

"والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف ... والعلة فى ذلك أنك تحد الفم والحلق فى ثلاث الأحوال مختلف الأشكال أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحتين .... وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتفت جنبتى اللسان .. وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك قولك فى الألف أ أ ، وفى الياء: أى وفى الواو أو"(١).

كما جعل ابن جنى الحركات الثلاث وهى الفتحة والكسرة والضمة جزءا من أصوات الحركة الطويلة فقال: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهى الألف والواو والياء..." (٢).

وأساس تقسيم الأصوات السابق لدى القدماء هو نفسه أساس التقسيم عند المحدثين حيث جعلوا الوضوح السمعى للصوت مقياسا للتمييز بين الأصوات الصامتة وأصوات الحركة(٣).

٥ - حديث ابن جنى عن "حسن تأليف الكلمة من الحروف"(٤) وحديث سيبويه وعلماء القراءات عن الإدغام(٥) هو أساس المباحث

---

(١) سر الصناعة ١/ ٨، ٩ .
(٢) نفسه ١/ ١٩، ٢٠ .
(٣) راجع الأساس الصوتى فى تقسيم الأصوات إلى: أصوات حركة وصامتة ـ فيما سبق ص ٨٤ .
(٤) سر الصناعة ١/ ٧٥ ـ ٧٧ .
(٥) سيبويه ٤/ ٤٣٧ وما بعدها، والنشر ١/ ٢٠٥ وما بعدها .

الصوتية الحديثة التى تتحدث عن المقطع الصوتى وموسيقى الكلام[١] وغيرهما من المباحث الصوتية المتعلقة بالأداء الصوتى .

والصفة التى تحكم الدراسات القديمة والحديثة فى هذا المجال هى السهولة فى النطق والاقتصاد فى الجهد العضلى .

وممن نادى بهذه النظرية من المحدثين "Andre Martinet" إذ صرح بأن التغييرات الهامة فى اللغة ترجع أساسا إلى الميل إلى استعمال الوسائل الفونيمية (الصوتية) فى اللغة اقتصاديا وبطريقة سهلة بقدر الإمكان"[٢] .

ثالثا: ملاحظات على دراسة القدماء للأصوات :

تحدثنا – آنفا – عن أهم النتائج الصوتية التى توصل إليها علماؤنا القدامى والتى كانت أساسا للتقدم العلمى فى هذا الميدان لدى علماء الغرب والشرق على السواء .

وعلى الرغم من هذا المجهود الكبير الذى قدمه علماؤنا القدامى فإنهم لم يسلموا من بعض الملاحظات على دراساتهم – فالكمال لله وحده – ونستطيع أن نبدى على دراساتهم بعض الملاحظات التالية:

١ – غموض بعض المصطلحات وعدم فهمها إلا على ضرب من المجاز من ذلك قول ابن جنى فى تعريف الصوت:

---

(١) انظر ما يأتى ص ١٩٦ وما بعدها .
(٢) البحث اللغوى ١٠٦ .

"اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"[١].

ومعروف أن كلمة "المقطع" بمعنى المخرج ولكن المقطع هنا فى كلام ابن جنى بمعنى الحرف نفسه لا مخرجه وعلى ذلك فتقدير عبارة ابن جنى "فيسمى الحرف أينما عرض المقطع للصوت حرف البـاء مثلا.

ويكون إطلاق المقطع على الحرف لا مخرجه مجاز مرسل علاقته المحلية حيث أطلق المقطع وأراد الحرف كقوله تعالى : ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[٢] المراد ـ والله أعلم ـ واسأل أهل القرية[٣].

ألا ترى معى إلى غموض هذا التعبير والصعوبة فى فهمه ـ لاسيما ـ وهو فى تعريف مصطلح فينبغى أن يكون واضحا.

هذا وقد ذكر الدكتور/ أنيس فى كتابه : "الأصوات اللغوية"[٤] محاضرة ألقاها الأستاذ الألمانى (أ. شادة) عرض فيها لآراء سيبويه وناقشها وكان مما أخذه على سيبويه:

أ - خلط سيبويه فى التعبير بين مفهوم الصوت ومفهوم الحرف وإطلاق أحدهما على الآخر.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٦.
(٢) يوسف من الآية / ٨٢.
(٣) انظر حاشية المحققين لسر الصناعة ١/ ٦.
(٤) ص ١١٢ ـ ١١٤.

ب - خلط سيبويه بين موضع الحرف ومخرج الحرف[١].

ج - الضاد عند سيبويه صوت رخو وكما ننطق بها الآن صوت شديد عند أكثر العلماء.

والجيم عند سيبويه صوت شديد وكما ننطق بها الآن صوت مزيج من الشدة والرخاوة والقاف والطاء والهمزة عند سيبويه مجهورات خلافا لبعض المحدثين.

وبالنسبة للمأخذ الأول فإن هذا تساهل جرى بين العلماء إلى عهد قريب باعتراف المحاضر نفسه.

والمأخذ الثانى ملخصه أن سيبويه وغيره يسمى نهاية مجرى الصوت وموضع اتصال عضوى النطق بالمخرج وهذا تجاوز من القيماء والأفضل تسمية مكان خروج الهواء من الرئتين إلى موضع اتصال عضوى النطق بالمجرى ويكون المخرج هو نهاية المجرى.

والمأخذ الثالث وهو تغيير صفات الضاد والجيم والقاف والطاء والهمزة من نطقها عند سيبويه ونطقها الآن فهذا أمر طبيعى يحدث نتيجة للتطور الصوتى فلا ضير على سيبويه فى ذلك[٢].

٢ - ذكر سيبويه أن الهمزة والألف بين مخرج واحد هو أقصى الحلق وفى هذا نظر حيث إن الألف ـ كما سبق ـ حرف جوفى هوائى[٣] ويكون المقصود بالألف فى عبارة سيبويه الألف التى هى صورة الهمزة فى مثل سأل وأمر وقرأ.

---

(١) انظر سيبويه ٤/ ٤٣٣، ٤٣٤.
(٢) انظر الأصوات اللغوية صـ١١٢، ١١٣.
(٣) راجع ما سبق ص ١١٣، وانظر البحث اللغوى/ ١٠٧، ١٠٨.

الفصل السادس

فن التجويد (الأداء القرآنى)

الفصل السادس

فن التجويد (الأداء القرآنى)

تمهيد: ربط علم التجويد بالدراسات الصوتية الحديثة:

سبق أن قلنا [١] إن هناك صلة وثيقة بين الدراسات الصوتية وعلم التجويد وأن التجويد تطبيق عملى لثبات الأصوات والحفاظ عليها، وقد درس المحدثون من علماء الأصوات الوحدات الصوتية التى تلحظ عند الأداء وتتعلق بدرجة الصوت أو ارتفاعه[٢] تحت نوع من الدراسات الصوتية عرف باسم prosody الذى يمكن ترجمته بعلم الأداء الصوتى وهو قريب ــ عندنا ــ من علم التجويد وسنوضح ــ فيما يلى مفهوم هذا الفن وما يتعلق به وبعض أحكامه المهمة فنقول:

١ـ مفهوم التجويد :

التجويد فى اللغة مصدر من قولنا ، جَوّد الشيء إذا حَسّنه والاسم منه الجودة ضد الرداءة يقال جود فلان فى كذا إذا فعل ذلك جيدا ،

وفى اصطلاح أهل الفن: هو إعطاء الحروف حقوقها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته ــ كما أنزل الله تعالى ــ من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف[٣].

---

(١) انظر صـ٣٣ .

(٢) وذلك كالنبر والتنغيم وغيرهما ،

(٣) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢١٠، ٢١٢ .

٢ـ دليله :

من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[(١)].

ومن السنة ما ورد فى باب "حسن الصوت بالقراءة" حدثنا محمد بن خلف ... عن أبى موسى ـ ﷺ ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال له "يا أبا موسى لقد أوتيتَ مِزْمَارا من مزامير آل داود"وقول رسول الله ـ ﷺ ـ : "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة بن أم معبد" يعنى عبدالله بن مسعود (ت٣٢هـ) وفى الأثر عن عبدالله بن مسعود "جَوِّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربى والله يحب أن يُعرب به"[(٢)] أى يقرأ قراءة عربية صحيحة.

٣ـ حكمه :

العلم به فرض كفاية والعمل به فرض عين على كل من يريد أن يقرأ شيئا من القرآن الكريم[(٣)].

٤ـ غايته :

صون القرآن الكريم عن اللحن والتغيير وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا فقسموا اللحن إلى: جلى وخفى فالجلى كالخطأ فى الإعراب والخفى كالخطأ فى القراءة[(٤)] وسيأتى تفصيل ذلك.

---

(١) المزمل من الآية / ٤ .

(٢) انظر صحيح البخارى ٣/ ٢٣٥، والنشر ١/ ٢١٠، ٢١٢ وكيف تجود القرآن ؟ محمد الهلاوى ٧ ـ ١٣ .

(٣) مرشد المريد إلى علم التجويد / ٣ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن ـ للسيوطى ١/ ١٣٢ .

كيف يقرأ القرآن؟ (مراتب القراءة):

للقرآن الكريم مراتب في قراءته ينبغي أن يتنبه لها للقارئ وهي:

١ـ التحقيق:

وهو مصدر من حققت الشيء تحقيقا إذا بلغت يقينه وحقيقته ومعناه: إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمز ... الخ ومراعاة أحكام التلاوة مع اليسر والتؤدة وهو غاية الترتيل:

ويُستحَب الأخذ به في مقام التعليم.

٢ـ الترتيل:

وهو مصدر من رَتّل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضا على مكث وتفهم من غير عجلة وهو الذي نزل به القرآن قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾(١).

قال ابن عباس: بينه وقال مجاهد: تأن فيه(٢).

ومعناه: قراءة القرآن بتؤدة وروية ليكون ذلك عونا على تدبر القرآن وتفهمه.

٣ـ الحَدْر:

هو مصدر من حدر بالفتح يحدر بالضم إذا أسرع.

ومعناه: إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل وغير ذلك مما وردت به القراءة.

---

(١) المزمل من الآية / ٤.
(٢) النشر ١/ ٢٠٨.

وهو مذهب يقصد به الإكثار من القراءة لتكثير الحسنات.

٤ـ التدوير:

أى التوسط بين مقامى التحقيق والحدر وهو مذهب أكثر الأئمة[١].

وأفضل المراتب السابقة: هو القراءة بالترتيل لنزول القرآن الكريم بها ولأن الهدف من قراءة القرآن إنما هو تدبر معانيه وفقهها.

اللحن فى القراءة:

المراد باللحن ـ هنا ـ الخطأ فى القراءة وينقسم إلى قسمين: جلى وخفى.

فالجلى:

هو الخطأ الذى يطرأ على اللفظ فيخل بمبناه إخلالا ظاهرا يعرفه الخاصة والعامة على السواء.

مثل تغيير حركة الحرف فيؤدى إلى فساد المعنى كضم التاء فى قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٢] أو فتحها فى قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾[٣] وقد تغير الحركة أو الحرف دون فساد المعنى فيعد ذلك خطأ جليا أيضا كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٤]، بتحريك المجزوم ونطق قوله تعالى: ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[٥] بقلب الطاء تاء أو دالا.

---

(١) النشر ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨.
(٢) الفاتحة من الآية ٧.
(٣) المائدة من الآية ١١٧.
(٤) الإخلاص آية ٣.
(٥) النازعات من الآية ٤٣.

ومن ذلك الخطأ الإخلال بأحكام التجويد الظاهرة كترك المدود الطبيعية مثل "قال" أو ترك الإدغام والإظهار ــ كما ستعرفه ــ ٠

والخفى: هو الخطأ الذى يتعلق بكمال إتقان النطق لا بتصحيحه وهو المختص بأهل هذا الفن مثل: عدم ضبط مقادير المدود بالنقص أو الزيادة٠

ومن وقع فى اللحن الجلى لا تصح قراءته ولا ينبغى الصلاة خلفه٠

ومن وقع فى اللحن الخفى فهو مخل بإتقان القراءة مع صحة الصلاة خلفه(١)٠

القراءة الصحيحة:

هى كل قراءة وافقت اللغة العربية ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية وثبتت بطريق التواتر ــ كما ذكر علماء القراءات ــ٠

فكل قراءة تحققت فيها الأركان السابقة يجب قبولها ومتى لم تتحقق الأركان السابقة أو ركن منها فى قراءة فهى قراءة شاذة ومردودة٠

والمراد بقولهم: وافقت اللغة العربية أن تكون موافقة لوجه من وجوه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحا مثل قراءة حمزة بجر الأرحام فى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ﴾ وقراءة

(١) كيف تجود القرآن ١٤ ــ ١٦ ٠

"الأرحام" بالجر عطفا على الضمير المجرور فى "به" وقياس النحويين فى مثل هذا: أنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار.

والمراد بقولهم : وافقت رسم أحد المصاحف "أن تكون ثابتة ولو فى بعضها كقراءة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(١) بحذف الألف فهى ثابتة فى المصحف المدنى والشامى.

أما التواتر فهو نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ.

قال النويرى: "أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشر كذلك أجمع عليه القراء أيضا إلا من لا يعتد بخلافه"(٢).

الاستعاذة:

هى طلب العوذ أى الامتناع بالحفظ والعصمة وصيغتها "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

ويرى الجمهور أنها مستحبة وقيل واجبة عند إرادة القراءة لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾(٣).

---

(١) آل عمران من الآية ١٣٣.

(٢) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ـ عبدالفتاح القاضى / ٤ وما بعدها.

(٣) النحل ٩٨.

البسملة:

هى مصدر بسمل أى قال "بسم الله الرحمن الرحيم" مثل "هيلل: إذا قال "لا إله إلا الله"[١].

وتجب عند بداية القراءة وعند أول كل سورة عدا سورة "براءة" وذلك لكتابتها فى المصحف أما سورة "براءة" فلا يجوز الإتيان بها فى أولها وذلك لعدم كتابتها فى المصحف حيث إن هذه السورة تبدأ ببراءة الله ورسوله من المشركين ورفع الأمن عنهم بالسيف وذلك لا يتناسب مع ما فى البسملة: من الرحمة والأمن وخير صيغة لتلاوة سورة "براءة" هى: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم الله أكبر براءة من الله ورسوله ... الخ".

مَنْ يجب أن يُقرأ عليه القرآن ويُنقل عنه؟ (الشروط الواجبة فى القارئ):

يجب على قارئ القرآن الكريم أن يكون حافظا له حفظا جيدا، عالما بأحكام التجويد دراية وتطبيقا، عارفا بالقراءات القرآنية دراية ورواية وصحة وشذوذا، فَطِنا فى علوم العربية والقرآن والدين فإذا تحققت فى قارئ القرآن هذه الشروط قُبِلَتْ قراءته وَنُقِلَتْ عنه وأصبح إماما فى القراءة.

قال مكى بن أبىطالب عن أبى محمد : "يجب على قارئ القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم فى علوم

---

(١) الوافى فى شرح الشاطبية ٤٥ .

القرآن والنفاذ فى علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم .."٠

وقال: القراء يتفاضلون فى العلم بالتجويد: فمنهم مَنْ يعلمه رواية وقياسا وتمييزا فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعا وتقليدا فذلك الوَهِن الضعيف[١]، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف إذ لم يُبْن على أصل ولا نُقِل عن فهم، قال: فنقل القرآن فطنة ودراية أحسن منه سماعا ورواية"[٢]٠

وهذه هى أهم الأحكام التجويدية:

أولا: أحكام النون الساكنة والتنوين مع الحروف الأبجدية :

النون الساكنة هى التى لا حركة لها فى مثل : مِنْ وعَنْ ٠

والتنوين: هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا وتفارقه فى الخط والوقف٠

وعلامته الضمتان: مثل: رحيمٌ أو الفتحتان مثل : رحيمًا أو الكسرتان مثل: رحيمٍ[٣]٠

وأحكام النون الساكنة والتنوين أربعة وهى:

١ـ **الإظهار الحلقى**: وهو فى اللغة: البيان وفى الاصطلاح: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة فى الحرف المظهر٠

---

(١) وهذا ما عليه أكثر القراء الآن الذين نسمعهم فى المناسبات المختلفة ولا حَظَّ لهم من القرآن إلا التقليد وحفظ ما يقرءونه فقط ــ سامحهم الله وعفا عنا وعنهم٠
(٢) الرعاية صـ٢٢ ٠
(٣) مرشد المريد ٣ ٠

ويتحقق إظهار النون الساكنة والتنوين إذا وقع بعدهما حرف من أحرف الحلق الستة الآتية:

الهمزة والهاء، العين والحاء، الغين والخاء ٠

وللإظهار الحلقى مراتب ثلاثة:

١ – أعلى عند الهمزة والهاء ٠

٢ – أوسط عند العين والحاء ٠

٣ – أدنى عند الغين والخاء[١]٠

ويلاحظ أن النون الساكنة تظهر مع أحد حروف الحلق الستة سواء أكانت فى كلمة أم فى كلمتين أما التنوين فيظهر فى كلمتين فقط ولا يكون فى كلمة واحدة وإليك الأمثلة:

أمثلة على إظهار النون الساكنة والتنوين :

مثال النون الساكنة		مثال التنوين ولا يكون إلا من كلمتين	حروف الإظهار
من كلمة	من كلمتين		
"وَيَنْأون عنه"	"ومَنْ أهل"	"رسول أمين"	الهمزة
"ينْهى"	"مَنْ هاجر"	"فريقا هدى"	الهاء
"أنعمت"	"مَنْ عمل"	"سميع عليم"	العين
"ينحتون"	"مِنْ حكيم"	"غفور حليم"	الحاء
"فسينغضون"	"مِنْ غير شىء"	"ماء غدقا"	الغين
"والمنخنقة"	"مِنْ خوف"	"يومئذ خاشعة"	الخاء

(١) دراسات فى التجويد والأصوات ١٥٠ ٠

والإظهار – فيما سبق – يسمى إظهارا حلقيا لخروج حروفه من الحلق قال الناظم (صاحب تحفة الأطفال) فى هذا الإظهار :

للنون إن تسكن وللتنوين .:. أربع أحكام فخذ تبيينى

فالأول الإظهار قبل أحرف .:. للحلق ست رتبت فلتعرف

همز فهاء ثم عين حاء .:. مهملتان ثم غين خاء[1]

هذا والسبب فى إظهار النون الساكنة إظهارا حلقيا مع أحد حروف الحلق الستة هو سبب صوتى يرجع إلى بعد المخرج بين النون المظهرة التى هى من طرف اللسان مع أعلى لثة الثنايا العليا مع خروج هوائها كله وصوتها من الأنف[2] وبين حروف الحلق التى تخرج من الحلق:

٢ ـ الإدغام :

وهو فى اللغة: إدخال الشىء فى الشىء.

وفى الاصطلاح: النطق بالحرف الأول كالثانى مشددا وفائدته تخفيف اللفظ وتيسيره والاقتصاد فى الجهد العضلى، هذا وللإدغام أحكام كثيرة – ليس هنا تفصيلها – .

ويتحقق الإدغام إذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع أحد حروف الإدغام متحركة[3] وحروف الإدغام ستة وهى:

---

(١) انظر مرشد المريد إلى علم التجويد ٣، ٤، والوافى فى شرح الشاطبية ١٣٨، ١٣٩ .

(٢) المختصر / ١١٠ .

(٣) ينبغى أن نعلم أن الإدغام هنا هو الإدغام الصغير أما الإدغام الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين المدغمين متحركا مثل "لذهب بسمعهم" انظر الوافى ٥٣ وما بعدها، ودراسات فى أصوات اللغة العربية / ١٤٨ .

١ - الياء ٠ ٢ - النون ٠

٣ - الميم ٠ ٤ - الواو ٠

٥ - اللام ٠ ٦ - الراء٠

وتجمع هذه الأحرف فى كلمة "يرملون"٠

والإدغام فى الأربعة حروف الأولى وهى: الياء والنون والميم والواو المجموعة فى كلمة "ينمو" يكون إدغاما بغنة . أما إدغام النون الساكنة والتنوين فى الراء واللام فيكون إدغاما بغير غنة وإليك الأمثلة على الترتيب ٠

مثال النون الساكنة	مثال التنوين	حرف الإدغام	نوع الإدغام
"إن يقولون"	"يومئذ يصدر"	الياء	بغنة
"من نعمة"	"أمشاج نبتليه"	النون	بغنة
"من ملجأ"	"صراطا مستقيما"	الميم	بغنة
"من واق"	"جنات وعيون"	الواو	بغنة
"لئن لم"	"هدى للمتقين"	اللام	بغير غنة
"من ربهم"	"فى عيشة راضية"	الراء	بغير غنة

ونلاحظ فى الأمثلة السابقة أن النون الساكنة والتنوين فى كلمتين بحيث تكون النون الساكنة أو التنوين فى آخر الكلمة الأولى وحرف الإدغام فى أول الكلمة الثانية وهذا هو شرط الإدغام٠

أما إذا كانت النون الساكنة وحرف الإدغام فى كلمة واحدة كان حكم النون الإظهار: والأمثلة على ذلك:"الدنيا،بنيان، قنوان،صنوان"٠

ويسمى الإظهار حينئذ إظهارا مطلقا:قال الناظم فى هذا الإدغام،

والثانى إدغام بستة أتت .:. فى يرملون عندهم قد ثبتت
لكنها قسمان قسم يدغما .:. فيه بغنة بينمو علما
إلا إذا كان بكلمة فلا .:. تدغم كدنيا ثم صنوان تلا(١)

والسبب فى إدغام النون الساكنة والتنوين مع أحد حروف "يرملون" ــ فى كلمتين ــ يرجع إلى قرب المخرج بين النون وهذه الحروف فالنون من طرف اللسان وهذه الحروف تدور بين طرف اللسان ووسطه والشفتين يضاف إلى ذلك: قرب الصفات أيضا بين هذه الحروف فهى تشترك فى صفات "الاستفال والانفتاح والجهر"(٢) وقد سبق أن ذكرنا أن الراء واللام والنون شبيهة بأصوات اللين فى الوضوح السمعى (٣)٠

٣ـ الإقلاب:

وهو فى اللغة: تحويل الشيء عن وجهه ٠

وعند أهل هذا الفن: قلب النون الساكنة أو التنوين ميما مخفاة فى اللفظ لا فى الخط مع بقاء الغنة ٠

---

(١) مرشد المريد ٤، ٥، والوافى ١٣٨ ٠
(٢) دراسات فى أصوات اللغة العربية ١٥١ ٠
(٣) راجع ما سبق ص١٠٤ ٠

وللإقلاب حرف واحد هو الباء ،

فإذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع حرف الباء نتج عن ذلك قلب النون الساكنة أو التنوين ميما مخفاة ويتضح السبب في ذلك قريبا ،

والتقاء النون الساكنة مع الباء قد يكون فى كلمة واحدة مثاله "ينبت لكم" ،

وقد يكون فى كلمتين : مثاله "من بخل" ،

أما التنوين مع الباء فلا يكون إلا فى كلمتين: مثاله "حل بهذا" ،

قال الناظم:

والثالث الإقلاب عند الباء ∴ ميما بغنة مع الإخفاء[1]

والسبب فى قلب النون الساكنة ميما مع الباء ،

أن النطق بالنون الساكنة يتطلب استمرار مرور الهواء عن طريق الغنة التى تخرج من الأنف والنطق بالباء يتطلب حجز الهواء بالتقاء الشفتين وعند ذلك يتنافى الحرفان فتأتى بحرف يتفق مع النون فى الغنة ومع الباء فى المخرج من الشفتين وهو الميم ومن هنا نستطيع النطق بالصوتين عن طريق الإقلاب[2].

---

(١) مرشد المريد ٥، ٦ ،
(٢) دراسات فى أصوات اللغة ١٥٣ ،

٤- الإخفاء:

وهو فى اللغة: الستر من أخفيت الشيء إذا سترته٠

واصطلاحا: النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام عار من التشديد مع بقاء الغنة فى الحرف المخفى (النون الساكنة أو التنوين)٠

ويتحقق الإخفاء إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين أحد الحروف الآتية:

١ - الصاد٠	٢ - الذال٠	٣ - الثاء٠
٤ - الكاف٠	٥ - الجيم٠	٦ - الشين٠
٧ - القاف٠	٨ - السين٠	٩ - الدال٠
١٠ - الطاء٠	١١ - الزاى٠	١٢ - الفاء٠
١٣ - التاء٠	١٤ - الضاد٠	١٥ - الظاء٠

وهى خمسة عشر حرفا جمعت فى الحروف الأولى من كلمات هذا البيت:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا ∴ دُمْ طَيِّبًا زِدْ فى تُقًى ضَعْ ظَالِمَا

كما نلاحظ أن أحرف الإخفاء تقع مع النون الساكنة فى كلمة واحدة أو فى كلمتين أما أحرف الإخفاء مع التنوين فلا يكون ذلك إلا فى كلمتين وإليك أمثلة إخفاء النون الساكنة والتنوين٠

مثال النون الساكنة من كلمة	مثال النون الساكنة من كلمتين	مثال التنوين ولا يكون إلا من كلمتين	حرف الإخفاء
"منصورا"	"من صياصيهم"	"رجال صدقوا"	الصاد
"لينذر"	"من ذا الذى"	"كل نفس ذائقة الموت"	الذال
"أنثى"	"فمن ثقلت"	"ماء ثجاجا"	الثاء
"أنكالا"	"من كان"	"فى يوم كان"	الكاف
"فأنجيناه"	"من جبال"	"فصبر جميل"	الجيم
""منشورا"	"إن شاء"	"على كل شىء شهيد"	الشين
"فأنقدكم"	"من قبل"	"على كل شىء قدير"	القاف
"منسأته"	"عن سواء"	"قولا سديدا"	السين
"عند"	"ومن دخله"	"قنوان دانية"	الدال
"ينطقون"	"وإن طائفتان"	"قوما طاغين"	الطاء
"منزلين"	"فإن زللتم"	"مباركة زيتونة"	الزاى
"انفروا"	"وإن فاتكم"	"عمى فهم"	الفاء
"منتهون"	"من تراب"	"جنات تجرى"	التاء
"منضود"	"من ضل"	"قوما ضالين"	الضاد
"ينظرون"	"من ظلم"	"قرى ظاهرة"	الظاء

هذا وللإخفاء ثلاث مراتب وهى:

١ - أعلى عند الطاء والدال والتاء.

٢ - أدنى عند القاف والكاف.

٣ - أوسط عند باقى حروف الإخفاء.

ويتضح ــ مما سبق ــ أن السبب فى إخفاء النون الساكنة والتنوين مع أحد أحرف الإخفاء السابقة أن هذه الأحرف متوسطة المخارج مع النون فهى ليست بعيدة جدا كما فى حروف الإظهار ولا قريبة جدا كما فى حروف الإدغام.

وفى "الإخفاء" يقول الناظم:

والرابع الإخفاء عند الفاضل ∴ من الحروف واجب للفاضل

فى خمسة من بعد عشر رمزها ∴ فى كلم هذا البيب قد ضمنتها

صف ذا ثناكم جاد شخص قد سما ∴ دم طيبا زد فى تقى ضع ظالما[1]

ثانيا: أحكام الميم الساكنة:

للميم الساكنة مع حروف الهجاء ــ عدا الألف اللينة ــ ثلاثة أحكام.

١ـ الإخفاء الشفوى:

ويتحقق إذا وقع بعد الميم الساكنة حرف واحد هو الباء ويسمى إخفاء شفويا[2] مثاله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ والسبب فى إخفاء "الميم" هنا هو اتحاد مخرجها مع الباء (من الشفتين) فأخفيت حتى يمكن النطق بها ساكنة مع الباء التى هى من مخرجها.

وفى الإخفاء الشفوى يقول الناظم:

والميم إن تسكن تجى قبل الهجا ∴ لا ألف لينة لذى الحجا

---

(١) انظر ــ فيما سبق ــ النشر ٢/ ٢٢ ــ ٢٧، ومرشد المريد/ ٦، ودراسات فى التجويد ١٥١، ودراسات فى أصوات اللغة ١٥٨ .

(٢) لخروج حروفه (الباء والميم) من الشفة .

أحكامها ثلاثة لِمَنْ ضبط .:. إخفاء إدغام وإظهار فقط

فالأول الإخفاء عند الباء .:. وسمِّه الشفوى للقراء

٢ـ الإدغام :

ويتحقق ذلك إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم مثلها ويسمى إدغام مثلين صغير بغنة.

مثاله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾.

قال الناظم:

والثانى إدغام بمثلها أتى .:. وسَمِّ إدغام صغيرا يا فتى

٣ـ الإظهار:

ويتحقق إذا وقع بعد الميم الساكنة أى حرف ـ من حروف الهجاء عدا الباء والميم السابقتين ويسمى الإظهار حينئذ إظهارا شفويا"(١).

مثاله فى كلمة "وامضوا"، "تمسون"، "أمثالكم".

مثاله فى كلمتين"لنجعلها لكم تذكرة"،"لم ينقصوكم"،"وهم ظالمون".

قال الناظم فى "إظهار الميم" :

والثالث الإظهار فى البقية .:. منْ أحرف وسَمِّها شفوية(٢)

---

(١) ـ أنواع الإظهار ثلاثة: الإظهار الحلقى لأنه خاص بحروف الحلق ، والإظهار الشفوى لخروج حروفه من الشفة والإظهار المطلق الذى ليس بحلقى أو شفوى.

(٢) النشر ١/ ٢٢٢، ودراسات فى التجويد ١٥١، ١٥٢، ومرشد المريد ٨، ٩.

ثالثا: المد والقصر:

المد لغة: الزيادة، واصطلاحا إطالة زمن الصوت بحرف المد عن المد الطبيعي وهو الذى لا يقوم ذات الحرف دونه، وحرف المد ثلاثة:

١ - الألف ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا ٠

٢ - الياء الساكنة المكسور ما قبلها ٠

٣ - الواو الساكنة المضموم ما قبلها ٠

والقصر لغة: الحبس: واصطلاحا: إثبات حرف المد من غير زيادة عليه[١]٠

سبب المد:

للمد سببان: إما لفظى وهو المد للهمز أو السكون وسيأتى الحديث عنه ــ قريبا ــ ٠

وإما معنوى حيث يقصد به المبالغة فى النفى وهو سبب قوى مقصود عند العرب وإن كان أضعف من السبب اللفظى عند القراء، ومنه مد التعظيم فى نحو "لا إله إلا الله، لا إله إلا هو، لا إله إلا أنت" ٠

ويقال له أيضا مد المبالغة[٢]٠

---

(١) النشر ١/ ٣١٣، ومرشد المريد ١٢ ٠

(٢) النشر ١/ ٣٤٤ ٠

أقسام المد:

ينقسم المد إلى قسمين:

١ - أصلي ٠ ٢ - فرعى ٠

١- المد الأصلي: هو الذى لا يتوقف على سبب من همز أو سكون مثل "مالك الملك" ، "الذين"، "يقول" فالألف والياء والواو فى الأمثلة السابقة تمد فى النطق بمقدار حركتين:

الحركة فى القراءة ــ كما حددها العلماء فى العصر الحديث ــ الفترة الزمنية اللازمة لنطق الحرف المتحرك مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة : مثل قَ، قِ ، قُ أما قول بعض القدماء "الحركة مقدار زمن قبض الأصبع أو بسطه" فقول ضعيف ويُضَعَّف بأن هذا المقدار يختلف من شخص لآخر بل إنه يختلف فى الشخص الواحد من حالة لأخرى٠

ويسمى هذا المد مدا طبيعيا وحروفه هي الألف والياء والواو السابقة٠

قال الناظم:

والمد أصلى وفرعى له ∴ وسم أولا طبيعيا وهو
ما لا توقف له على سبب ∴ ولا بدونه الحروف تُجْتلب
بل أى حرف غير همز أو سكون ∴ جاء بعد مد فالطبيعى يكون
حروفه ثلاثة فَعِيها ∴ من لفظ وَاىِ وَهْى فى نوحيها

والكسر قبل الياء وقبل الواو ضم ∴ شرط وفتح قبل ألف يلتزم

٢ـ **المد الفرعي:** وهو الذى يتوقف مده على سبب من همزة أو سكون وله ستة أقسام:

١ـ **المد المنفصل:** وهو أن يكون حرف المد فى كلمة والهمز بعده فى الكلمة الأخرى نحو: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾.

وهذا المد قد يسمى بالمد الجائز لجواز قصره ومده ويجوز مده مقدار حركتين أو أربع أو خمس.

٢ـ **المد المتصل:** وهو أن يكون حرف المد والهمز فى كلمة واحدة نحو: "السماء"، "تفئ"، "تبوء".

وهذا المد يسمى بالمد الواجب لوجوب مده وعدم جواز قصره ويمد بمقدار أربع حركات أو خمس أو ست.

قال الناظم:

والآخر الفرعى مُوقَفٌ على ∴ سبب كهمز أو سكون سجلا

وجائز مد وقصر إن فصل ∴ كل بكلمة وهذا المنفصل

فواجب إن جاء همز بعد مد ∴ فى كلمة وذا بمتصل يعد

وسبب المد لأجل الهمز أن حرف المد خفى والهمز صعب فزيد فى الخفى ليتمكن من النطق بالصعب(١).

---

(١) النشر ١/ ٣١٣، ٣١٤، ودراسات فى التجويد/ ١٣٦ .

٣ـ **المد اللازم** : هو أن يقع بعد حرف المد سكون ثابت وصلا ووقفا .

أقسامه:

أ – مد لازم كلمي مثقل وذلك إذا كان المد في كلمة وكان مدغما مثل "كافة"، "الحاقة".

ب – مد لازم كلمي مخفف وذلك إذا كان المد في كلمة وليس مدغما مثل "ءالئن".

ج – مد لازم حرفي مثقل وذلك إذا كان المد في حرف وكان مدغما مثل : آلم طسم .

د – مد لازم حرفي مخفف وذلك إذا كان المد في حرف وليس مدغما مثل: قٓ ، صٓ .

والمد اللازم في الأربعة أنواع السابقة يجب مده بمقدار ست حركات.

قال الناظم:

ولازم إن السكون أصلا .: وصلا ووقفا بعد مد طولا

كلاهما مثقل إن أدغما .: مخفف كل إذا لم يدغما

٤ـ **مد البدل**: وهو ما تقدم فيه الهمز على حرف المد وذلك لإبدال حرف المد من الهمز مثل: آمنوا، إيمانا، أوتوا.

وحكمه: القصر بأن يمد بمقدار حركتين قال الناظم:

أو قدم الهمز على المد وذا .: بدل كآمنوا وإيمانا خذا

٥ـ **مد اللين:** وهو مد الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما مثل: بَيْت وخَوْف وسمى لينا لأن في النطق به لينا وسهولة ٠

وحكمه عدم المد مطلقا حالة الوصل أما في الوقف فسيأتي حكمه قريبا ٠

قال الناظم:

واللين منها اليا وواو سكنا ∴ إن انفتاح قبل كل أعلنا[1]

٦ـ **المد العارض للسكون:** وهو ما وقع بعد حرف المد أو اللين سكون عارض حالة الوقف ٠

وإليك الأمثلة:

أمثلة المد العارض للسكون غير المهموز (١)	حرف المد	أمثلة المد العارض للسكون المهموز (٢)	حرف المد
يؤمنون	الواو	والسماء	الألف
من الرحمن	الألف	من الماء	الألف
نستعين	الياء	يشاء	الألف
خوف	الواو		

التوضيح:

من الأمثلة السابقة يتبين لنا أنه إذا وقع بعد حرف المد أو حرف اللين سكون عارض حالة الوقف سمى المد عارضا للسكون وذلك لعروض السكون حالة الوقف ٠

فإن كان غير مهموز كما في أمثلة المجموعة (١) فإما أن يكون منصوبا أو مجرورا أو مرفوعا ٠

---

(١) مرشد المريد ١٥، والوافي ٧٢ ٠

فإن كان منصوبا مثل "يؤمنون" ففيه ثلاثة أوجه وهي: مده حركتين أو أربعا أو ستا بالسكون المحض أى الخالى من الرَّوْم(١) والإشمام(٢) وإن كان مجرورا مثل "من الرحمن" ففيه أربعة أوجه وهى الثلاثة المذكورة فى المنصوب ويزاد "الروم" على القصر.

وإن كان مرفوعا مثل (نستعين) ففيه سبعة أوجه وهى:

الأربعة المذكورة فى المجرور ويُزاد الإشمام على كل من القصر والتوسط والمد.

أما العارض للسكون إذا كان حرف لين مثل: بَيْتْ، خَوْف فإن الروم يكون على عدم المد مطلقا لأن الروم مثل حالة الوصل وقد علمت أنه فى حالة الوصل لا يُمَدّ أصلا وعلى ذلك فهذا النوع لا يمد مطلقا وإن كان مهموزا كما فى أمثلة المجموعة (٢) فإما أن يكون منصوبا أو مجرورا أن مرفوعا فإن كان منصوبا مثل "السماء" ففيه ثلاثة أوجه وهى مَدُّهُ أربعا أو خمسا أو ستا بالسكون المحض.

وإن كان مجرورا مثل "من الماء" ففيه ستة أوجه وهى الثلاثة التى فى المنصوب ومثلها مع الروم.

وإذا كان مرفوعا مثل "يشاء" ففيه تسعة أوجه وهى الثلاثة التى فى المنصوب ومثلها على كل من الروم والإشمام (٣).

---

(١) الرَّوْم: هو الإتيان ببعض الحركة يسمعها القريب دون البعيد ويكون فى المجرور والمرفوع.

(٢) الإشمام: هو الإشارة بالشفتين إلى جهة الضم بعد تسكين الحرف بحيث يدركه المبصر ويكون فى المرفوع فقط. الإتقان فى علوم القرآن ١/ ١١٧.

(٣) مرشد المريد ١٥، ١٦، والنشر ١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٨، والإتقان ١/ ١٢٧.

رابعا: الفتح والإمالة

من ظواهر التناسب الصوتى والأداء القرآنى من أجل الخفة على اللسان والسهولة فى النطق: الفتح والإمالة.

ولا يمكننا الحديث عن الإمالة دون معرفة معنى الفتح وأقسامه.

١ ـ **معناهما: الفتح**: هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر ويقال له أيضا: التفخيم وربما قيل له: النصب، وينقسم إلى فتح شديد ومتوسط، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز فى القرآن بل هو معدوم فى لغة العرب. والمتوسط: هو ما بين: الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهو الذى يستعمله أصحاب الفتح من القراء، وقد يقال له: الترقيق.

والإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض ويقال له: الاضطجاع والبطح وربما قيل له الكسر، و(قليلا) وهو بين اللفظين ويقال له أيضا: التقليل والتلطيف وبين بين.

وهى قسمان: شديدة ومتوسطة، وكلاهما جائز فى القراءة جار فى لغة العرب ، فالشديدة حقها أن تُقَرِّبَ الفتحة من الكسرة والألف الساكنة من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ، والمتوسطة: حقها أن يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة.

ويمتنع فى الإمالة المحضة: القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه(١).

---

(١) انظر النشر ٢/ ٢٩، ٣٠، والإتحاف/ ٧٤ .

والفتح والإمالة لهجتان مشهورتان مستعملتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.

فالفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس.

٢- أيهما الأصل: الفتح أو الإمالة؟

اختلف العلماء في ذلك اختلافا بينا، وأكثرهم على أن الفتح هو الأصل، والإمالة فرع داخل عليه وذلك لأسباب منها:

١ - أن كل حرف يمال فجائز أن يفتح ابتداء ولا يجوز أن يمال إلا عند وجود سبب يدعو إلى إمالته كالياء والكسرة ونحوهما.

٢ - أن الإمالة تجعل الحرف بين حرفين وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين، إنما الأصل أن يخرج كل حرف من موضعه خالصا غير مختلط بغيره.

٣ - أن الصحابة - رضوان الله عليهم - رسموا في المصاحف كلها ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ و﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ و﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ و﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ بالواو وأجاب عن ذلك النحويون بأن قالوا رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم فتوهموا الشدة المفخمة، أنها واو ورسموها على ذلك ودل هذا كله على أن الأصل هو الفتح.

أما ابن جنى فيعلل كتابه (الصلاة) ونحوها بأن الألف مالت نحو الواو، وبذلك يضيف أنواعا أخرى للإمالة غير إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، حيث يقول "وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سُلاَم عليكم، وعلى هذا كتبوا: الصلاة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو كما كتبوا: إحْديٰهما وسِوِّيٰهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة .... وأما الفتحة الممالة نحو الضمة فالتى تكون قبل ألف التفخيم وذلك نحو: الصلاة ... وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو قِيل وبِيُع وغِيُض وسِيق .... وأما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة: مررت بمَذْعُورٍ، وهذا ابن بُور نحوت بضمة العين والياء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلة، فكذلك الواو أيضا بعدها هى مشوبة بروائح الياء"(١).

وذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر وكذلك التفخيم والترقيق وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب قالوا: ووجود السبب لا يقتضى الفرعية ولا الأصالة(٢).

أقول: ويمكن التوفيق بين الرأيين بأن الفتح هو الأصل باعتبار التغليب أى أن الفتح أكثر فى الاستعمال وأهله أكثر فصاحة، وعلى

---

(١) سر الصناعة ١/ ٥٠ ـــ ٥٣ .
(٢) النشر ٢/ ٣٢، والحجة لابن خالويه/ ٦٦ .

القول بأنهما أصلان أى أن الفتح أصل عند أهله والإمالة أصل عند أهلها لا يتكلمون بغيره.

٣- الإمالة من الأحرف السبعة:

عن حذيفة ابن اليمان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "اقرءوا القرآن بألحان العرب" وقال على بن معبد ونعيم "بِلُحُون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين" قال أبو عمرو الدانى: "فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها لأن لحونها وأصواتها مذاهبها وطباعها فقد ثبت بها الخبر وصحت بها القراءة عن رسول الله ﷺ كما ثبت الخبر بالفتح، وصحت القراءة به عنه ﷺ (١).

٤- أسباب الإمالة:

قال العلماء هى عشرة أو أكثر، ترجع إلى شيئين: الكسرة والياء:

١ - كسرة متقدمة ولابد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل وأقله حرف واحد مفتوح نحو كتاب وحساب، أما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة نحو إماما.

٢ - ياء متقدمة نحو: الحياة، شيبان.

٣ - كسرة متأخرة نحو: عابد، من الناس، فى النار.

٤ - ياء متأخرة نحو مبايع.

٥ - كسرة مقدرة فى المحل الممال نحو: خاف أصله: (خَوِف).

---

(١) انظر الإتقان ١/ ١٢٠.

٦ - ياء مقدرة فى المحل الممال نحو: يخشى، أتى٠

٧ - كسرة تعرض فى بعض أحوال الكلمة (طلب ـ جاء ـ زاد) لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث٠

٨ - إمالة لأجل الإمالة نحو (رأيت عمادا) فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة٠

٩ - إمالة لأجل الشبه نحو (الحسنى) قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف (الهدى)٠

١٠ - إمالة لأجل كثرة الاستعمال مثل: الحجاج، والناس، وحروف الهجاء فى فواتح السور٠

١١ - رسم المصحف: حيث وجدوا فى المصحف الياءات فى مواضع الألفات فأتبعوا الخط وأمالوا ليقربوا من الياءات٠

وهذه الأسباب السابقة تشتمل على نوعى التأثر بين الأصوات فى الكلمة: الرجعى والتقدمى، فالإمالة للكسرة والياء المتقدمتين تأثر تقدمى، إذ يتأثر الصوت الثانى بالأول والإمالة للكسرة والياء المتأخرين تأثر رجعى، إذ يتأثر الأول بالثانى(١)٠

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٣٦، ١٣٧، والنشر ٢/ ٣٢ ـ ٣٥، والإتقان ١/ ١٢٠ ٠

٥ - الإمالة فى اللهجات العربية:

تكاد تجمع كتب النحو والتفسير والقراءات وسائر كتب التراث على أن الفتح لغة بعض أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وبعض روايات تنسب الإمالة أيضا لأكثر اليمن وسعد بن بكر.

ويروى حديث عن صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ (يا يحيى) فقيل له: يا رسول الله: تميل وليس هي لغة قريش، فقال: هى لغة الأخوال بنى سعد"[1].

وقد قيل إن هذا الحديث موضوع[2] وعلى الرغم من ذلك فإن سعد بن بكر تميل.

كما نسبت الإمالة إلى هوازن وبكر بن وائل وقضاعة وبعض الحجازيين، والإمالة أيضا لم تكن مقصورة على تلك القبائل التى أشار إليها الأقدمون فى كتبهم وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعا مما ذكروه فقد كانت تنتظم معظم القبائل العربية وإن تفاوتت قلة وكثرة[3].

وإذا أردنا تحديد مواطن القبائل المميلة يمكننا أن نقول إن الإمالة تنسب إلى القبائل البادية فى وسط الجزيرة وشرقيها والفتح إلى غربيها، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية يميلون فى كلامهم

---

(١) الإتقان ١/ ١٢٠.
(٢) انظر الإمالة فى القراءات واللهجات، د/ عبدالفتاح شلبى ١١٣، ١١٤.
(٣) نفسه / ١١٧ وما بعدها.

إلى الاقتصاد فى المجهود العضلى، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات.

ولنأخذ مثالا من الواقع اللغوي ـ على ضوء ما سبق ـ ليوضح لنا اللهجات فى حركة فاء الثلاثي الأجوف الماضى إذا بنى للمجهول مثل: قال وباع ، وهى كالآتى:

١ - الكسر: قيل وبيع فى لغة قريش ومن جاورهم من بنى كنانة.

٢ - الضم قول وبوع، وهى لهجة هذيل.

٣ - إمالة الكسر نحو الضم، فتميل الياء الساكنة نحو الواو وهي لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بنى أسد وهى قراءة هشام والكسائى ورويس، "قيل وغيض"[(١)].

فإخلاص الكسر عند قريش ومن جاورهم من بنى كنانة يناسب ما يذهبون إليه من الفتح ويمكن نسبة هذه اللهجة إلى بيئة الحجاز، وإن اختلفت هذيل مع بيئتها فى هذه اللهجة، والقبائل التى تذهب إلى إمالة الكسرة نحو الضمة هى نفسها القبائل التى اشتهرت بالإمالة وهى قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها وإن ذكرت هنا قبيلة ـ عقيل ـ دون أن تذكر فى القبائل المميلة فهى من قبائل المنطقة الشرقية[(٢)].

---

(١) انظر الإتحاف/ ٢٥٦، وحاشية الصبان ٢/ ٦٢، ٦٣ .

(٢) انظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٤١، ١٤٢ .

٦ - الإمالة فى القراءات:

ـ مما سبق ـ يمكننا أن ننسب الفتح لقراء البيئة الحجازية مثل ابن كثير المكى، ونافع وأبى جعفر المدنيين، وأن ننسب الإمالة لقراء الكوفة حيث تأثروا بتلك القبائل التى أقامت بالعراق أو تعودت النزوح إليه، وهى قبائل قريبة مساكنها من العراق، وعرفت لهجاتها بالإمالة التى كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وشاعت بعد الإسلام فى اللهجات العربية ببلاد العراق، ويؤيد ذلك أن الكسائى سئل مرة "إنك تميل ما قبل هاء التأنيث" فقال: هذا طباع العربية وقد عقب على قول الكسائى أبوعمرو الدانى فى كتابه "التيسير" فقال: "إن الكسائى أراد بذلك أن الإمالة لغة أهل الكوفة وهى باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب" أى أن الإمالة ظلت شائعة بين أهل الكوفة حتى عهد أبى عمرو الدانى فى أوائل القرن الخامس الهجرى(١).

٧- والإمالة عند القراء نذكر أهم مواضعها فيما يأتى:

١ - أمال حمزة والكسائى وخلف كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت فى القرآن سواء كانت فى اسم أو فعل نحو (الهدى ـ مأواه ـ مثواه ـ الأزكى ـ الأعلى ـ موسى ـ عيسى)، و(أتى، سعى، يرضى، اجتبى، استعلى) ووافقهم أبوعمرو من جميع ما تقدم على ما كان فيه راء بعدها ألف ممالة بأى وزن كان نحو: (ذكرى، بشرى، النصارى، اشترى، وارى).

---

(١) فى اللهجات العربية ٦٠ ـ ٦٣ .

٢ – أمال أبوعمرو والكسائى فى رواية كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة سواء كانت الألف أصلية أم زائدة نحو (الدار، النار، القهار، الغفار، الكفار)٠

٣ – أمال حمزة الألف التى هى عين من الفعل الثلاثى الماضى نحو: (زاد، شاء ، ران، خاف) ووافقه الكسائى فى (ران)٠

٤ – إمالة أحرف الهجاء فى أوائل السور، أمال الراء من (ألر) أبوعمرو وحمزة والكسائى، والياء من (يس) ابن عامر وحمزة والكسائى، والهاء من (كهيعص) أبوعمرو والكسائى والهاء من (طه) أبوعمرو وحمزة ٠

٥ – اختلفوا فى الإمالة والفتح من قوله (جُرُفٍ هارٍ) فقرأ ابن كثير وعاصم فى ــ رواية ــ وحمزة بفتح الهاء، وأمالها نافع وأبوعمرو وعاصم فى رواية، والكسائى٠

٦ – اختلفوا فى فتح الراء وإمالتها من قوله (ولا أدراكم به) فقرأ ابن كثير وعاصم ــ فى رواية ــ ونافع بالفتح وقرأ أبوعمرو وعاصم ــ فى رواية ــ وحمزة والكسائى بالإمالة ٠

٧ – واختلفوا فى قوله (الهدى) وما أشبه من نحو (العمى والهوى واستوى وأعطى) فالكسائى يميل ذلك كله، وأبوعمرو فى رءوس الآى وعاصم يفتح إلا (رأى ورمى ورآه)، فيميل، وحمزة يميل ذوات الياء وابن كثير وابن عامر يفتحان٠

٨ - اختلفوا فى قراءة (قيل وغيض وحيل وسيئت وسىء وجيىء وسيق) فقرأ الكسائى بإمالة الكسرة نحو الضمة ووافقه نافع فى (سىء، وسيئت) وقرأ الباقون بإخلاص الكسر، وقرأ عيسى (سوء) بإخلاص الضم[١].

٩ - ونستنتج من ذلك:

أ - أن القراء الذين اشتهروا بالإمالة وأكثروا منها: حمزة، والكسائى، وأبوعمرو، وخلف العاشر.

ب - أن القراء الذين رويت عنهم الإمالة بقلة: نافع وعاصم.

ج - أن القراء الذين اشتهروا بالفتح:ابن كثير ونافع وأبىجعفر.

د - وأن الفتح كان شائعا فى البيئة الحجازية والإمالة عند أهل الكوفة والبصرة أى فى البيئة العراقية.

هـ - حروف الإمالة ثلاثة: الألف والراء والهاء وإنما سميت حروف الإمالة لأن الإمالة فى كلام العرب لا تكون إلا فيها، لكن الألف والهاء لا تتمكن إمالتهما إلا بإمالة الحرف الذى قبلهما والهاء لا تمال إلا فى الوقف والراء والألف يمالان فى الوقف والوصل[٢].

---

(١) انظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٣٧ _ ١٣٩، والإتحاف ٢٧٦، والنشر ٢/ ٣٥ _ ٥٣ .

(٢) الرعاية / ٤٤ .

خامسا : الوقف

معناه وأهميته:

الوقف لغة: الحبس واصطلاحا: قطع الصوت عن القراءة زمنا يسيرا يتنفس فيه القارئ عادة مع نية استئناف القراءة.

ومعرفة أحكام الوقف والابتداء من الأمور المهمة التى ينبغى للقارئ أن يحيط بها علما حتى يتدبر معانى القرآن ويتفهم أحكامه والأصل فيه .

دليله:

ما أخرجه النحاس قال حدثنا محمد بن جعفر الأنبارى قال سمعت عبدالله بن عمر يقول "لقد عشنا بُرْهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ـ ﷺ ـ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى أن يوقف عنده كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغى أن يوقف عنده منه . قال النحاس: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن"(١).

أقسامه (مواضعه المتعلقة بالمعنى):

تنقسم أحكام الوقف إلى أربعة أقسام:

١ـ **التام**: هو ما تم معناه ولم يتعلق بما بعده لا لفظا ولا معنى مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٢).

---

(١) الإتقان ١/ ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٢) البقرة من الآية / ٥ .

وأكثر ما يكون ذلك فى نهاية القصص وخواتيم السور .

وحكمه: حسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

٢ـ **الكافي:** هو ما تم من جهة اللفظ وتعلق بما بعده من جهة المعنى مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١).

وحكمه كسابقه.

٣ـ **الحسن:** هو ما تم فى ذاته وتعلق بما بعده لفظا ومعنى مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾(٢).

وحكمه: جواز الوقف عليه ثم يحسن وصله بما بعده إلا إذا كان رأس آية فإن يسن الوقف عليها.

٤ـ **القبيح:** هو ما لم يتم معناه لتعلقه بما بعده لفظا ومعنى مثل الوقف على "إله" من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾(٣).

وحكمه قبح الوقف عليه إلا لضرورة فإذا وقف عليه لضرورة كانقطاع نفس يجب وصله(٤).

وسننقل ـ فيما يلى ـ نصا من كتاب "النشر فى القراءات العشر"(٥) عن "الوقف" ليتذوق ـ القارئ ـ أسلوب كتب التراث فى هذا الفن فنقول:

---

(١) البقرة من الآية / ٦ .
(٢) الفاتحة من الآية / ٢ .
(٣) المائدة من الآية / ٧٣ .
(٤) انظر الإتقان ١/ ١١٠ـ ١١٥، ومرشد المريد/ ١٦، ودراسات فى التجويد ١٣٠
(٥) ج٢ / ١٢٠ ، ١٢١ .

"باب الوقف على أواخر الكلم :

تقدم أول الكتاب[١] حد الوقف وأن له حالتين: الأولى ما يوقف عليه وتقدمت[٢] ثم الثانية ما يوقف به وهو المقصود هنا، فاعلم أن للوقف فى كلام العرب أوجها[٣] متعددة والمستعمل منها عند أئمة القراء تسعة (وهى) : السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق.

توضيح أوجه أو هيئات الوقف:

(فالإلحاق) لما يلحق آخر الكلم من هاآت السكت[٤].

(والإثبات) لما يثبت من اليآت المحذوفات وصلا وسنذكر هذين النوعين فى الباب الآتى بعد[٥].

(والحذف) لما يحذف من اليآت الثوابت وصلا كما سيأتى فى باب الزوائد[٦].

(والإدغام) لما يدغم من اليآت والواوات فى الهمز بعد إبداله كما تقدم فى باب وقف حمزة[٧].

---

(١) ج١ / ٢٢٤ .
(٢) ج١ / ٢٢٤ وما بعدها .
(٣) أو هيئات.
(٤) السكت هو: قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس ـ النشر ١/ ٢٤٠ .
(٥) جـ٢ / ١٦١ وما بعدها .
(٦) جـ٢ / ١٧٩ وما بعدها .
(٧) جـ١/ ٤٣٠ وما بعدها .

(والنقل) لما تقدم في الباب المذكور من نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وقفا[١].

(والبدل) يكون فى ثلاثة أنواع: أحدها الاسم المنصوب المنون بوقف عليه بالألف بدلا من التنوين[٢]، الثانى الاسم المؤنث بالتاء فى الوصل يوقف عليه بالهاء بدلا من التاء إذا كان الاسم مفردا[٣] ، وقد تقدم فى باب هاء التأنيث فى الوقف ، الثالث إبدال حرف المد من الهمزة المتطرفة بعد الحركة وبعد الألف كما تقدم فى باب وقف حمزة أيضا، وهذا الباب لم يقصد فيه شيء من هذه الأوجه الستة وإنما قصد فيه بيان ما يجوز الوقف عليه بالسكون وبالروم[٤] وبالإشمام[٥] خاصة.

(فأما السكون) فهو الأصل فى الوقف على الكلم المتحركة وصلا لأن معنى الوقف الترك والقطع من قولهم وقفت عن كلام فلان أى تركته وقطعته ولأن الوقف أيضا ضد الابتداء فكما يختص الابتداء بالحركة كذلك يختص الوقف بالسكون فهو عبارة عن تفريغ الحرف

---

(١) جـ١/ ٤٣٢ .

(٢) مثل رأيت زيدا بالألف فى حالة الوقف.

(٣) مثل الوقف على قوله تعالى: ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ بالهاء بدلا من التاء.

(٤) الروم هو الإتيان ببعض الحركة وقفا ويسمعها القريب المصغى ويكون فى المرفوع وفى الوقف فقط بخلاف الاختلاس فيكون فى كل الحركات ولا يختص بالوقف.

(٥) الإشمام : هو الإشارة بالشفتين إلى الضمة بلا صوت بعد الإسكان ويكون فى المرفوع والمضموم فقط نحو﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ انظر الإتحاف/١٠١ .

من الحركات الثلاث وذلك لغة أكثر العرب وهو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء ... الخ".

سادسا: وإتماما للفائدة ينبغي على قارئ القرآن الكريم أن يلتزم بعلامات الوقف الموجودة فيه إلى جانب معرفته بما سبق حتى تكون قراءته صحيحة والعلامات الموجودة فى المصحف نقتصر على أهمها ـ هنا ـ وهى:

م : علامة الوقف اللازم .

قلى : علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى .

صلى : علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى .

ج : علامة الوقف الجائز جوازا مستوى الطرفين.

∴ ∴ : علامة الوقف المتعانق بمعنى إذا وقفت على أحدهما فلا تقف على الثانى.

لا : علامة على ما لا يجوز الوقف عليه .

o : وضع هذا الصفر المستدير على حرف العلة يدل على زيادة ذلك الحرف فلا ينطق به فى الوصل ولا فى الوقف ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾.

O: وضع هذا الصفر المستطيل القائم فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلا لا وقفا نحو: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ﴾.

الفصل السابع

نصوص من التراث الصوتى
والأدائى فى العربية

الفصل السابع

نصوص من التراث الصوتي والأدائي في العربية

أولا : يقول سيبويه[1]:

"هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها. فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف، والضاد، والجيم والشين والياء، واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء، والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء، والفاء والباء والميم والواو .

وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هُنَّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهى كثيرة يؤخذ بها وتُستحسن فى قراءة القرآن والأشعار وهى:

النون الخفيفة والهمزة التى بين بين، والألف التى تمال إمالة شديدة، والشين التى كالجيم والصاد التى تكون كالزاى وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز فى قولهم: الصلاة والزكاة والحياة .

وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن فى قراءة القرآن ولا فى الشعر وهى: الكاف التى بين الجيم والكاف والجيم التى كالكاف والجيم

---

(١) فى الكتاب جـ٤ صـ٤٣١ وما بعدها .

التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء .

وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون ، لا تَتَبَيَّنُ إلا بالمشافهة إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه، وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين، وهي أخف لأنها من حافة اللسان، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل حين تخالط حروف اللسان فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت كذلك في الأيمن .

ولحروف العربية سِتةَ عَشَرَ مخرَجًا .

فللحلق منها ثلاثة . فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء .

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف .

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف .

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخــرج الجــيم والشين والياء ٠

ومن بين أول حافة اللسان وما يليها مــن الأضــراس مخــرج الضاد ٠

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان مــا بينهــا وبين ما يليها من الحنك الأعلى؟ وما فويق الثنايا مخرج النون ٠

ومن مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ٠

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاى والســين والصــاد ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء ٠

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ٠

ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو ٠

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة ٠

فأما (المجهورة) فالهمزة، والألف، والعين، والغــين، والقــاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والــراء، والطــاء، والــدال والزاى والظاء والذال والباء والميم والواو فــذلك[1] تســعة عشــرة أحرف ٠

---

(١) أ ، ب : فهذه ٠

وأما (المهموسة) فالهاء والخاء والكاف والشين والسين والثاء والصاد والتاء والفاء فذلك[١] عشرة أحرف .

فالمجهورة: حرف أُشْبِعَ الاعتماد في وضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد (عليه) ويجرى الصوت، فهذه حال المجهورة فى الحلق والفم، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما فى الفم والخياشيم فتصير فيها غنة والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بالفم ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما .

وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه .

وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ولو أردت ذلك فى المجهورة لم تقدر عليه، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إذا شئت بحروف اللينة والمد، أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت .

---

(١) أ ، ب: فكذلك المجهورة هذه كالهاء" .

ومن الحروف (الشديد) وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء.

وذلك أنك لو قلت ألحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك.

ومنها (الرخوة) وهى: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاى والطاء والسين والتاء والذال والفاء وذلك إذا قلت الطس وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت.

وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء.

ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت، كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام، وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة، لأن الحرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك.

ومنها حرف شديد: يجرى معه الصوت [لأن ذلك الصوت غنة] من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم.

ومنها المكرر: وهو حرف شديد يجرى(١) فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء.

---

(١) أ، ب "جرى".

ومنها (اللينة) وهى الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك وَأيْ، والواو[١] وإن شئت أجريت الصوت ومددت.

ومنها (الهاوى) وهو حرف[٢] اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك فى الواو وترفع فى الياء لسانك قِبَل الحنك، وهى الألف.

وهذه الثلاثة أخص الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجا: الألف، ثم الياء ثم الواو.

ومنها المطبقة والمنفتحة فأما المطبقة، فالصاد والضاد والطاء والظاء.

والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشىء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك فى مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن[٣] إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان والحنك إلى موضع الحروف.

وأما الدال والزاى ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك فى مواضعهن.

---

(١) أ، ب : "وووو".
(٢) أ، ط: "وهو حرف لين".
(٣) أ : "فى مواضعهن".

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت.

ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها.

وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك".

ثانيا : يقول ابن جنى[١]:

باب في مطل الحركات

"وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها. فتنشيء بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو، فالألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما أنشدناه[٢] أبو على لابن هَرْمة يرثى ابنه من قوله:

فأنت من الغوائل حين تَرْمى .·. ومن ذم الرجال بمنتزاح[٣]

أراد: بمنتزح: مفتعل من النازح . وأنشدناه أيضا لعنترة:

ينباع من ذِفْرى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ[٤]

وقال: أراد ينبع فأشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفا وقال الأصمعى: يقال انباع الشجاع[٥]، ينباع انبياعاً إذا انخرط[٦] بين الصفين ماضيا، وأنشد فيه:

---

(١) فى الخصائص ٣/ ١٢١ ــ ١٣١ .

(٢) كذا فى ش ــ وفى د، هـ، ز : "أنشدنا" وفى ط: "أنشده" .

(٣) انظر صـ٣١٦ من الجزء الثانى وقوله "يرثى ابنه" أورده فى الحماسة البصرية فى قطعة فى مدح عبدالواحد وهو أحد القرشيين كان قاضيا لجعفر بن سليمان وأولها:

أعبد الواحد المحمود إنى .·. أعض حذار سخطك بالفراح

وانظر الحماسة البصرية الورقة ٨١، وشواهد الشافية ٢٥ .

(٤) صدره : **زيافة مثل الفنيق المقرم**

وقوله: ينباع أى العرق، والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن ، وغضوب حسى إلى آخر الأوصاف من وصفه ناقته، يذكر أن عرق ناقته يسيل من جهدها فى السير ، والبيت فى المعلقة.

(٥) هو الحية الذكر .

(٦) فى ط: "من بين".

يطـرق حلمـا وأنـاة معـا .:. ثمت ينباع انبيـاع الشجاع[١]

فهذا[٢]: انفعل ينفعل انفعالا، والألف فيه عين، وينبغي أن تكـون عينه واوا، لأنها أقرب معني من الياء هنا. نعم[٣]، وقد يمكن عندى أن تكون هذه لغة تولدت، وذلك أنه لما سمع (ينباع) أشـبه فـى اللفـظ ينفعل[٤]، فجاءوا فيه بماض ومصدر، كما ذهب أبوبكر فيمـا حكـاه أبوزيد من قولهم: يضفن إذا جاء ضيفا مع الضيف، وذلك أنـه لمـا سمعهم يقولون: ضيفن، وكانت فيعل أكثر فى الكلام من فعلن، توهمه فيعلا فاشتق الفعل منه، بعد أن سبق إلى وهمه هذا فيه، فقال: ضـفن يضفن فلو سئلت عن مثال ضفن يضفن على هذا القول لقلت إذا مثلته على لفظه. فلن يقلن، لأن العين قد حذفت .

ولهذا موضع نذكره فيه مع بقية أغلاط العرب .

ومن مطل الفتحة عندنا قول الهذلى[٥]:

بَيْنا تُعَنُّقِـهِ الكُمَـاةَ وروغـه .:. يوما أتيح له جرئ سَـلْفَعُ[٦]

---

(١) البيت من مقطوعة مفضلية للسفاح بن كثير اليربوعى، رثى بها يحيى بـن ميسرة صاحب مصعب بن الزبيـر، وانظـر الخزانـة ٢/ ٥٣٦، وشـرح المفضليات لابن الأنبارى ٦٣١ .

(٢) كذا فى ش : ط ، وفى د، هـ ، ذ "وهذا" .

(٣) سقط الكلام من هنا إلى "ومن مطل الفتحة" وفى ش .

(٤) كذا في ط ، وفى د ، هـ ، ز "سنفعل" وهو تخريف .

(٥) هو أبو ذؤيب فى مرثيته العينية المشهورة . والقصيدة فى آخر المفضليات .

(٦) تعنقه الكماة: دنوه منهم فى الحرب والتزامه لهم، كما يتعلـق الـرجلات ، وروغه أن يحيد عن ضرباتهم. والسلفع الجسور السليط. يذكر شجاعا يـدل بقوته وعلمه بفن الحرب، فهو يعتنق قرنه حينا، ويروغ من ضربه حيث آخر،

أى بين أوقات تعنفه، ثم أشبع الفتحة فأنشأ عنها ألف .

وحدثنا أبو على أن أحمد بن يحيى حكى: خذه من حيث وليسا، وقال: هو إشباع ليس . وذهب إلى مثل ذلك في قولهم[١] آمين، وقال: هو إشباع (فتحة[٢] الهمزة من آمين).

فأما قول أبي العباس: إن آمين بمنزلة عاصين، فإنما[٣] يريد به أن الميم خفيفة كعين عاصين. وكيف يجوز أن يريد به حقيقة الجمع، وقد حكى عن الحسن رحمه الله أنه كان يقول: آمين: اسم من أسماء الله عزوجل، فأين بك في اعتقاد معنى الجمع من هذا التفسير، تعالى الله علوا كبيرا.

وحكى الفراء عنهم: أكلت لحما شاه، أراد: لحم شاه، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفا.

ومن إشباع الكسرة ومطلها[٤] ما جاء عنهم من الصياريف، والمطافيل، والجلاعيد. فأما ياء مطاليق ومطيليق فعوض من النون المحذوفة وليست مطلا.

وبينما هو فى المعمعة ومنازلة أقرانه جاءه من لا يأبه له فصرعه، وذلك جرئ سليط ما كان ليحسب له حسابا . وقد ساق هذا مثلا لأن الدهر لا ينجو عليه أحد.

(١) كذا فى د ، هـ ، ز ، ط . وفى ش : "قوله" .

(٢) كذا فى ط . وفى د ، هـ ، ز : فتحة الميم ، وفى ش : كسرة الميم .

(٣) كذا فى ش ، ط . وفى د ، هـ ، ز فإنه إنما.

(٤) كذا فى ش ، ط . وفى د ، هـ ، ز : مطالها.

قال أبو النجم:

منها المطافيل وغير المطفل[١]

وأجود من ذلك قول الهذلى[٢]:

جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

وكذلك قول الآخر:

.... الخضر الجلاعيد

وإنما هى الجلاعد جمع جلعد، وهو الشديد ٠

ومن مطل الضمة قوله ــ فيما أنشدناه وغيره[٣]:

وأننى حيث مايشرى الهوى بصرى ∴ من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور[٤]

([٥] يشرى: يحرك ويقلق. ورواه لنا يسرى)٠

---

(١) هو الشطر التاسع من أرجوزته الطويلة. وقد صدرها بوصف الإبل . وقبله:

حتى تراعت فى النعاج الخذل

والنعاج الخذل : بقر الوحش، يريد أن الإبل رعت مع البقر، والمطفل: التى معها طفل وهى حديثة عهد بالولادة، يكون فى النوق والبقر والنعم، فقوله: منها المطافيل ... يحتمل عوده الإبل، وعوده النعاج، وهو الأقرب٠

(٢) أى أبى ذؤيب . وصدره:

وإن حديثا منك لو تبذلينه

والعوذ: جمع العائذ، وهى حديثة العهد بالنتاج من النوق، ويريد بجنى النحل عمله٠

(٣) سقط حرف العطف فى ش ٠

(٤) انظر ص٣١٦ من الجزء الثانى٠

(٥) ثبت ما بين القوسين فى ط، وسقط فى ش ، د ، هـ ، ز ، وفى ط: (ورواه لنا يشرى) ويبدو أن (يشرى) فيه محرف عما أثبت ٠

وقول[١] الآخر:

ممكورة جم العظـام عُطْبُـول .:. كأن فـى أنيابهـا القَرَنْفُـول[٢]

فهذه هى الطريق. فما[٣] جاء منها قسه[٤] عليه.

باب فى مطل الحروف

والحروف الممطولة هى الحروف الثلاثة اللينـة[٥] المصـوتة. وهى الألف والياء والواو.

اعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت أبعد[٦] أن تكـون سواكن يتبعن بعضهن غير مدغمات، ففيها امتداد ولين، نحـو قـام، وسيريه[٧]، وحوب[٨]، وكوز، وكتـاب، وسـعيد، وعجـوز. إلا أن الأماكن التى يطول فيها[٩] صوتها، وتتمكن[١٠] مدتها، ثلاثة، وهى أن

(١) كذا فى ش، ط، وفى د، هـ، ز: "قال".
(٢) ورد البيت فى اللسان (قرنفل)، والممكوره المطوية الخلق الحسن، (وجم العظام) يقرأ بضم الجيم جمع أجم. وقد جمع نظرا إلـى المضـاف إليـه، والفصيح غير هذا. وقد يكون الأصل: جماء العظام فقصر الممدود، وحذفت الألف فى الرسم، ويقال عظم أجم: وافر اللحم.
(٣) كذا فى ش. وفى د، هـ، ز، ط "فيما".
(٤) كذا فى ش، وفى ط، د، هـ "فقسه"، وفى ز " فسقه".
(٥) سقط فى ش.
(٦) سقط ما بين القوسين فى ش، ط، وثبت فى د، هـ، ز.
(٧) سقط فى د، هـ، ز.
(٨) فى ز (حوب)، والحوب ـ بالضم ـ الهلاك.
(٩) كذا فى ش، ط. وفى د، هـ، ز "بها".
(١٠) كذا فى ش، ط. وفى د، هـ، ز "يتمكن".

تقع بعدها[١] وهى سواكن توابع لما (هو منهن) [٢] وهو الحركات من جنسهن الهمزة، أو الحرف المشدد، أو أن يوقف عليها عند التذكر .

فالهمزة نحو كساء، ورداء، و(خطيئة[٣]، ورزيئة)، ومقروءة، ومخبوءة .

وإنما تمكن المد فيهن[٤] مع الهمز أن الهمزة[٥] حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا[٦] أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن، وشعن فى الصوت، فوفين له، وزدن (فى بيانه) [٧] و(مكانه) [٨] وليس كذلك إذا وقع بعدها غيرها وغير المشدد، ألا تراك إذا قلت: كتاب، وحساب وسعيد وعمود[٩]، وضروب، وركوب لم تجدهن كدنات، ولا ناعمات ولا وافيات مستطيلات[١٠] كما تجدهن كذلك إذا تلاهن الهمز[١١] أو الحرف المشدد .

---

(١) كذا فى ش ، ط . وسقط فى د ، هـ ، ز .
(٢) كذا فى ذ ، هـ ، ز ، ط . وفى ش "هن منه".
(٣) كذا فى ش ، ط . وفى د ، هـ ، ز "خطيئات ورزيئات".
(٤) كذا فى ش ، ط . وفى د ، هـ ، ز "فيه" .
(٥) كذا فى ش . وفى د ، هـ ، ز "لان".
(٦) كذا فى ش ، ط ، وفى د، هـ ، ز "وإذا".
(٧) كذا فى ش ، وفى د ، هـ : "لبيانه" وفى ز ، ط "لينابه" كأنه محرف عن "لينابه".
(٨) كذا فى ش ، وفى ز "لمكانه" وسقط فى ط .
(٩) كذا فى ش ، وفى د، هـ ، ز ، ط "عميد" .
(١٠) كذا فى ش ، ط ، وفى د، هـ، ز "ومستطيلات".
(١١) كذا فى ش ، ط ، وفى د ، هـ ، ز "الهمزة".

ثالثا : يقول ابن الجزرى [(١)] :

باب أحكام النون الساكنة والتنوين[(٢)]

وهى أربعة: إظهار وإدغام وقلب وإخفاء٠

والنون الساكنة تكون فى آخر الكلمة وفى وسطها كسائر الحروف السواكن وتكون فى الاسم والفعل والحرف، وأما التنوين فلا يكون إلا فى آخر الاسم بشرط أن يكون منصرفا موصولا لفظا غير مضاف عريا عن الألف واللام وثبوته مع هذه الشروط إنما يكون فى اللفظ لا فى الخط إلا فى قوله تعالى (وكأين) حيث وقع فإنهم كتبوه بالنون٠

(أما الإظهار) فإنه يكون عند ستة أحرف وهى حروف الحلق منها أربعة بلا خلاف وهى الهمزة والهاء والعين والحاء نحو (ينأون، من آمن، كل آمن، أنهار، من هاد، جرف هار، أنعمت، من عمل، عذاب عظيم، وانحر، من حكيم حميد) والحرفان الآخران اختلف فيهما وهما: الغين والخاء. نحو (فسينغضون، من غل، إله غيره، والمنخنقة، من خير، قوم خصمون) فقرأ أبوجعفر بالإخفاء عندهما وقرأ الباقون بالإظهار واستثنى بعض أهل الأداء عن أبى جعفر (فسينغضون، إن يكن غنيا، والمنخنقة) فأظهروا النون عنه فى هذه الثلاثة وروى الإخفاء فيها أبو العز فى إرشاده من طريق الحنبلى عن هبة الله

---

(١) محمد بن محمد الدمشقى الحافظ أبوالخير الشهير بابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣هـ ٠

(٢) النشر فى القراءات العشر جـ٢/ ٢٢ ـ ٢٩ ٠

فهذا[١]: انفعل ينفعل انفعالا، والألف فيه عين، وينبغى أن تكون عينه واوا، لأنها أقرب معنى من الياء هنا. نعم[٢]، وقد يمكن عندى أن تكون هذه لغة تولدت، وذلك أنه لما سمع (ينباع) أشبه فى اللفظ ينفعل[٣]، فجاءوا فيه بماض ومصدر، كما ذهب أبوبكر فيما حكاه أبوزيد من قولهم: يضفن إذا جاء ضيفا مع الضيف، وذلك أنه لما سمعهم يقولون: ضيفن، وكانت فيعل أكثر فى الكلام من فعلن، توهمه فيعلا فاشتق الفعل منه، بعد أن سبق إلى وهمه هذا فيه، فقال: ضفن يضفن فلو سئلت عن مثال ضفن يضفن على هذا القول لقلت إذا مثلته على لفظه. فلن يقلن، لأن العين قد حذفت.

ولهذا موضع نذكره فيه مع بقية أغلاط العرب.

ومن مطل الفتحة عندنا قول الهذلى[٤]:

بينا تعنقه الكماة وروغه ∴ يوما أتيح له جرى سلفع[٥]

---

(١) كذا فى ش : ط ، وفى د، هـ ، ذ "وهذا".
(٢) سقط الكلام من هنا إلى "ومن مطل الفتحة" وفى ش.
(٣) كذا فى ط ، وفى د ، هـ ، ز "سنفعل" وهو تخريف.
(٤) هو أبو ذؤيب فى مرثيته العينية المشهورة . والقصيدة فى آخر المفضليات.
(٥) تعنفه الكماة: دنوه منهم فى الحرب والتزامه لهم، كما يتعلق الرجلات ، وروغه أن يحيد عن ضرباتهم. والسلفع الجسور السليط. يذكر شجاعا يدل بقوته وعلمه بفن الحرب، فهو يعتنق قرنه حبنا، ويروغ من خربه حيث آخر، وبينما هو فى المعمعة ومنازلة أقرانه جاءه من لا يأبه له فصرعه، وذلك جرئ سليط ما كان ليحسب له حسابا . وقد ساق هذا مثلا لأن الدهر لا ينجو عليه أحد.

قال وقرأت على أبى على العطار عن حماد والنقاش بتبقية الغنة أيضا .

ورواه أبوالعز فى إرشاده عن النهروانى عن أبىجعفر وزاد فى الكفاية عن ابن حبس عن السوسى وعن أحمد بن صالح عن قالون وعن نظيف عن قنبل ورواه الحافظ أبوالعلاء فى غايته عن عيسى بن وردان وعن السوسى وعن المسيبى عن نافع وعن النهروانى عن اليزيدى وانفرد بتبقية الغنة عن الصورى عن ابن ذكوان فى الراء خاصة وأطلق بن مهران الوجهين عن غير أبى جعفر وحمزة والكسائى وخلف وقال إن الصحيح عن أبىعمرو إظهار الغنة ورواه صاحب المبهج عن المطوعى عن أبىبكر عند الراء وعن الشنبوذى عن أبىبكر فيهما بوجهين قال: وقرأت على شيخنا الشريف بالتبقية فيهما عندهما قال وخبر البزى بين الإظهار والإدغام فيهما عندهما قال: وبالوجهين قرأت. ورواه أبوالقاسم الهذلى فى الكامل من غير حمزة والكسائى وخلف وهشام وعن غير الفضل عن أبىجعفر وعن ورش غير الأزرق وذكره أبوالفضل الخزاعى فى المنتهى عن ابن حبش عن السوسى وعن ابن مجاهد عن قنبل وعن حفص من غير طريق زرعان وعن الحلوانى عن هشام وعن الصورى عن ابن ذكوان وذكره فى جامع البيان عن قنبل عن طريق ابن شنبوذ فى اللام خاصة وعن الزينبى عن أبى ربيعة عن البزى وقنبل فى اللام والراء وعن أبىعون عن الحلوانى عن قالون وعن الأصبهانى عن ورش

وعن الشمونى عن الأعشى عن أبىبكر عن إبراهيم ابن عباد عن هشام ورواه الأهوازى فى وجيزه عن روح.

وقد وردت الغنة مع اللام والراء عن كل من القراء وصحت من طريق كتابنا نصا وأداء عن أهل الحجاز والشام والبصرة وحفص وقرأت بها من رواية قالون وابن كثير وهشام وعيسى بن وردان وروح وغيرهم (والأربعة أحرف) الباقية من "يرملون" وهى: النون والميم والواو والياء وهى حروف (ينمو) تدغم فيها النون الساكنة والتنوين بغنة نحو (عن نفس، حطة نغفر، من مال، مثلا ما، من وال، ورعد وبرق، من يقول، وبرق يجعلون، منها فى الواو والياء فأدغم خلف عن حمزة النون والتنوين بلا غنة واختلف عن الدورى عن الكسائى فى الياء فروى عنه أبوعثمان الضرير الإدغام بغير غنة كرواية خلف عن حمزة وروى عنه جعفر بن محمد تبقية الغنة كالباقين وأطلق الوجهين له صاحب المبهج وكلاهما صحيح والله أعلم. وانفرد صاحب المبهج بعدم الغنة عند الياء عن قنبل عن طريق الشطوى عن ابن شنبوذ فخالف سائر المؤلفين وأجمعوا على إظهار النون الساكنة عند الواو والياء إذا اجتمعا فى كلمة واحدة نحو (صنوان، وقنوان والدنيا وبنيان) لئلا يشتبه بالمضعف نحو صوان وحيان وكذلك أظهرها العرب مع الميم فى الكلمة فى نحو قولهم: شاة زنماء وغنم زنم.

ولم يقع مثله فى القرآن وقد اختلف رأى أئمتنا فى ذكر النون مع هذه الحروف فكان الحافظ أبوعمرو الدانى ممن يذهب إلى عدم ذكرها معهن قال فى جامعه والقراء من المصنفين يقولون: تدغم النون الساكنة والتنوين فى ستة أحرف فيزيدون النون نحو (من نار، يومئذ ناعمة) قال وزعم بعضهم أن ابن مجاهد جمع الستة الأحرف فى كلمة "يرملون" قال وذلك غير صحيح عنه لأن محمد بن أحمد حدثنا عنه فى كتابه السبعة أن النون الساكنة والتنوين يدغمان فى الراء واللام والميم والياء والواو ولم يذكر النون إذ لا معنى لذكرها معهن لأنها إذا أتت ساكنة ولقيت مثلها لم يكن بد من إدغامها فيها ضرورة وكذلك التنوين كسائر المثلين إذا التقيا وسكن الأول منهما ثم قال: ولو صح أن ابن مجاهد جمع كلمة "يرملون" الستة أحرف لكان إنما جمع منها النون وما تدغم فيه انتهى، ولا يخفى ما فيه، والتحقيق فى ذلك أن يقال إن أريد بإدغام النون فى غير مثلها فإنه لا وجه لذكر النون فى حروف الإدغام، وإن أريد بإدغامها مطلق ما يدغمان فيه فلابد من ذكر النون فى ذلك ولا شك أن المراد هو هذا لا غيره فيجب حينئذ ذكر النون فيها وعلى ذلك مشى الدانى فى تيسيره والله أعلم. واختلف أيضا رأيهم فى الغنة الظاهرة حالة إدغام النون الساكنة والتنوين فى الميم هل هى غنة النون المدغمة أو غنة الميم المقلوبة للإدغام؟ فذهب إلى الأول أبوالحسن بن كيسان النحوى وأبوبكر بن مجاهد المقرى وغيرهما وذهب الجمهور إلى أن تلك الغنة غنة الميم لا غنة النون والتنوين لانقلابهما إلى لفظها وهو اختيار الدانى والمحققين وهو

الصحيح لأن الأول قد ذهب بالقلب فلا فرق في اللفظ بالنطق بين (من من، وإن من، وبين: هم من، وأم من) وأما ما روى عن بعضهم إدغام الغنة واذهابها عند الميم فغير صحيح إذ لا يمكن النطق به ولا هو في الفطرة ولا الطاقة وهو خلاف إجماع القراء والنحويين ولعلهم أرادوا بذلك غنة المدغم. والله أعلم .

وأما الحكم الثالث وهو (القلب) فعند حرف واحد وهو الباء فإن النون الساكنة والتنوين يقلبان عندها ميما خالصة من غير إدغام وذلك نحو (أنبئهم ومن بعد، وصم وبكم) ولابد من إظهار الغنة مع ذلك فيصير في الحقيقة إخفاء الميم المقلوبة عند الباء فلا فرق حينئذ في اللفظ بين (أن بورك وبين يعتصم بالله) إلا أنه لم يختلف في إخفاء الميم ولا في إظهار الغنة في ذلك وما وقع في كتب بعض متأخري المغاربة من حكاية الخلاف في ذلك فوهم ولعله انعكس عليهم من الميم الساكنة عند الباء.

والعجب أن شارح أرجوزة ابن برى في قراءة نافع حكى ذلك عن الداني وإنما حكى الداني ذلك في الميم الساكنة لا المقلوبة واختار مع ذلك الإخفاء . وقد بسطنا بيان ذلك في كتاب التمهيد والله أعلم.

وأما الحكم الرابع وهو (الإخفاء) وهو عند باقي حروف المعجم وجملتها خمسة عشر حرفا وهي: التاء والثاء، والجيم والدال والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف نحو (كنتم، ومن تاب، جنات تجري، والأنثى، من ثمره، قولا

ثقيلا، أنجيتنا، أن جعل ، خلق جديد، أندادا، من دابة، كأسا دهاقا، أأنذرتهم، من ذهب، وكيلا ذرية، تنزيل، من زوال، صعيدا زلقا، والإنسان، من سوء، رجلا سلما، أنشرنا، إن شاء، غفور شكور، الأنصار، أن صدوكم، جمالة صفر، منضود، من ضل، وكلا ضربنا، المقنطرة، من طين، صعيدا طيبا، ينظرون، من ظهر، ظلا ظليلا، فانفلق، من فضله، خالدا فيها، انقلبوا ، من قرار، سميع قريب، المنكر، من كتاب، كتاب كريم).

واعلم أن الإخفاء عند أئمتنا هو حال بين الإظهار والإدغام.

قال الداني: وذلك أن النون والتنوين لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الإدغام فيجب إدغامهما فيهن من أجل القرب ولم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الإظهار فيجب إظهارهما عندهن من أجل البعد فلما عدم القرب الموجب للإدغام والبعد الموجب للإظهار أخفيا عندهن فصارا لا مدغمين ولا مظهرين إلا أن إخفاءهما على قدر قربهما منهن وبعدهما عنهن فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنه قال والفرق عند القراء والنحويين بين المخفى والمدغم أن المخفى مخفف والمدغم مشدد . انتهى والله أعلم.

رابعا : حروف الحلق وكيفية أدائها فى كتاب "الرعاية"(١)

باب الهمزة

الهمزة أول الحروف خروجا، وهى تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق، مما يلى الصدر، وقد ذكرنا أنها من الحروف المجهورة ، ومن الحروف الشديدة، وهى من الحروف الزوائد ومن حروف البدل، وبينا جميع ذلك وغيره من صفاتها ومعانيها فيما تقدم ذكره. وذكرنا استثقال العرب لها، وكثرة تغييرهم لها وأنها لا صورة لها فى الخط تثبت عليها.

١ - فيجب على القارئ أن يعرف جميع ذلك من أحوالها وطباعها، فيتوسط اللفظ بها، ولا يتعسف فى شدة إخراجها، إذا نطق بها، لكن يخرجها بلطافة ورفق، لأنها حرف بعد مخرجه، فصعب اللفظ به لصعوبته، ولذلك لم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل كلمة ولا توجد همزة مدغمة فى همزة إلا فى قليل من الكلام، فإذا أخرجها القارئ من لفظه برفق ولطف، ولم يتعسف باللفظ بها فقد وصل إلى اللفظ المستحسن المختار فيها.

فقد حكى عن حماد بن زيد أنه قال: رأيت رجلا يستعدى على رجل بالمدينة، فقلت له: ما تريد منه؟ فقال: إنه يتهدد القرآن، قال: فإذا المطلوب رجل إذا قرأ يهمز، يعنى أنه كان يهمز همزا متعسفا(٢).

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لأبىمحمد مكى بن أبىطالب القيسى المتوفى ٤٣٧هـ.
(٢) نفسه / ٥٢ وما بعدها.

٢ - فيجب على القارئ أن لا يتكلف فى الهمزة ما يقبح من ظهور شدة النبر بنبرة الصوت، وأن يلفظ بالهمز مع النفس لفظا سهلا، فقد قال أبوبكر بن عياش[١] صاحب عاصم[٢] : كان إمامنا يهمز "مؤصدة" فأشتهى أن أشد أذنى إذا سمعته يهمزها، يريد أنه كان يتعسف فى اللفظ بالهمز، ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها.

قال أبومحمد : وينبغى لقارئ القرآن أن يتقيد من نفسه تجويد اللفظة بالهمزة الملينة بين بين فيخرجها بين الهمزة المحققة والحرف الذى يجيء بها إليه، نحو الهمزة الثانية فى قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم ﴾، ﴿ لَأَئِنَّكُمْ ﴾، ﴿ أئذا ﴾، ﴿ أإنا ﴾، ﴿ أئذا ﴾، ﴿ أئفكا ﴾، ﴿ جاء أمة ﴾ ، ﴿ شهداء إذ وصاكم ﴾ ـ فى قراءة نافع ومن تابعه على تخفيف الثانية[٣] فى ذلك من كلمة ومن كلمتين.

فيلفظ بالهمزة المضمومة بين الهمزة المضمومة والواو الساكنة، وبالمكسورة بين الهمزة المكسورة والياء الساكنة. وبالمفتوحة بين الهمزة المفتوحة والألف نحو (أأنذرتهم) ، و(جاء أحدهم) أعنى الهمزة المفتوحة الثانية.

فإن كانت الهمزة المفتوحة لينت بأن أبدل منها حرف غيرها، لفظت بالحرف الذى هو من الهمزة خالصا لا يشوبه غيرها، نحو

---

(١) روى القراءة عن عاصم، وكان عالما عاملا توفى سنة ١٩٣هـ.
(٢) عاصم بن أبىالنجود أحد القراء السبعة ـ إمام أهل الكوفة توفى ١٢٧هـ.
(٣) المقصود بالتخفيف هنا هو التسهيل بين بين كما وضحه المؤلف بعد ذلك.

الهمزة الثانية من قوله تعالى: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ﴾ و﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ تلفظ بهما وشبههما فى موضع الهمزة الثانيـة، بـواو خالصـة مفتوحـة، فيصير، لفظك بقوله تعالى: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ﴾ بمنزلة لفظـك بقولـه ـ عزوجل ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الأول أصله: همزتان ، والثـانى: همزة وواو مفتوحة واللفظ واحد.

وكذلك إن كانت الأولى من الهمزتين مكسورة، والثانية مفتوحة، فإنك تبدل من الهمزة المفتوحة ياء خالصة إذا قرأت بالتخفيف، نحـو: (من الشهداءين تضل)، (وبالفحشاء ينتقولوا) وشبهه تلف بها كما ترى فى الخط بياء مفتوحة محضة.

وإذا كانت الهمزة الثانية مكسورة، والأولى مضمومة، كان لـك فى تخفيف الثانية وجهان إن شئت نحوت بالثانية إذا لينتها نحو اليـاء على حكم حركتها ، وإن شئت نحو الواو، على حكم حركة ما قبلها ، نحو: ﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾، ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ وشبهه . فـإن كان القارئ يحقق الهمزتين فى ذلك كله حققهما فى لين ورفق.

٣ – ويجب على القارئ أن يتحفظ بإظهار الهمزة إذا انضـمت مفردة أو انكسرت، لأنها فى نفسها ثقيلة، والضمة والكسـرة ثقيلتـان فيصعب على اللسان اجتماع ثقيلين، فالتحفظ بإظهار اللفظ بها واجـب لاسيما إذا كان بعدها كسرة أو قبلها، أو يكـون قبلهـا ضـمة وهـى

مضمومة، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ﴾، ﴿وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ﴾، و﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾.

وإذا كان فى الكلمة همزتان مُلَيَّنتان قبلهما همزة محققة، وجب على القارئ أن يتحفظ باللفظ بذلك، فيأتى بالمحققة بلفظ سهل غير متعسف، ثم بالملينة الثانية ألفا فيشبع المد لذلك ويطوله، وذلك فى قراءة نافع ومن تابعه عليه، وذلك نحو قوله: ﴿أَئِمَّةَ﴾ و﴿أَءِذَا﴾ فى ثلاثة مواضع، فى "الأعراف"[١] و"طه"[٢] و"الشعراء"[٣] و﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾ فى "الزخرف"[٤] وكذلك إن وقع اجتماع ثلاث همزات من كلمتين ، نحو: "جاء آل لوط"، و"جاء آل فرعون" ، مثله ، فإن كان ممن يحقق الهمزتين حقق الأولى والثانية فى لطف ورفق، وأتى بعد ذلك بألف عوضا من الهمزة الثالثة الساكنة.

وإذا كانت الهمزة الثانية من الهمزتين مكسورة، وأصلها السكون، أبدلت منها ياء خالصة فى قراءة من خفف الهمزة، نحو (أئمة)، ولا تجعلها مثل (أئذا)، و(أئفكا)، بين الهمزة والياء، إنما تبدل منها ياء محضة مكسورة[٥] ، لأن أصلها السكون، لأنه جمع إمام على أفعلة، وأصله: أأممة، ثم أعل بالإدغام، وإلقاء حركة الميم الأولى على

---

(١) الآية رقم: ١٢٣ .
(٢) الآية رقم : ٧١ .
(٣) الآية رقم : ٤٩ .
(٤) الآية رقم : ٥٨ .
(٥) هكذا : "أيمة".

الهمزة الساكنة فصارت مكسورة، فأبدل منها ياء خالصة مكسورة فى التليين.

٤ – فيجب على القارئ المجود لقراءته أن يفرق فى لفظه بين "أئفكا"، و"أئمة" ، فيأتى بالثانية من (أئفكا) وشبهه، إذا لين بين الهمزة المكسورة والياء الساكنة ، ويأتى "بأئمة" إذا لين بياء مكسورة خالصة، لأن الأولى أصلها الكسر، والثانية السكون، والساكن من الهمز إنما حقه من التليين البدل.

٥ – ويجب على القارئ إذا وقف على الهمزة، وهى متطرفة بالسكون، أن يطلب اللفظ بها وإظهارها فى وقفه، لأنها لَمَّا بَعُد مخرجها وضعفت وأتت فى آخر الكلمة، وذهبت حركتها للوقف وضعفت بالسكون، صعب إظهارها فى الوقف، وخيف عليها النقص فلابد من إظهارها عند الوقف والتكلف لذلك، نحو: (أسوأ)، و(يستهزئ).

فإن كان قبلها ساكن من حروف المد واللين، صعب اللفظ بها فى الوقف أشد مما قبله، فيجب أن تظهرها بالوقف وتتطلب باللفظ، نحو الوقف على (السراء)، و(الضراء)، و(سوء) و(شىء)، و(يضىء)، و(شاء)، و(جاء) ، و(يشاء) فإن كنت تروم الحركة كان ذلك أسهل قليلا من وقوفك بالسكون، وإن كان الساكن قبل الهمزة غير حرف مد ولين، فهو أصعب فى طلب الهمزة فى الوقف إذا كنت لا تروم الحركة، نحو قوله تعالى: (دفء)، و(ملء)، و(شىء)، و(سوء)

فاعرف هذا كله وتحفظ منه فى وقفك. وإن لم تتحفظ من إظهار الهمزة فى هذا فى وقفك كنت حاذفا حرفا ولاحنا فى ذلك.

ولأجل صعوبة طلب الهمزة فى الوقف قرأ هشام بن عَمّار عن ابن عامر بتليين الهمزة المتطرفة فى الوقف خاصة، ووافقه على ذلك حمزة فى المتطرفة، وانفرد حمزة بتليين الهمزة المتوسطة فى الوقف خاصة، وقد أفردنا لحكم قراءتهما فى تليين الهمزة المتطرفة كتابا مُعللا بَيّنا(١).

فإن كانت الهمزة المتطرفة مفتوحة بعدها تنوين حسن الوقف عليها، وظهرت بغير تكلف، لأنك تبدل من التنوين ألفا، فتظهر الهمزة، لأنها تصير غير متطرفة، إذ بعدها حرف، وذلك نحو قوله فى الوقف (ملجأ) ، و(أسماء) و(ماء) وشبهه.

وإذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها حرفان مشددان، وجب أن يتحفظ ببيان الهمزة، لأن المشدد ثقيل وتكرره ثقيل، والهمزة ثقيلة، والكسرة ثقيلة، لاسيما إذا كان المشدد من حروف العلة فهو أثقل.

٥ - فيجب التحفظ بإظهار لفظ الهمزة برفق ولين، لاجتماع المشددين وتوالى الكسرتين على ياء مشددة وهمزة متطرفة، وذلك كله ثقيل ، وذلك نحو قوله: ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ﴾ ولا نظير له ألا ترى أن حمزة لما رأى ثقل ذلك قرأ بإسكان الهمزة، وهى قراءة ضعيفة، ولا تحسن إلا على نية الوقف على الهمزة.

---

(١) هو كتاب: تخفيف الهمزة المتطرفة لحمزة وهشام.

فإن كانت الهمزة مضمومة وقبلها حرف لين مشدد، وقبله حرف آخر مشدد، وبعد الهمزة همزة أخرى، كان ذلك أثقل وأحوج إلى بيان الهمزة الأولى وتخفيف الثانية لتكرر الثقل، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، فيحتاج القارئ إلى أن يأتى بالمشددين قبل الهمزتين متمكنين ظاهرين، ثم يأتى بالهمزة المضمومة محققة ظاهرة متمكنة فى اللفظ بلين ورفق ثم يأتى بعد ذلك بهمزة ملينة بين الهمزة المكسورة والياء الساكنة، أو بين الهمزة المكسورة والواو الساكنة على ما ذكرنا فى الهمزتين إذا كانت الأولى مضمومة والثانية مكسورة.

وإذا لفظ القارئ بهمزة بعدها ألف، فلا يغلظ لفظه بذلك، وليخرجه مرققا سهلا نحو (آمن)، و(آخر)، و(آتى المال)، وشبهه، يقاس على هذا ما شاكله من الهمزة.

وقد تقدم ذكر أصول القراء واختلافهم فى الهمز وتليينه وحذفه وبدله وتحقيقه وغير ذلك من أحكامه فى غير هذا الكتاب، فلا حاجة بنا إلى ذكر ذلك، وكذلك ما شابهه فليس هذا كتاب اختلاف، وإنما هو كتاب تجويد ألفاظ ووقوف على حقائق الكلام، وإعطاء اللفظ حقه ومعرفة أحكام الحروف التى ينشأ[1] الكلام منها (مما لا اختلاف فى أكثره).

---

(١) أى: يتألف ويتركب.

باب الهاء

الهاء تخرج من مخرج الهمزة، من وسط المخرج الأول من مخارج الحلق، والهمزة قبلها فى الرتبة، وإن كانتا من مخرج واحد. وقد ذكرنا أن الهاء حرف خفى ضعيف، وأنها من الحروف المهموسة، ومن الحروف الرخوة، ولولا الهمس والرخاوة اللذان فى الهاء لكانت همزة إذ المخرج واحد . وإنما فرق بين هذه الحروف فى السمع، اختلاف صفاتها وقوتها وضعفها، ولولا ذلك لم يختلف السمع فى حرفين من مخرج واحد.

ومن أجل قرب الهاء من الهمزة أبدلت العرب من الهاء همزة ومن الهمزة هاء، فقالوا: "ماء" وأصله "ماه"، وأصل "ماه: موه ثم أعل. وقالوا للصبا: "هير" و"إير"، وقالوا لقشور الرأس: "إبرية" و"هبرية"، وقالوا: "أيا فلان" و"هيا فلان"، و"هرقت الماء" و"أرقته" و"إياك" و"هياك.

فالحروف تكون من مخرج واحد، وتختلف صفاتها، فيختلف لذلك ما يقع فى السمع من كل حرف، وهذا تقارب بين الحروف من جهة المخرج، وتباين من جهة الصفات.

وتكون الحروف من مخرجين، وهى مختلفة الصفات، فهذا غاية التباين، إذ قد اختلفت فى المخارج والصفات. وتكون من مخرجين متفقة الصفات، فهذا أيضا تقارب بين الحروف من جهة الصفات وتباين من جهة المخرج.

فافهم هذا ، فعليه مدار الحروف كلها.

ولا تجد أحرفا من مخرج واحد متفقة الصفات ألبتة، لأن ذلك يوجب اتفاقها فى السمع فلا تفيد فائدة، فتصير كأصوات البهائم التى لا اختلاف فى مخارجها ولا فى صفاتها، فلابد أن تختلف الحروف إما فى المخارج وإما فى الصفات.

فإذا أتت الهاء وبعدها ألف وجب أن تلفظ بها مرققة غير مغلظة، كما تلفظ بها إذا حكيتها فى الحروف فقلت: شين، ها، وذلك نحو: هؤلاء، وها أنتم، وهذا لا تفخم الهاء بل تأتى بها فى لفظك مرققة غير مغلظة ولا ممالة. ولما كانت الهاء حرفا خفيا وجب أن تتحفظ ببيانها حيث وقعت وإذا تكررت من كلمتين كان البيان لذلك آكد لتكرر الخفاء. ولتأتى الإدغام فى ذلك لاجتماع المثلين، وذلك نحو : ﴿فِيهِ هُدًى﴾، و﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، و﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾، و﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾، ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ﴾، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ وشبهه كثير.

فيجب التحفظ ببيان الهاءين فى درج القراءة، للعلل التى ذكرنا.

وكذلك إذا تكررت الهاء فى كلمة ، فالتحفظ بإظهار الهاءين واجب على القارئ لتكرر الخفاء واجتماع المثلين، وذلك نحو قوله: ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾، و﴿جِبَاهُهُمْ﴾، و﴿أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾، و﴿وَيُلْهِهِمُ

﴿ ٱلۡأَمَلُّ ﴾، و﴿ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾، ﴿ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا ﴾، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ ﴾، و﴿ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ ﴾ و﴿ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ ﴾، وشبهه.

كل هذا يجب على القارئ المجود للفظ تلاوته أن يبينه فى درج قراءته، ويتحفظ منه.

فإن سكنت الأولى من الهاءين وجب إظهار الإدغام والتشديد وبيان الهاء المشددة، فإن كان قبلها حرف مشدد كان آكد فى بيان المشددين، لاسيما إن كان الحرف المشدد الأول حرفا مجهورا قويا، نحو: ﴿ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ ﴾، أصله: "يوجهه"، ولذلك كتب فى المصحف بهاءين مع الإدغام، فلما سكنت الهاء الأولى للشرط أدغمت فى الثانية، وكذلك كل هاء مشددة يجب نحو: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾، و﴿ أَن طَهِّرَا ﴾، و﴿ وَهَّابًا ﴾، و﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم ﴾، شبهه.

فإن كانت الساكنة من كلمة أخرى، وهو موضع واحد فى القرآن، فانو على الأولى الوقف، ولا تدغمها فى الثانية وإنما وقع ذلك فى هاء السكت، نحو قوله: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي ﴾(١)، الاختيار: أن لا تدغم الهاء الأولى الساكنة فى الثانية وأن تنوى عليها الوقف، وقد أخذ قوم فى ذلك بالإدغام والتشديد، وليس بمختار، لأنه يصير قد أثبت هاء السكت فى الوصل وذلك قبيح.

---

(١) من الآيتين ٢٨، ٢٩ من سورة الحاقة، وهو الموضع الوحيد فى القرآن الكريم الذى جاء بعد هاء السكت لفظ أوله هاء.

وإذا وقعت الهاء قبل حاء أو بعد حاء، وجب إظهار الهاء، والتحفظ بها لتمكن خفائها مع الحاء، إذ هي قريبة المخرج من الحاء، وهي أضعف من الحاء للخفاء الذى فى الهاء، وذلك نحو قوله: ﴿فَسَبِّحْهُ ليلا...﴾، ﴿فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ﴾.

إن لم يتحفظ بإظهار الهاء صارت مع الحاء التى قبلها بلفظ حاء مشددة، فتندغم فى الحاء التى قبلها لقوة الحاء وضعف الهاء وقرب المخرجين فيغلب عليها لفظ الحاء لقوة وقرب مخرجها فتصير إلى أن تقرأ بما لا يقرأ به أحد.

وكذلك قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، و﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، فتحفظ ببيان الهاء لئلا تزداد خفاءً عند الحاء أو تصير مدغمة فى الحاء. وذلك كله خطأ، فالتحفظ بها لازم.

وإذا وقعت الهاء بين ألفين وجب بيانها لاجتماع ثلاثة أحرف خفية، نحو: ﴿بَنَىٰهَا﴾، و﴿سَوَّىٰهَا﴾، و﴿ضُحَىٰهَا﴾، فإن كان قبل الألف الأولى هاء كان البيان لذلك كله آكد، لاجتماع أربعة أحرف خفية، نحو: (منتهاها).

وكذلك يجب أن يتحفظ ببيان الهاء إذا لاصقها عين قبلها أو بعدها، لأن الهاء تقرب من مخرج العين، فيخاف على الهاء أن يتغير لفظها للخفاء الذى فيها،ولقرب مخرج ما يلاصقها من مخرجها، ولأن العين أقوى من الهاء بكثير،وذلك نحو قوله:﴿كَٱلْعِهْنِ﴾،و﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾، و﴿يُهْرَعُونَ﴾،وشبهه.وسنذكر هذا فى حرف العين-إن شاء الله تعالى.

باب الألف

الألف مخرجها من مخرج الهمزة والهاء، من أول الحلق، لكن الألف حرف يهوى في الفم، حتى ينقطع مخرجه في الحلق، فنسب في المخرج إلى الحلق،لأنه آخر خروجه،وقد ذكرنا أنه حرف خفي شديد الخفاء، إذ لا علاج على اللسان فيه عند خروجه إنما هو حرف اتسع مخرجه في هواء الفم، ولذلك قيل له:هوائي،وهاوٍ، فإذا لاصقته همزة لم يكن بد من تمكين مده، ومده إذا كانت الهمزة بعده آكد، نحو جاء، وشاء،وكذلك يمد إذا كان بعده ساكن مشددا وغير مشدد،وزيادة تطويل المد ونقصه فيه على حسب ما ذكرناه في غير هذا الكتاب مع اختلاف القراءة عن القراء.

ولا تقع الألف إلا ساكنة أبدا[١] ، ومفتوحا ما قبلها أبدا، ولا يبتدأ بها أبدا[٢]، ولا تكون إلا بعد حرف متحرك أبدا، فهي منفردة بأحوال ليست لغيرها، وأكثر ما تقع زائدة، وهي من أكثر ما يقع زائدا من حروف الزوائد، ولا تقع أصلية إلا منقلبة عن غيرها من واو نحو "قال"، أو ياء نحو "كال" أو همزة نحو "سال" و"منساته"، وتكون زائدة وهي عوض من نون ساكنة أو تنوين.

فيجب على القارئ أن يعرف أحوالها وصفاتها، وأن يلفظ بها حيث وقعت غير مفخمة ولا ممالة، ولا يميلها إلا برواية، ولا يُغَلِّظُ اللفظ بها إلا برواية، ويلزم في لفظها التوسط أبدا، حتى ترده الرواية إلى إمالة أو تغليظ ، وهذا مذكور في كتب اختلاف القراء في الإمالة، والفتح وما هو بين اللفظين.

---

(١) أبدا هنا بمعنى دائما.
(٢) أبدا هنا بمعنى عدم إمكانية الابتداء بالألف.

باب العين

العين تخرج من أول المخرج الثانى من مخارج الحلق الثلاثة مما يلى الفم، وقد ذكرنا أنها من الحروف المجهورة الرخوة، ويقال: إن فيها بعض الشدة، فهى حرف قوى ، والعين مؤاخية للهمزة، والعرب تبدل من الهمزة عينا، ومن العين همزة ويقولون: أأديت فلانا على فلان، وأعديته، وموت ذؤاف، وذعاف، وأردت أن تفعل، وعن تفعل.

فيجب على القارئ أن يتحفظ بلفظ العين ويعطيها حقها من الحلق، فإن تكررت كان بيان ذلك آكد، لقوتها وصعوبتها على اللسان، نحو قوله تعالى: ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾، و﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا﴾، و﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾، و﴿نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ﴾ وشبه ذلك.

وذلك البيان لهما لازم، والتحفظ بإظهارهما واجب، لصعوبة اللفظ بحرف الحلق منفردا ، فإذا تكرر كان أصعب، لأن اللفظ بالحرف المكرر كمشى المقيد ، وكمن يرفع رجله ليمشى فيردها إلى الموضع الذى رفعها منه، وذلك ثقيل.

وإذا وقع بعد العين الساكنة غين وجب بيان ذلك لقرب المخرجين، ولأن اللفظ يبادر إلى إدغام العين فى الغين، ولأنهما من الحلق جميعا، وذلك نحو قوله: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾.

وإذا سكنت العين وأتت بعدها هاء وجب التحفظ بإظهار العين لئلا تقرب من لفظ الحاء، وتندغم فيها الهاء فتصير كأنها حاء مشددة، كما قالوا فى "معهم" : "محهم"، فأبدلوا من العين حاء، وأدغموا الهاء فيها على إدغام الثانى فى الأول، لأن الحاء مؤاخية للهاء فى الهمس، ومخرجاهما متقاربان، وذلك نحو قوله: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾، و﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾، و﴿ فَبَايِعْهُنَّ ﴾، و﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾، التحفظ فى هذا وشبهه بإظهار لفظ العين وإخراجها من مخرجها واجب.

وكذلك إظهار الهاء بعد العين لازم بيانها، لأنك إن لم تهتم بذلك قربت العين من لفظ الحاء، لأن البحة التى فى الحاء تسرع إلى اللفظ بالحاء فى موضع العين مع الهاء، لقرب الحاء من الهاء فى الصفة ، وبعد العين من الهاء فى الصفة فلابد من تمكين لفظ العين فى اللفظ وإخراجها من تحت مخرج الهاء، لأن الهاء متقدمة فى المخرج على العين.

باب الحاء

الحاء تخرج من مخرج العين المذكور، وهو المخرج الثانى من الحلق، فهي بعد العين، وهو حرف مهموس رخو، ولولا الجهر الذى فى العين، لكانت حاء، وقد قال الخليل بن أحمد : لولا بحة فى الحاء لأشبهت العين ـ يريد فى اللفظ ـ، إذ المخرج واحد، والصفات متقاربة . ولهذه العلة لم يتألف فى كلام العرب "عين" وحاء فى كلمة أصليتان لا توجد أبدا إحداهما مجاورة للأخرى فى كلمة إلا بحاجز بينهما .

وكذلك الهاء مع الحاء، ولذلك قال بعض العرب فى "معهم": محهم، فأبدل من العين حاء لقرب الحاء فى الصفة من العين، ولأن مخرجهما واحد، ولبعد الهاء فى الصفة من العين، مع خفاء الهاء .

فلما أبدل من العين حاء لقربها من العين، أدغم الهاء التى بعدها فيها ـ على إدغام الثانى فى الأول ـ ، وإنما وجب الإدغام لأنه لا يمكن اجتماع حاء وهاء أصليتين فى كلمة متلاصقتين لقرب أحدهما من الآخر فى المخرج، واتفاق صفاتهما، فليس بينهما غير الجهر والهمس والخفاء، فلولا ذلك لكانا بلفظ واحد .

والحاء مؤاخية للعين، إذ هى من مخرجها، ولذلك أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فقالوا: "ضبعت الخيل"، و"ضبحت" ، ونزل بحذاه، وبعذاه، إذا نزل قريبا منه، وكذلك تبدل منها الهاء، فقالوا: مدحه، ومدهه، وقد كدحه، وكدهه .

فإذا أتى بعد الحاء ألف وجب على القارئ أن يلفظ بها غير مفخمة كما يلفظ بها مقطعة في حكاية الحروف، إذا قال: "جيم"، "حا" ، وذلك نحو قوله: "حم"، الحاكمين ، و"لا حام"، وشبهه.

ويجب أن يتحفظ ببيان لفظها عند إتيان العين بعدها، لأن العين من مخرج الحاء ، فإذا وقعت الحاء قبل العين خيف أن يقرب اللفظ من الإخفاء، أو من الإدغام، لتقارب الحرفين واشتباههما، ولأن العين أقوى قليلا من الحاء، فهي تجذب لفظ الحاء إلى نفسها، ولأنه لا يقع في كلام العرب حاء بعدها عين في كلمة، فإذا وقع ذلك من كلمتين ثقل فيجب البيان في ذلك، نحو قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، و﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، و﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى﴾، و﴿زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾، وشبهه.

فإذا سكنت الحاء قبل العين من الكلمتين كان التحفظ ببيان الحاء آكد، لأنها قد تهيأت بسكونها للإدغام، لأن كل حرف أدغمته في حرف، فلابد من إسكان الأول أبدا، ثم تدغم، فإذا سكنت الحاء قبل العين قربت من الإدغام فيجب التحفظ ببيانها، وذلك نحو قوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾، البيان لازم وكيد والتحفظ واجب في ذلك.

وكذلك يجب أن يتحفظ ببيان الحاء إذا لقيت حاء مثلها، لأن الإدغام إلى المثلين أقرب منه في غير المثلين. ألا ترى أنه إذا سكن الأول من المثلين لم يجز إلا الإدغام، وذلك نحو قوله: ﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ﴾، و﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ﴾، وشبهه.

ويجب أن يتحفظ القارئ ببيان الحاء الساكنة، إذا أتت بعدها الهاء ، لئلا تتدغم[١] الهاء فيها لقرب المخرجين، ولأن الحاء أقوى قليلا من الهاء، فهي تجذب الهاء إلى نفسها، وذلك نحو قوله: ﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ﴾، و﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا﴾، والتحفظ بإظهارهما جميعا واجب. وقد ذكرت ذلك في حرف الهاء، وإنما جاز اجتماع هاء وحاء في كلمة لأن الهاء غير أصلية، وإنما هي هاء إضمارٍ مفعولة فاعلم.

---

(١) تتدغم بمعنى تدغم.

باب الخاء

الخاء تخرج من أول المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلــى الفم، وهى حرف مهموس رخو، ليس بحرف قوى، غيــر أنهــا مــن حروف الاستعلاء، فيجب على القارئ أن يلفظ بالخاء إذا كان بعــدها ألف مفخمة مغلظة، كما يلفظ بها إذا حكاها فى الحروف، فقال: "حا"، "خا"، فيقول: "الخاسرون"، و"خالق"، و"خائفين" وشبهه ــ بــالتفخيم ــ وقد رأيت كثيرا من الطلبة يشددون الخاء، من "الأخ"، وذلــك خطــأ فاحش، وإنما هى مخففة مكسورة، كالباء من "الأب"٠

باب الغين

الغين: تخرج من مخرج الخاء وبعدها، وهو آخر المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم، والغين حرف مجهور، فهو أقوى من الخاء، وكلاهما من حروف الاستعلاء، ومن الحروف الرخوة.

ولولا ما بينهما من الجهر والهمس لكانت الخاء غينا: إذ المخرج واحد، والصفات متقاربة. فيجب على القارئ أن يلفظ بالغين مفخمة إذا وقع بعدها ألف نحو: "غافر الذنب"، و"الغابرين"، و"الغافرين" وشبهه.

ويجب أن يتحفظ ببيان الغين إذا وقع بعدها عين أو قاف لقرب مخرجها منهما، لأن الغين فى المخرج قبلها قريبة منها، والقاف بعدها قريبة منها، فيخاف أن يلتبس اللفظ بالإخفاء، أو بالإدغام فى ذلك.

فالتحفظ بتجويد اللفظ بها وإعطائها حقها أولى وأحسن، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾، ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾، ﴿ كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾، ﴿ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ وكذلك يجب تبيين الغين إذا تكررت نحو: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾، خوف الإدغام أو الإخفاء لاجتماع المثلين.

وإذا وقع بعد الغين الساكنة، شين وجب بيان الغين، لئلا تقرب من لفظ الخاء، لاشتراك الخاء والشين فى الهمس والرخاوة، وبعد الغين من الشين فى الصفة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً ﴾، و﴿ يَغْشَىٰهُمْ ﴾، و﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً ﴾، و﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ

ٱلنَّـاوُ ﴾، وشبهه، فإذا لم تبين الغين بيانا متمكنـا صـارت خـاء، أو قربت من ذلك لما ذكرنا من العلة٠

كل ما ذكرته لك من هذه الحروف، وما نذكره، لـم أزل أجـد الطلبة تزل بهم ألسنتهم إلى ما نبهت عليه، وتميل بهم طبـاعهم إلـى الخطأ فيما حذرت منه ، فبكثرة تتبعـي لألفـاظ الطلبـة بالمشـرق والمغرب وقفت على ما حذرت منه، ووصيت به من هـذه الألفـاظ كلها، وأنت تجد ذلك من نفسك وطبعك٠

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

أهم المراجع

- الإتقان في علوم القرآن ــ السيوطي ــ ط/ مصطفى الحلبي ــ الرابعة.
- أسباب حدوث الحروف ــ ابن سينا ــ ط (مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م).
- أسرار البلاغة ــ الإمام عبدالقاهر: تعليق د/ خفاجي ــ ط أولى.
- أسس علم اللغة ــ ماريوباى ــ ترجمة وتعليق/ أحمد مختار عمر الطبعة الثانية.
- أصوات اللغة العربية د/ عبدالغفار هلال (١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م).
- أصوات اللغة العربية ــ دراسة وصفية تطبيقية ــ د/ فتحى أنور (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٤م).
- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس (الطبعة الرابعة ١٩٧١م).
- إعجاز القرآن ــ الباقلانى ــ أسفل كتاب الإتقان السابق.
- البحث اللغوى عند العرب ــ د/ أحمد مختار عمر ــ الطبعة الرابعة.
- بغية الإيضاح ــ عبدالمتعال الصعيدى ــ مطبعة/ محمد على صبيح ــ السادسة.

- التطور النحوى للغة العربية ــ براجسترسر (ط ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٣م)٠
- الخصائص ــ لأبيالفتح ابن جني ــ تحقيق محمد علـــى النجـــار ط/الثانية ــ بيروت ــ د.ت٠
- دراسة الصوت اللغوى د/ أحمد مختار عمر ط/ الثالثة ١٤٠٥هــ ــ ١٩٨٥م ــ عالم الكتب٠
- دراسات فى أصوات اللغة العربية د/ يحيى الجندى ط ١٩٨٣م٠
- دراسات في التجويد والأصوات د/ عبدالحميـــد أبوســـكين ــ ط الأمانة٠
- دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح (ط ــ بيروت التاسعة)٠
- دلالة الألفاظ د/ أنيس ــ ط الرابعة سنة ١٩٨٠م٠
- دور الكلمة فى اللغة ــ استيفن أولمان ــ ترجمة د/ بشـــر ســـنة ١٩٧٥م٠
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ــ مكى بن أبىطالب القيسى ــ ط/ دار الصحابة بطنطا ١٤٢٢هـــ ــ ٢٠٠٢م٠
- سر صناعة الإعراب ــ ابن جنى ــ ط/ الحلبى (١٩٥٤م)٠
- علم اللغة العام ــ أسسه ومناهجه ــ د/ عبدالله ربيع، د/عبدالفتاح البركاوى ــ ط الثانية٠

- علم اللغة العام ــ الأصوات ــ د/ بشر ــ ط دار المعارف ــ السادسة.
- علم اللغة د/ على عبدالواحد وافى ــ ط/ دار نهضة مصر ــ السابعة.
- الفائق فى غريب الحديث ــ الزمخشرى ــ ط/ عيسى الحلبى ــ الثانية.
- فصول فى فقه العربية ــ د/ رمضان عبدالتواب ــ الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
- الفلسفة اللغوية ــ جورجى زيدان ــ ط / دار الهلال.
- الكتاب ــ سيبويه ــ تحقيق الأستاذ/ عبدالسلام هارون ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م.
- لسان العرب ــ ابن منظور ــ ط/ دار المعارف.
- اللغة الشاعرة ــ عباس محمود العقاد ــ ط/ دار غريب.
- المختصر فى أصوات اللغة العربية ــ دراسة نظرية وتطبيقية ــ د/محمد جبل ــ الطبعة الخامسة ٢٠٠٨ ــ ١٤٢٩هـ ــ مكتبة الآداب.
- مقدمة فى أصوات اللغة العربية د/ البركاوى ط/ الثانية.
- المقنع فى رسم مصاحف الأمصار ــ أبوعمر الدانى ــ تحقيق محمد الصادق قمحاوى ــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

- مناهج البحث فى اللغة د/ تمام حسان (ط/ دار الثقافة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م)٠
- النشر فى القراءات العشر ـ ابن الجزرى ط/ دار الفكر٠
- الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع ـ عبدالفتاح القاضى ـ مطبعة عبدالرحمن محمد٠

المحتوى